أبوكاليبس
Apocalypse
شريف حسين
الكتاب الأول
"نهاية العالم ليست غداً"
ايوان

أبوكاليبس

"نهاية العالم ليست غداً"

شريف حسين

إيوان

الإصدار الأول: أغسطس 2024

إهداء لكُل من ينتظر نهاية العالم،
لا تنتظر، فنهاية العالم ليست غداً !!!

شريف

أبوكاليبس

"نهاية العالم ليست غداً"

1.	نهاية العالم ليست غداً	3
	المحطه الأولى: فى إنتظار النهايه	18
2.	غضب إلهى	19
3.	ما وراء الموت	44
4.	خلود	65
5.	أبوكاليبس	79
6.	سفر الرؤيا و قيام الساعه	94
7.	المُخادع و المُخلص	123
	المحطه الثانيه: فى إنتظار المُخلص	139
8.	المُنتَظر	140
9.	رسائل من عوالم أخرى	168
	المحطه الثالثه: تحت الوصايه	194
10.	مُلوك و كهنه	195
11.	بأسم الرب	215
12.	أهل الذِكر	248
13.	سِفْر النهايه	281
	مصادر	297

"لا أحد يمكن أن يرى بعد، الإختيار الذى لا يفهمه، ... و أنا أعنى فعلا لا أحد." العرافه من فيلم The Matrix III

نهاية العالم ليست غداً

هل من الممكن أننا نكتشف يوماً ما، بكوننا مُجرد جزء من لعبه، و لعبه هنا أقصد بيها Game، مش مؤامره، و أننا طول الوقت كنا مُجرد شخصيات ثانويه موجوده على هامش الحياه، بيتم التحكُم فيها بشكل كامل، تماماً زى كُل الشخصيات الثانويه الموجوده فى أى لعبة كمبيوتر؟ بالمُناسبه، فمن 3 سنين فقط، ظهر فيلم أمريكى بيُناقش هذه الفكره، كان أسمه Free Guy، كنت أتكلمت عنه سريعاً فى كتابى السابق، لكن حأتكلم عنه بالتفصيل فى كتابى القادم. الفكره اللى أعنيها هنا، أننا بيتم التحكُم فى إرادتنا، فى أختياراتنا، بمعنى أننا موجودين فى الحياه، زى الشخصيات الثانوية فى الGames، موجوده فقط علشان تُكمل الصوره، لكن ليس لها أى إراده حره، لكن طول الوقت هذه الشخصيات هى "مفعول به" فقط.

من وجهة نظرى، هذا الأمر وارد جداً، خاصةً أن كُل يوم تقريباً، بيتم الكشف عن تفاصيل بتوصلك هذا المعنى، التفاصيل دى مش بتُعلن بشكل عشوائى، لكن بيُختار و بعنايه فائقه توقيت أعلانها. ممكن تفصيله صغيره تعرفك حدث حيحدُث بعد عشرين سنه، ممكن معلومه تبلغك أنك بيتم مُراقبتك طول الوقت، و عندنا أمثله كثيره لكِلا النوعين، زى مثلاً هذا السيده اللى ظهرت من كام سنه، و طول الوقت بتتنبأ بأحداث حتحدُث فى المستقبل، و أصبحت الناس بتنتظر أى توقعات جديده ليها، بمُنتهى الشغف و الإهتمام.

أو الأفلام الأمريكيه اللى بتتنبأ عن وقائع مستقبليه، و بتحدث فعليا بعدها بكام سنه، أو زى تنبؤات مسلسل عائلة سيمبسون "The Simpsons"، صاحب عشرات التوقعات اللى حدثت بالفعل فيما بعد، بشكل يكاد يكون مُطابق تماماً للواقع، و فى الصوره الموجوده فى الصفحه التاليه، أخر توقع مُطابق ظهر فى المسلسل، و هو لكامالا هاريس، المرشحه الرئاسيه الحاليه فى الولايات المُتحده الأمريكيه، بينما أُذيعت الحلقه سنة 2000 ميلادياً.

أول أمثله للشكل التانى، و هو إبلاغك بأنك مراقب بشكل تام 24/7 أو على مدار الساعه، زى فكرة الإعلانات اللى بتوصلك طول الوقت على أى موقع بتزوره بطريقه

Push notifications، و تكون إنت بالفعل بتدور على هذا الشئ، حتى لو كان هذا الشئ لم يخرج عن إطار التفكير بينك و بين نفسك، و هنا بنكتشف أن حتى عقلنا مُراقب، أفكارنا و خواطرنا معروفه، الموضوع وصل لدرجه مُرعبه بالفعل، لكن حتظل كل أسئلتنا الخاصه عما يحدُث بينا و لينا، ليس لها إجابه مؤكده، على الأقل خلال هذه الفتره.

طيب أيه السبب اللى ممكن يهم أشخاص أو جهه بتتحكم فى العالم، أنها تنبهك لنواياها و مُخططاتها طول الوقت، أنها تنبهك أن كُل شئ فى الحياه مُرتب مُسبقاً؟ أنك تحت التحكُم بشكل كامل على مدار الساعه، و على مدار حياتك؟

بالتأكيد مفيش إجابه مؤكده، لكن مُمكن تكون هُناك بعض الفرضيات أو الإستنتاجات. الفرضيه الأولى من وجهة نظرى، أن ده بيتم بهدف دراسة رد فعلك. الفرضيه التانيه أن بعض الأفكار اللى حيتم فرضها عليك فى المُستقبل، بيتم الزج بيها، من خلال عشرات الأعمال الفنيه، علشان مع تكرارها، يبدأ عقلك يتعود على تقبُل المتغير الجديد، بمعنى أنها بتكون نوع من التمهيد، أو ممكن تكون برضه نوع من التحدى، بمعنى أن هذا العمل حيوصلك فكره أنت رافضها، لكن فى نفس الوقت بيعرفك أنك ليس لديك أى قُدره على مقاومتها. الفرضيه التالته هى اللعب على تغيير

عقائدك، مثال، أنك لما طول الوقت تكتشف أن شخص ما أغلب توقعاته بتتحقق حرفياً، فأنت شخصياً حيبدأ يحدُث عندك نوع من البلبله الفكريه، و تبدأ عقيدتك بفكرة علم الغيب تتغير، و هو المطلوب.

هُناك عشرات الفرضيات الأُخرى، لكن أنا من خلال هذا الفصل، و اللى بيُمثل نوع من المُقدمه -مش بس لهذا الكتاب-، لكن برضه للكتاب القادم، فأنا بحاول معاك من خلال هذا الفصل، أنى أطرح بعض الأفكار اللى حيتم مُناقشتها على مدار الكتابين، مش هذا الكتاب فقط.

كُل اللى فات لا يُعتبر مقدمه، لكن محاوله لإقرار واقع حالى أحنا بنعيشه بالفعل، لكن لأن عملية التحكُم فى عقول أغلب البشر، و التحكُم اللى أنا أقصده هنا، هو مش تحكُم تقنى، لكن أقصد تحكُم نفسى مدروس، تم على مدار التاريخ البشرى كُله، بحيث حتى مأصبحش أغلب البشر عندهم القدره على التفكير المنطقى المُنظم، لأن طُرق التغييب العقلى تمت بعشرات الوسائل و السبل البسيطه جداً، لكن كانت فاعليتها مدروسه جداً و فعاله جداً جداً.

موضوعين فى غاية الأهميه طول الوقت بيثيروا فضولى، لكن عمرى ما قدرت أوصل لأى إجابه لأياً منهم، بس هما بالفعل كانوا السبب فى كتابه هذا الكتاب، و أقصد الكتاب الأول. الموضوع الأول هو التجربه البشريه على كوكب الأرض، و علشان أوضح أكتر، لو إعتبرنا أن البشريه هى كائن بدأ من مرحلة المهد، لمرحلة للطفوله، لمرحلة الوعى و الإدراك...إلخ، فهذه الكائن تم إلقاؤه فى العالم وحيداً، علشان يتعلم و يكتشف كُل حاجه بنفسه و بدون أى مساعده، و ده بيفكرنى بشكل كبير جداً بالفيلم المصرى العظيم "أرض الخوف"، من إنتاج سنة 2000 ميلادياً، و اللى بالرغم من أنه كان مُقتبس من فيلم أمريكى أسمه دونى براسكو " Donny Brasco" من إنتاج سنة 1997 ميلادياً، إلا أن فيلم أرض الخوف فاق فيلم دونى براسكو فى كل شئ.

أرجع مره أُخرى لتجرُبة البشريه، هذا الكائن الوليد اللى تُرك ليتعلم كُل شئ بنفسه، بدايةً من الأكل، للنار، لبناء مسكن له و لأسرته، لمفهوم الموت و كيفية التعامُل معاه، للغه، لكُل شئ، وصولاً لهذا التطور الرهيب اللى أحنا عايشين فيه حالياً، فأزاى

هذا الكائن إستطاع من مرحلة "اللا شئ" للوصول لكُل هذا التقدُم، و اللى عمره ما حيكون له نهايه. أزاى كائن أشبه بطفل وليد، تم إلقاؤه بدون أب أو أم، و مع ذلك، أستطاع أنه يعلم نفسه كُل شئ، و عرف يشكل وعيه بهذا الشكل المُخيف؟

الموضوع التانى هو، إزاى هؤلاء البشر اللى بدأوا بشكل بدائى جداً كمُجتمع واحد بلا تمييز، و فى نفس الوقت بلا وعى حقيقى فى البدايات، بدأ يحدث ما بينهم تدريج لفئات. بدأ يكون بينهم من يقود. بدأ يكون هُناك مُلوك و رعيه، بدأ يكون هُناك من يحكُم من وراء الستار، من يُدير الأمور فى السيطره على الأخرين، و أنا هنا لا أقصد المُلوك أو الحُكام الظاهرين، لكن أقصد من يعمل من خلف الستار، و رُبما يكون بيُدير المُلوك و الحكام أنفسهم.

رحلتى فى هذا الكتاب حتكون مع تاريخ التحكُم فى العقل البشرى، مع كُل من قام بدور فى السيطره على البشر، سواء من أمام الستار أو من خلفه، أنا مش حأتكلم عن أشخاص بعينها، لكن عن نماذج من البشر، أستطاعت أنها تقوم بعملية تغييب كامل للعقل الجمعى البشرى على مدار التاريخ، لكن الأهم عندى فى هذا الكتاب، الأفكار اللى تم إستخدامها، أزاى نشأت من مجرد مخاوف بشريه بدائيه، ثم أصبحت وسيله للسيطره على البشر، بعد ما أصبحت عقائد حاكمه.

الكتاب مُقسم ل3 محطات رئيسيه. الأولى ممكن تكون محطه معلوماتيه نوعاً ما، لكنها محطه مُهمه و رئيسيه لفهم بداية كُل شئ. حتكون هذه المحطه هى مدخل لكُل ما سيتم ذكره، سواء فى الكتاب الأول، أو الكتاب التانى. أسم المحطه "فى إنتظار النهايه"، و النهايه المقصوده هى نهاية العالم بشكل جماعى.

خلال المحطه الأولى حأتكلم معاك على التسلسل التاريخى لتطور أتنين من أهم المخاوف البشريه عبر التاريخ. أتنين من المخاوف البشريه البدائيه، اللى بدأت مع الإنسان من بداية تواجده على كوكب الأرض، و اللى كانت السبب الرئيسى فى ظهور فكرة "الإله" ثم "الدين"، خلال مرحلة ما قبل الأديان.

خلال المحطه الأولى برضه، حأنتقل معاك لكيف بلورت الأديان -سواء أديان إبراهيميه أو غير إبراهيميه- هذه المخاوف البشريه، لتُصبح عقائد لها أحكامها، لها منظُومة ثواب و عقاب، لكن الجزء اللى حيتم التركيز فيه خلال هذه المحطه، هى

المظاهر المُرتبطه بهذه العقائد، و أنا هنا أقصد ما يُسمى ب"نهاية الأيام" فى اليهوديه و المسيحيه، أو "قيام الساعه" فى الإسلام.

فى هذا الجزء حأستعرض بعض تفاصيل تصورات نهاية الأيام و قيام الساعه و مصادرهم، و أزاى تمت و بتم عمليات إضافات بشريه لهذه التصورات طول الوقت، و أيه المُشترك بين تصورات الأديان التلاته و أيه الإختلافات، لكن السؤال الأهم هو، ما هو منبع هذه الإختلافات.

المحطه التانيه فى الكتاب هى مبنيه بالكامل على فكرة تصورات نهاية الأيام و قيام الساعه، و تأثيرها على العقل الجمعى البشرى. هذه المحطه حتكون المحطه الأبسط و الأكثر تشويقاً فى الكتاب، لأنها حتضُم مجموعه من الوقائع الحقيقيه عن تأثير هذه التصورات على العقل البشرى فى كافة أنحاء العالم، و من أكتر من مُجتمع، و عبر التاريخ البشرى من بدايته، ليومنا هذا.

حناقش من خلال هذه المحطه، إيمان البشر بأن نهاية العالم على وشك الحدوث طول الوقت، البشريه مُهيئه لهذه الفكره مُنذ بداية التاريخ، لكنها تبلورت بشكل أكبر و أوضح مع ظهور الأديان. و هنا حنجد أن هذه العقليه الجمعيه البشريه على إستعداد تام و دائم لتصديق أى شخص حيتسلل لها من خلال هذا المُعتقد.

من خلال هذه المحطه حيتم إستعراض حالات حدثت بالفعل، و كان لها دورها الهام جداً فى تغيير التاريخ البشرى، من خلال فقط الدخول من هذا المدخل، و مدى التأثيرات اللى أحدثتها لقرون، لدرجة وصلت للتأثير على مُجتمعات بعيده كُل البُعد مكانياً و زمنياً، عن موقع و زمان الحدث الأصلى.

المحطه التالته بتُمثل المحطه الأخطر، و المنطقه الشائكه فى هذا الكتاب، و من خلالها حأستعرض كيف تم إستغلال المخاوف البشريه البدائيه، و اللى تبلورت لتُصبح عقائد دينيه، للسيطره على البشريه و تغييب العقل الجمعى البشرى على مدار التاريخ، من خلال التعاون المُشترك الدائم بين المنظومتين الحاكمتين الظاهرتين للبشريه غبر التاريخ، و بيتمثلوا فى المنظومه السياسيه، و المنظومه الدينيه، اللى قاموا على مدار التاريخ البشرى بتجهيل الشعوب، للحصول على الإستفادتين الدائمتين المطلوبين عبر التاريخ، الإستفاده الماديه، و السيطره الكامله على البشر.

هذا التعاون السياسى الدينى، نجح بشكل كبير جداً عبر العصور، و كان نجاحه فى تغييب الشعوب، أهم بكتير جداً من مُكتسباته الماديه، و دى النقطه اللى بتهمنى جداً فى هذه المحطه، و اللى حتقوم بربط هذا الكتاب بالكتاب القادم، اللى حناقش فيه كيف أثر هذا التغييب العقلى عبر التاريخ، على حاضرنا الحالى و مستقبلنا، اللى تم تحديده من عشرات السنين.

****

السيطره على العقل البشرى هو مشروع بدء من ألاف السنين، مع بداية ظهور الثقافات و الحضارات، و معاها بدأت ظاهرة وجود أشخاص وسيطه بين البشر و بين الخالق، مع أدعاء البعض بعلمه بمعارف و علوم خفيه، نتيجة هبه إلهيه خاصه بيه، لا يمتلكها إلا الأشخاص اللى أختصهم الخالق بعلمه.

أتطورت أشكال السيطره على العقل على مدار تاريخ البشريه على ظهر الأرض، لكن فى الغالبيه العُظمى من الحالات، كانت من خلال الدين، لأن الدين مثّل على مدار التاريخ، الملاذ الأول لأغلب البشر، الملجأ اللى بيلجأ له أى إنسان وقت الضيق، وقت الأحتياج، أوقات الظلم، أوقات الخوف، و الأهم، الأمل فى إمكانية تغيير واقعه، أو أضعف الأيمان، مستقبله.

"المجهول"، أكتر تعبير خاف منه الإنسان، من يوم بدء الحياه على كوكب الأرض، ليومنا هذا، بالرغم من إن هذا "المجهول"، كان الدافع الرئيسى لأغلب الأكتشافات و الأختراعات اللى ظهرت على كوكب الأرض على مدار التاريخ، لكن فى نفس الوقت، المجهول مثّل كمان مصدر إزعاج دائم، مثّل أكتر مفهوم أو تعبير بيحاول الإنسان تجنبه طول الوقت.

هذا "المجهول" لم يكن السبب فقط لأغلب الأكتشافات و الأختراعات اللى ظهرت على كوكبنا، لكن كان السبب الرئيسى لظهور مفهوم "الخالق" و "الدين"، بدايةً من مرحلة ما قبل الثقافات و الحضارات، لكن الأهم و الأخطر من كُل ما سبق، فالمجهول كان الوسيله الرئيسيه اللى تم بيها السيطره و التحكُم و فرض الوصايه على الجنس البشرى، من بداية الوجود الإنسانى على الكوكب، و حتستمر لأخر تواجد إنسانى على ظهره.

نقدر نقسم مفهوم المجهول ل3 أنواع، الأول هو المجهول فى الماضى، ما وقع سابقاً، لكن أحنا مش عارفينه، أو مش قادرين نفهمه، و ده بيبدأ مع مرحلة الميلاد و بيتلاشى مع الزمن، يعنى أيه؟

الإنسان فى مرحلة بداية الوعى و الطفوله المبكره، بتبدأ تتكون عنده عشرات الأسئله كُلها فى الماضى، من نوعيه "أنا جيت أزاى؟"، و دى الأسئله اللى بتكون أجاباتها من الأهل غالباً هى تغيير الموضوع، أو بالأجابه بأجابات غير صادقه، لكن المُهم أن الأب أو الأم بيهربوا من الإجابه بأى طريقه، لحد ما الطفل بيسأل السؤال، اللى بتكون إجابته بالنهى التام عن التفكير فى هذه النوعيه من الأسئله، و ممكن كمان الرد يكون فيه كثير من التعنيف، و هو سؤال "هو مين خلق ربنا؟".

الإجابات اللى بيتلاقاها الطفل فى هذه المرحله على أى نوع من الأسئله، و اللى غالباً عمرها ما بتفى بالفضول اللى جواه، بتبدأ فى أنها تصرفه تماماً عن التفكير فى هذه النوعيه من الأسئله، لأنها أجابات بتطفى الفضول البشرى اللى كُلنا بنتولد بيه، و بيكون جزء من فطرة الإنسان. لكن فيما بعد، بيبدأ البعض من الناس، و اللى بيكون ما زال عنده بقايا من فضول للمعرفه، يتحول للنوع التانى من أسئله "المجهول".

النوع التانى من أسئله "المجهول" بتكون خاصه بفهم الظواهر اللى بتحدُث حوالينا، و ده النوع اللى بسببه ظهرت أغلب الأكتشافات و الأختراعات، الطب كعلم، كُله أتبنى على هذا النوع من المجهول، الفيزياء أغلبها مبنيه على هذا المجهول، على صيغة السؤال الأهم فى تاريخ البشريه كُلها و هى "ليه". هنا هذا النوع من "المجهول" بيكون أكتر نوع من المجاهيل التلاته، تمكن الإنسان من الإجابه على الكتير من أسئلته، و بنسبه كبيره جداً، لكن فى حدود المُتاح من العلم، على مدار التاريخ البشرى كُله.

النوع التالت من أسئله "المجهول" هو الأخطر بكُل المقاييس، هو النوع اللى تمكن عن طريقه بعض البشر، من التحكُم و السيطره بشكل كبير جداً على باقى البشر، هو النوع اللى مثّل الهاجس الأهم للغالبيه العظمى من البشر على كوكب الأرض، و بالرغم من أن هذا النوع تم إستغلاله بشده من خلال الأديان، و كان المدخل الأهم للتحكُم

فى البشر تحت أسم الدين، إلا أنه فى نفس الوقت، مثّل هاجس معرفى لكتير من اللا دينيين، و هو "مجهول" ما وراء الموت، مجهول مرحلة ما بعد الحياه.

هذا "المجهول" تطور شكله و مفهومه عبر التاريخ البشرى. فى البدايه كان هذا "المجهول" بيُمثل سؤال واحد فقط و هو "ما وراء الموت"، لكن مع ظهور الأديان أصبح السؤال سؤالين، لأن أُضيف للسؤال سؤال أخر و هو "علامات ما قبل النهايه"، و اللى أصبحت هاجس إضافى مهم جداً عند كُل المؤمنين بأى دين، و طبعاً حأخص بالذكر الأديان الإبراهيميه، فبدأ كُل دين يحدد مظاهر لعلامات النهايه خاصه بيه، و بدأ البشر أنفسهم يفسروا كتير من المُتغيرات فى الحياه، على أنها واحده من علامات ما قبل النهايه.

من يوم ما بدأت أعى، و أنا بسمع أن علامات قيام الساعه ظهرت، أن النهايه قربت، لكن طول الوقت البشريه بتتفاجئ أن ما أعتقدوا أنه من علامات النهايه، ما هو إلا شىء بسيط من المُستقبل اللى جاى، و من هنا كانت فكرة الكتابين، هل فعلاً كُل ما يُعتقد أنه من علامات النهايه، بيتحول علشان يُصبح جُزء من بدايه جديده فى تاريخ البشريه، فهل أحنا فعلاً على أعتاب النهايه، و لا على أعتاب بدايه جديده تماماً فى التاريخ البشرى، حيكون فيها مفهوم الإنسان و دوره، مختلف تماماً عن كُل ما سبق فى التاريخ البشرى.

****

يعنى أيه أپوكاليبس "Apocalypse"؟ و أزاى أتطور معنى الكلمه أكتر من مره عبر التاريخ؟ بدايةً فالكلمه لها أكتر من معنى، و الغريب أنه حيبدولك لأول وهله، أن مفيش أى علاقه تربط ما بين كُل المعانى المختلفه للكلمه، لكن الأغرب أن هذه المعانى الكثيره المختلفه للكلمه، كُلها تم إستباطها من بعض.

حأبدأ التفسير من البدايه. الكلمه أصلها يونانى و كانت فى البدايه تعنى "وحى". تطور معنى الكلمه تدريجياً و أصبح "نبؤه"، لأن الوحى طبعاً بيتضمن نبؤات لوقائع حتحدُث فى المستقبل، فأصبح المعنى الجديد للكلمه هو "نبؤه".

أستمر هذا المعنى لكلمة أبوكاليبس لفتره طويله، لحد ما الكتاب المُقدس المسيحى وصل لشكله النهائى المتعارف عليه حتى يومنا هذا، و معاه أتغير معنى الكلمه للمره التالته.

تضمنت بعض أسفار العهدين، العهد القديم و العهد الجديد، بعض النبؤات المُستقبليه عن نهاية الأيام (نهاية العالم)، و حيتم شرح معنى أسفار العهد القديم و العهد الجديد -لمن لا يعرفها- بالتفصيل فى هذا الكتاب. و بما أنها كانت نبؤات مُستقبليه، فأُعتبرت هذه الأسفار "أسفار أبوكاليبسيه"، زى سفر دانيال فى العهد القديم. أما فى العهد الجديد فكان سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى، هو أهم سفر أبوكاليبسى فى العهدين، و فى هذا السفر توقع يوحنا نهاية العالم بعد حرب مُدمره حتشمل العالم كُله، و هى حرب أرماجيدون أو هرمجدون، و الأسمين صحيحين، و من هنا ظهر المعنى الجديد و الأخير لكلمة أبوكاليبس، و هو "توقعات أحداث نهاية الأيام (نهاية العالم)"، و ده المعنى اللى يهمنا، و المقصود بيه أسم الكتاب، و أصبح مصطلح أبوكاليبس هو المرادف لفكرة نهاية العالم، و بالتدريج أصبح غير مُرتبط بفكرة حرب أرماجيدون أو هرمجدون فقط، لكن أصبح مُصطلح أبوكاليبس معناه "أحداث نهاية الأيام (العالم)".

فكرة نهاية العالم هى هاجس موجود طول الوقت عند عدد كبير من الناس و فى كُل المجتمعات، الفكره منبعها من قبل الأديان، لكن الأديان الإبراهيميه أخدتها لمنحى مُختلف. فى أغلب نصوص الأديان الإبراهيميه، نهاية الأيام أو قيام الساعه قريبه جداً و وشيكة الحدوث.

نهاية الأيام أو قيام الساعه فى جميع الأديان الإبراهيميه، مرتبطه بشخصيه أو شخصيات، حتظهر أو حتعود فى أخر الزمان، و هذه الشخصيات المُنتظره، تم إدعاءها مئات -و يمكن ألاف- المرات عبر التاريخ، الغريب أن كتير من الناس صدقوا بعض هذه الإدعاءات، و أتبعوا هؤلاء المُدعين، و من خلال المحطة التانيه فى الكتاب "فى إنتظار المُخلص"، حيتم سرد أكتر من قصه لأكتر من مُدعى الناس صدقته، و كان لهم تأثير حقيقى فى التاريخ البشرى، سواء على مُستوى دولهم، أو على المُستوى العالمى.

****

نبؤات تاريخ نهاية الأيام أو قيام الساعه، كانت كتير جداً عبر التاريخ، حأذكر مجموعه من أهم النبؤات، و اللى كان لها تأثير فعلى على المُجتمع المُحيط، و على كُل من أمن بالنبؤه، لكن قبل ما أذكر النبؤات اللى مرت بالفعل دون حدوث أى شئ، فبحسابات التلمود و اليهود الأرثوذوكس، فنهاية العالم المُتوقعه، حتحدُث فى 30 سبتمبر سنة 2239 ميلادياً، و هذا التاريخ حيوافق -بحسب الحسابات التوراتيه- 6000 سنة على خلق أدم.

أول نبؤه من النبؤات اللى كان تأثير كبير جداً، وصل لدرجة أنها كانت أحد أهم أسباب قيام معركه تاريخيه هامه جداً بين المسيحيين و المُسلمين، كانت نبؤة البابا إنوسنت التالت سنة 1213 ميلادياً، و كانت نبؤته مُعتمده على سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى، و كانت هذه النبؤه سبب فى إطلاق الحمله الصليبيه الخامسه على أورشليم (القدس).

ربط البابا إنوسنت التالت عدد الوحش 666 المكتوب فى سفر الرؤيا، و حنتكلم عنه فى أحد الفصول القادمه، و فكرة ظهور الأنبياء الكذبه اللى ذُكرت على لسان المسيح فى إنجيل متى، الإصحاح 24، العدد 11: **"11 وَ يَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَ يُضِلُّونَ كَثِيرِينَ."**، و اللى حيكون ظهورهم، أحد أهم علامات نهاية الأيام فى المسيحيه.

إعتبر البابا إنوسنت التالت أن النبى و الرسول محمد، هو النبى المعنى بيه كلام المسيح فى إنجيل متى، و كان مر على بدء دعوته للدين الإسلامى، ما يقرُب من 600 سنه، و بحساب 666 سنه من قيام دعوته، فكان التاريخ المُتوقع من قِبَل البابا إنوسنت التالت لنهاية الأيام، هو سنة 1284 ميلادياً.

قامت الحمله، و كان هجوم الجيوش الصليبيه فيها موجه لمصر، و خاصةً مدينة دمياط، بهدف الوصول لمدينة أورشليم (القدس)، لكن مُنيت الحمله الصليبيه بهزيمه ساحقه، و كانت هذه المعركه فى عهد السلطان الكامل الأيوبى. هذه الحمله كانت السبب فى ظهور فكره غريبه جداً فى أوروبا، حيتم الكلام عنها بالتفصيل فى أحد فصول هذا الكتاب.

فى سنة 1499 ميلادياً، تنبأ الفلكى و عالم الرياضيات الألمانى يوهانس شتوفلر بطوفان حيبتلع العالم، و بالمُناسبه، فقصص الطوفان حيكون لنا كلام كتير عنها فى أكتر من فصل خلال هذا الكتاب، و كانت حسابات شتوفلر بتُشير إلى يوم 20 فبراير سنة 1524 ميلادياً.

بعد نبؤته تم نشر 100 كُتيب عبر أوروبا كُلها، تأييداً لنبؤة شتوفلر، و الغريب أن هذه النبؤه، كانت سبب فى إزدهار صناعة القوارب و السفن خلال هذه الفتره.

سنة 1524 ميلادياً كانت سنه جافه و تقريباً لم تسقُط فيها أى أمطار، لكن الغريب أن فى اليوم اللى حدده يوهان شتوفلر، سقطت فيه بعض الأمطار الخفيفه جداً، و اللى كانت كفيله بإقناع الناس بتحقُق نبؤة شتوفلر، اللى تدافعوا أمام أحد مراسى السفن على نهر الراين، على أمل الحصول على مكان لهم فى سفينه كبيره كان بناها نبيل ألمانى أسمه الكونت ڤون إيجلهايم، تصديقاً لنبؤة شتوفلر، و أثناء هذا التجمهُر، مات المئات من الناس، و تم رجم الكونت ڤون إيجلهايم لحد ما مات.

بعد ما مر هذا التاريخ دون حدوث أى شئ، أعاد شتوفلر حساباته، و حدد يوم أخر خلال سنة 1528 ميلادياً لهذا الطوفان، لكن فى هذه المره طبعاً، محدش صدقه أو أخد بكلامه.

من أغرب المُفارقات أن شتوفلر تنبأ فى أحد الأيام بأن حياته حتتعرض للخطر، بسبب سقوط جسم ثقيل على رأسه، و لأنه صدق نفسه، فقرر أنه يقضى هذا اليوم داخل منزله. الغريب أنه و هو بيحاول يسحب أحد الكتب الكبيره من على أحد الرفوف بمكتبته، الكتاب سقط على رأسه، و أُصيب شتوفلر إصابه خطيره، نتيجه الجرح الكبير اللى سببه سقوط الكتاب على رأسه.

فى أوائل القرن ال19 ميلادياً، و فى أعقاب حرب سنة 1812 ميلادياً بين الولايات المُتحده و بريطانيا، بدأت مساحة الولايات المُتحده الأمريكيه فى التوسع غرباً، و بدأت حاله من التطور فى كافة المجالات تظهر بشكل واضح، كان من بينها التطور فى الفكر الدينى، و نتيجه لذلك ظهر ما يُعرف ب"الصحوه الثانيه الكُبرى" فى الولايات المُتحده الأمريكيه، نتيجه كُل هذه التوسعات و التطورات فى كافة المجالات.

على الجانب الدينى، بدأ عدد كبير جداً من الطوائف الدينيه الجديده فى الظهور، كان أهمهم المورومون "The Mormons"، و السبتيين و غيرهم، و بدأت الأفكار الدينيه المُتطرفه فى الظهور و الإنتشار.

من أهم الشخصيات المؤثره اللى ظهرت خلال هذه الفتره، كان مُزارع من شمال ولاية نيويورك أسمه ويليام ميللر. ميللر بدأ فى هذا الوقت فى دراسة الكتاب المُقدس، و وضع له تفسير خاص بيه، و خاصةً تفسيره لسفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى، و اللى كان لميللر وجهة نظر خاصه بيه فى تفسيره، و كانت بإختصار أنه فيما عدا الإصحاح الأول، فكُل الأحداث المذكوره فيه، لم يحدُث منها أى شئ حتى هذا الوقت اللى بدأ فيه ميللر دراسته.

فى سنة 1831 تنبأ ميللر بتاريخ نهاية الأيام (العالم)، و أن المجئ التانى للمسيح على الأرض، حيكون سنة 1843 ميلادياً، بُناءً على تفسيره الخاص بنبؤات سفر دانيال. الحركه الدينيه اللى تبعت ميللر، نُسبت فى البدايه له، و كان أسمهم "الميللريون" ، لكن فيما بعد تم تغيير الأسم ل"حركة الأدفنتست" "The Adventists' movement".

فى شهر أكتوبر 1844 ميلادياً، باع أتباع ميللر كُل مُمتلكاتهم، إنتظاراً للمجئ التانى للمسيح على الأرض، إعتقاداً منهم أنه حيأخذهم معاه للملكوت السماوى. لبس كُل أتباع ميللر ملابس بيضاء سُميت "ملابس الصعود"، و تسلقوا الأشجار و الجبال، علشان يكونوا أقرب للسماء، و أسرع فى الصعود.

و زى كُل توقعات نهاية العالم السابقه، لم يحدُث أى شئ، و أصابت حاله من خيبة الأمل الشديده جميع أتباع ميللر، لكن بالرجوع لميللر، اللى قام بإعادة حساباته، و قرر أن هُناك خطأ وقع فى التقدير الحسابى، و بإعادة الحسابات مره أُخرى، أصبح تاريخ نهاية الأيام (العالم) الجديد، فى سنة 1844 ميلادياً.

التغيير أعاد الأمل لأتباع ميللر، اللى أنتظروا لسنه جديده، لكن لما فشل الأمر للمره التانيه، فقد جميع أتباع ميللر الثقه فيه، و تفككت الحركه لحظياً، بعد فشل ميللر فى نبؤاته للمره التانيه.

سنة 1881 ميلادياً، كانت سنه متوقعه لنهاية العالم من أكتر من مصدر، لكن كان المصدر الأهم، هو نبؤة "الأم شيبتون"، و هى عرافه بريطانيه من القرن ال16، لكن كان أول نشر لنبؤاتها سنة 1641 ميلادياً. لكن كانت الطبعه الأهم لنبؤاتها، هى اللى تم طباعتها سنة 1862 ميلادياً، و اللى كان لها التأثير الأكبر، لأنها كانت قبل الحدث، ب19 سنه فقط.

بدء الناس فى إنجلترا -خاصةً فى الريف- مع قُرب حلول سنة 1881 ميلادياً، فى ترك منازلهم، و بدأوا فى أداء صلوات جماعيه ليليه فى كُل مكان مُتاح، الكنائس، الحقول...إلخ، الجميع تفرغ للعباد، إنتظاراً لنهاية الأيام (العالم).

كان الدليل اللى دعم نبؤة الأم شيبتون لنهاية الأيام فى سنة 1881 ميلادياً، من خلال عالم فلكى أسكتلندى أسمه تشارلز سميث، اللى كان على قناعه بأن المصريين القدماء مش هما اللى قاموا ببناء الهرم الأكبر، لكن كانت توقعاته بتميل لأن من بناه كان النبى "نوح"، و كانت قياسات الهرم بالنسبه لسميث، هى نوع من الحسابات اللاهوتيه، اللى بتُشير إلى أن نهاية الأيام (العالم) حتحدُث خلال سنة 1881 ميلادياً.

و مرت رأس السنه الميلاديه 1882، و لم يحدُث شئ، لكن كالعاده كانت خيبة الأمل الكبيره للألاف اللى تركوا منازلهم و أعمالهم لفتره طويله جداً، وتفرغوا للصلاه و العباده، إنتظاراً للمجئ التانى للمسيح على الأرض.

****

الأمثله اللى فاتت هى بعض من عشرات، بل يمكن مئات النبؤات الخاصه ببعض التواريخ اللى تم توقعها لنهاية الأيام (العالم)، لكن أكتر طائفه فى العالم كان لها نبؤات خاصه بتاريخ نهاية الأيام (العالم) هى طائفة الإنجيليين"The Evangelicals"، و هى طائفه مسيحيه بروتوستانيه مُنتشره بشكل كبير جداً فى الولايات المُتحده الأمريكيه، و فى أخر إحصائيه سنة 2016 ميلادياً، قُدرت نسبتهم بحوالى 30% ل35% من إجمالى سكان الولايات المُتحده، بما يُعادل من 90-100 مليون أمريكى.

الإنجيليين لهم نبؤات خاصه بأحداث نهاية العالم، بتميل للنبؤات اليهوديه أكتر من المسيحيه، لأن الإنجيليين بيؤمنوا بحرفية كُل نبؤات الكتاب المُقدس بعهديه

القديم و الجديد، و لهذا فكانت توقعاتهم بنهاية الأيام (العالم) هى الأكثر من جميع طوائف و أديان العالم الأُخرى، و من وجهة نظرهم، أعتبروا بعض الأحداث العالميه زى أحداث 11 سبتمبر سنة 2001 ميلادياً، أو إعصار كاترينا، أو كتير من الحروب اللى بتدور فى العالم، ما هى اللى بعض مُقدمات أحداث نهاية الأيام (العالم).

الإنجيليين بيعتقدوا و بشده بأن المجئ التانى للمسيح حيكون فى إسرائيل (فلسطين)، و هما خلال الفتره الحاليه، و تقريباً من بداية الألفيه، فى حالة إنتظار لهذا المجئ التانى للمسيح على الأرض.

فى نهاية هذا الفصل، اللى أقدر أعتبره مُقدمه لهذا الكتاب، فهاجس نهاية العالم هو هاجس جماعى بيشغل عقل قطاع كبير جداً من البشر عبر التاريخ، و أكتر شئ أنا مستغربله فيما يخُص هذا الهاجس عند مُعتقديه، أنه أكثر أهميه عندهم من حالة الموت الفردى، مع أن النتيجه واحده عند أى شخص مؤمن بما وراء الموت، فسواء توفى الشخص بشكل فردى، أو مع نهاية العالم، فمصيره فى الحالتين واحد.

هذه الفكره هى أحد الأسباب اللى بأذكُرها بشكل دائم، و بأدعم بيها كُل مُعتقداتى الخاصه، بأن هُناك من يستفيد طول الوقت من حالة الخوف الجماعى بقُرب نهاية العالم، هُناك من يستفيد بالمُعتقدات المرتبطه بأحداث ما قبل نهاية العالم.

خلال رحلتى فى هذا الكتاب الأول، حأستعرض معاك تاريخ عدد كبير من هذه الإستفادات اللى تمت عبر التاريخ البشرى، عن طريق اللعب على زيادة الخوف البشرى من "ما وراء الموت"، الكلام ده تم و بيتم فى مُعظم دول العالم، و فى أغلب الأديان، و على مدار التاريخ البشرى كله.

27 يوليو 2024

المحطة الأولى:
في إنتظار النهاية

"أيها المحارب، أيها الحكيم بين الآلهة، كيف دونما تروٍّ جلبت هذا الطوفان؟ كان بإمكانك أن تُحمِّل الآثم إثمه والمعتدي عدوانه، تمهله فلا يهلك، ولا تهمله فيشتط" ملحمة جلجامش

غضب إلهى

فى كتابى السابق كنت ذكرت فى أخر فصل من فصوله، أن ظاهرتين من أهم ظواهر الحياه و الطبيعه، عجزت البشريه فى بداياتها، عن إيجاد أى تفسير لهم. الظاهرتين أصبحوا مع الزمن، أحد الأسباب الرئيسيه لكتير مِمَا وصلنا إليه حالياً- سواء سلباً أو إيجاباً- من معتقدات و عادات، و اللى بدورها أتبنت عليها كتير من التفاصيل، اللى مازالت تؤثر على العقل الجمعى البشرى إلى يومنا هذا. الظاهرتين اللى أنا بأعنيهم هما: أولاً، تقلبات و كوارث الطبيعه المرعبه، و ثانياً، ظاهرة الموت و ما وراءه.

الظاهرتين مثلوا أتنين من أوائل المجاهيل، اللى واجهت البشريه فى بداياتها على ظهر الأرض. طبعاً الظاهرتين يُعتبروا من النوع التانى من "المجهول"، و هذا بُناء على تقسيمات أنواع المجهول التلاته، اللى كُنت ذكرتهم فى الفصل السابق. فكرة أن الإنسان الأول أعتبر أن هُناك شىء غامض أو مجهول، فمعنى ذلك أنه بدأ يُدرك و يحاول أنه يفهم، بدأ يفكر، بدأ يستخدم عقله لتمييز و تصنيف كُل شئ بيحدُث من حوله.

فى هذا الفصل حناقش معاك الظاهره الأولى، و هى تقلبات و كوارث الطبيعه المرعبه، و اللى مثلت للإنسان الأول فى البدايه، أهم و أقوى مصدر رعب واجهه، لكن بالتدريج، بدأ الرعب يتحول لنوع من التفكير، لمُحاولة فهم، و أخيراً محاوله لإيجاد أسباب و حلول. الظاهره التانيه و هى ظاهرة الموت و ما وراءه، كانت الأكثر عمقاً و تأثيراً ، و حناقشها معاك بكُل تفاصيلها فى الفصل القادم.

الإنسان وقف حائر عن فهم ليه الطبيعه ممكن تقلب عليه فجأةً؟ ليه فيه فيضانات و براكين و زلازل؟ هل الطبيعه من المُمكن أنها تغضب؟ و لا هل هو غضب من قوه أكبر من البشر، و من الطبيعه ذاتها؟

الإنسان كان حجم إدراكه فى هذا الوقت، لا يتعدى طبعاً اللى عيونه قادره تشوفه، ففكرة وجود قوه أكبر منه و من الطبيعه، و لها قُدره أعظم من أى تصور ممكن عقله يوصلله، كانت فكره أعلى بكتير جداً من مُخيلته، و الأهم أنها قوه غير مرئيه

بالنسباله، لكنها قادره تسيطر على كُل شيء موجود فى الطبيعه، و على البشر نفسهم. هذه الفكره كانت البدايه لظهور مبدأ لوجود "الخالق"، و أنا هنا عايز أفرق بين 3 مُصطلحات بيتم الخلط فيما بينهم، و هما "الخالق"، "الإله" و "الرب"، لأن كُل مُصطلح منهم له معنى محدد، بيختلف كُل الأختلاف عن المصطلحين الأخرين.

الطبيعه و تقلباتها و كوارثها، كانت الباعث الأكبر على ظهور الأساطير و الخرافات، و اللى تحولت بعد كده للشكل الأولى للدين، لأنها أشعلت لأول مره فتيل أهم صفه بشريه و هى الفضول، خاصةً الفضول فى أكتشاف المجهول، أكتشاف الغموض، أكتشاف ما يُمكن أن نسميه "ما وراء الطبيعه"، و هنا زى ما ذكرت سابقاً، ظهرت فكرة الأُسطوره، و اللى كانت مبنيه طول الوقت على "ما لا تراه الأعين".

الأساطير اللى الجنس البشرى بدأ يصيغها، لم تكُن مُجرد أساطير بتحكى حكايات خُرافيه مجرده، لكنها بدأت تعكس كُل ما يتعلق بالأخلاق، حتى لو كان مفهوم الأخلاق لسه لم يتبلور بشكل واضح، لكن كان لازم الأسطوره يكون لها هدف أخلاقى، أو على الأقل توصل رساله، مش مجرد حكايات و خلاص، و ده المبدأ اللى قامت عليه كُل الأساطير أو الحكى الشعبى فى العالم كُله، من بدايه ظهور الأساطير، و لحد يومنا هذا.

لو دققت فى كُل الأساطير أو الحكايات الشعبيه، حتجد أن الحكايات المأسطره دائماً بتوصل رساله، و فكرة البطل الشعبى -حتى لو كان مُجرم أو بلطجى-، موجوده طول الوقت لنُصرة المظلوم و إرساء قواعد العدل و الحق، أو توصيل المُستمع لمرحلة وجود أمل وهمى للخلاص من مشاكله، أو لتحقيق كُل المُثل الأخلاقيه، اللى البشر -المغلوبين على أمرهم- طول الوقت بيحلموا بيها، لكن عُمرها ما تحققت على أرض الواقع.

حأقتبس بعض الفقرات من بحث أكاديمى صغير جداً و قعت عليه و أنا بحضر لكتابة هذا الفصل، لكن البحث على الرغم من أنه لم يتعدى العشر ورقات، لكن كان أكتر من ممتاز فى شرح جزء فلسفى تاريخى مهم جداً كنت ببحث عنه، و أنا بحضر لكتابة هذا الفصل. البحث لأتنين من أعضاء هيئة التدريس فى كلية الأداب بأحد جامعات مدينة أنقره بتركيا، و هما يشيم ديليك و أوزجى كاهيا. من تاريخ البحث اللى

كان من أقل من سنه، فى أغسطس 2023 ميلادياً، قدرت أربط الهدف من كتابة البحث، بزلازل تركيا المدمره، و اللى وقعت قبل كتابة البحث، بأقل من 6 أشهر فقط.

أستوقفتنى فقرات من نص البحث -بعد ما ترجمتها طبعاً ترجمه غير جوجليه- بتوصف الربط ما بين تقلبات و كوارث الطبيعه، و الأساطير و الخرافات اللى بدأت البشريه تنسُجها، بناءً على هذه الظواهر الطبيعيه، و ده النص المترجم -بطريقتى- لأول جزء أقتطعته من البحث:

"كُل ثقافه أو حضاره من بداية التاريخ، لها نظام أسطورى خاص بيها، و على الرغم من التباين الشديد فى الظروف الجغرافيه لكُل هذه الثقافات، إلا أن التصورات الأُسطوريه للمجتمعات البشريه تشابهت بشكل كبير و ملحوظ جداً، و على الرغم من إتخاذ الأساطير أشكال متنوعه فى كُل ثقافه من الثقافات، و على مدار فترات زمنيه مختلفه، إلا أن الأساطير هى فى الواقع، نتاج الثقافة المشتركة للبشريه ككُل.

أهم صفه ميزت الأساطير عن غيرها من الروايات، كانت الجانب المُقدس المُتواجد دائماً فى الأُسطوره، و بالتدريج، و مع مرور الزمن، الأساطير أصبحت تقاليد إلهيه، و أصبحت القصص اللى بتحكيها الأساطير، مقبولة كنصوص مُقدسه من عامة الشعب، اللى أصبحوا بيؤمنوا بيها. الأساطير كونت طول الوقت، جزء من المُقدسات الدينيه بشكل عام، و خاصةً الأساطير ذات الطابع المُقدس، بالإضافه لتقاطع الأساطير مع عُلوم الأخره، زى الموت، ما بعد الموت، يوم الحساب، القيامه.

أصبحت الكوارث الطبيعيه يُنظر لها، على أنها طريقة الألهه لمُعاقبة البشرية و التسبب فى تدميرها، و أصبحت كمان مُرتبطه بشكل كبير بعلوم الأخره، أو زى ما ذكرت سابقاً، بعلوم ما بعد الموت، الحساب، القيامه...إلخ."

دى كانت تقريباً مُقدمة البحث، و اللى شرحت بشكل أكتر من رائع، الفكره اللى أنا محتاج أوصلها فى هذا الفصل، و هى أزاى أن كُل المجتمعات البشريه البدائيه، و اللى كانت على إختلافات شديده التباين جغرافياً، سواء من ناحية بعد المسافات، أو

الطبيعه المناخيه، كُلها أشتركت فى فكرة ربط تقلبات و كوارث الطبيعه بالأساطير، و اللى بدورها ربطتها بفكرة غضب الخالق على البشر، و طبعاً كان لازم البشريه تبحث عن أسباب السُؤال الخاص ب "ليه ممكن الخالق يغضب على خليقته؟" و هنا بتبدأ تظهر فكرة المبادئ و الأخلاق، و القواعد الحاكمه للسلوكيات البشريه ككُل.

أكمل معاك فقره تانيه من البحث: **"مما لا شك فيه، أن عدد لا يحصى من الحضارات و الثقافات القديمه الهامه، دمرتها الزلازل والتسونامى و الأعاصير، و لهذا السبب، أصبحت الأساطير الكارثيه فى الأغلب، بتُمثل حدث جيولوجى أو مناخى محلى (فى نطاق المنطقه الجغرافيه)، لكن له تأثيرات أكبر على المنطقه الأكبر (بمعنى أن الحدث خرج من النطاق المحلى للنطاق الأكبر).**

من هنا، فالأساطير اللى بتتكلم عن أحداث أثرت فى الواقع البيئى الأكبر، تعدت فكرة أنها مجرد حكايات خياليه، لأنها بتتكلم عن أحداث بتؤثر فى الجوانب البيولوجيه، و البيئيه، و السياسيه، و الجغرافيه، و الثقافيه، بهذا الشكل العنيف، فطبيعى أن هذه الأحداث حتُسبب تغييرات كبيره و مؤثره جداً، يمكن توصل لإبادة شبه كامله للمجتمعات البشريه، و النُظم البيئيه الطبيعيه."

و من هنا بنكتشف أن بداية نسج الأساطير الكارثيه، غالباً بتكون من حدث بيئى صغير وقع فى النطاق المحلى، لكن الأسطوره بتكبره على مستوى المكان و الحدث نفسه، علشان يبدأ ياخد شكل شبه كونى.

أخر إقتباس من هذا البحث الرائع، حيلخص الفكره كُلها ببساطه.

"إذا قورنت فكرة الكارثه بمفهوم المعجزه، حنجد أن فيه رؤيه حيويه و أساسيه لفهم الكارثه، من وجهة نظر الثقافات و الحضارات القديمه.

القدماء مشافوش المعجزات على أنها حوادث بتتحدى القوانين الطبيعيه، و ده عكس الفهم الحالى للمعجزه، اللى بيتم إعتبارها نوع من كسر القوانين الطبيعية. إعتقد شعب إسرائيل القديم أن المعجزات هى أعمال وتجليات رائعه و مرعبه لله. الرعب بيُمثل جزء لا يتجزء من الكوارث الطبيعيه، بنفس الطريقه اللى بتُمثل بيها الأعاجيب جزء من المعجزات. فيه كثير من العوامل المشتركه

بين الكوارث و المعجزات، لأن فى العصور القديمه، كانت الكوارث فى معتقداتهم، بتحدُث غالباً نتيجه لأنشطة الألهة.

فى مُعتقدات بلاد ما بين النهرين القديمه، تم تفسير إى إشاره كانت بتُعتبر سلبيه، على أنها نوع من غضب الألهة على البشر، و توقُع حدوث أحداث سيئه من قِبل الألهه بعدها مباشرةً. و تماشياً مع هذا الإعتقاد، كانوا بيلاحظوا بإستمرار تحرُكات الأجرام السماويه و الأحداث الجويه، زى العواصف و الضباب و الرعد، و علشان كده، كان المُنجمين المُوجودين فى القصر الملكى فى الدوله الآشوريه، بيرسلوا التقارير للملك طول الوقت من مختلف أنحاء البلاد، مش بس كده، لأ هما كمان كانوا بيقدموا التوصيات للملك، بناء على تحرُكات النجوم."

حأكتفى بهذه الأقتباسات من البحث، علشان نستخلص مع بعض الهدف من كُل ما سبق. الهدف أنى أبدأ معاك رحلة أول علاقه للإنسان بفكرة الخالق، و اللى كان منبعها تقلبات و كوارث الطبيعه، و زى ما سبق و ذكرت فى الكتاب السابق، فالغموض و المجهول، كانوا دايماً هما المُحرك الرئيسى لكُل الأكتشافات و الأختراعات اللى قام بيها الإنسان، سواء كانت علميه، دينيه، أو فلسفيه.

من هنا بدأ الإنسان يُدرك وجود فكرة وجود "الخالق"، سواء كان خالق واحد أو أكتر من خالق، بيتحكم أو بيتحكموا فى الريح و المطر و الزلازال و البراكين و الأعاصير، و كُل ما يحدُث حوله فى الطبيعه. إذن فهذا الخالق لو غضب عليه، فهو قادر يدمر تماماً حياته فى لحظه، فلابد من أن هذا الخالق يكون راضى عنه طول الوقت، و من هنا تحول "الخالق" للمرحله التانيه و هى "الإله"، و الألوهيه غير الخلق، لأن الإله واجب الطاعه، علشان يكون راضى عنه طول الوقت، و ده حيظهر معانا بشكل أكثر وضوحاً فى فصل "مُلوك و كهنه". فكرة تقديم فروض الطاعه وقتها، كانت بتتمثل فى تقديم النذور، لأن الإنسان البسيط كان بيقدم من خلالها، أهم أو أغلى ما يُمكن و يستطيع تقديمه للإله.

نكمل مع بعض فى حضارة بلاد ما بين النهرين، و من خلال أشهر ملحمه فى العالم القديم كلُه، و هى ملحمة جلجامش، و فيها حنجد أن الألهة أرسلت طوفان ضخم للبشريه، بسبب الفساد اللى أنتشر تماماً فى الأرض. قصص الطوافين اللى كانت تُعتبر

نوع من العقاب للبشريه، كانت مُنتشره جداً فى العالم القديم، زى مثلاً أسطورة ديوكاليون فى الحضاره الأغريقيه.

ديوكاليون كان إبن بروميثيوس -العملاق و البطل الأسطورى فى الحضاره الأغريقيه. ديوكاليون كان ملك فى "فتحيه Phthia" (مدينه فى تركيا حالياً)، و كان مُتزوج من أمرأه أسمها بيرها. لما قرر الإله زيوس -رب الأرباب، و إله السماء و الأرض- تدمير العرق المنحط من البشرية، فقرر ديوكاليون -بناءً على نصيحة والده- أنه يبنى سفينه، و عمل فيها كمان مخازن للمؤن، فلما أرسل الإله زيوس فيضان فى جميع أنحاء "هيلاس" (مقاطعه فى اليونان حالياً) دمر البلد و جميع سكانها، تمكن ديوكاليون و بيرها و كُل الناس اللى معاهم، من أنهم يهربوا عن طريق السفينة اللى بناها ديوكاليون. و بعد ما طافت السفينه بيهم لعدة أيام، رست عند قمة جبل بارناسوس، و هناك نزل ديوكاليون و بيرها، بينما نزل باقى الناس عند قمم بعض الجبال الأخرى فى المنطقه.

قصة الطوفان كانت موجوده تقريباً في أغلب حضارات العالم القديمه، زى الحضاره الهنديه، و كانت القصه موجوده فى أحد النصوص الڤيديه، و الڤيدا هى أقدم الكتب المُقدسه للديانه الهندوسيه.

تشابُه فكرة الطوفان فى أكتر من حضاره قديمه -حتى لو كان بأشكال أو قوالب مختلفه للحكايه-، ممكن جداً أنه يعنى أن الحكايه كان لها أصل تاريخى واحد حدث فى مكان ما على الكره الأرضيه، و كُل حضاره أو ثقافه حولتها لأسطوره أو عقيده تُناسب طبيعة الثقافه أو الحضاره، لكن النقاط المُشتركه فى جميع الروايات كانت:

- أشتراك كُل الروايات فى نوعية العقاب، و هو "الطوفان".
- أن الغضب الألهى فى كُل الروايات، كان سببه أنتشار الفساد البشرى على ظهر الأرض، و هذا يعنى أن الوازع الأخلاقى فى كُل الأساطير كان واحد.

إذن فالقيم الأخلاقيه كانت موجوده عند أغلب -و ممكن أقول كُل- الثقافات و الحضارات الإنسانيه بشكل كبير، صحيح لم يكُن لها وقتها أى شكل دينى غير فى الهند، لأن الهندوسيه كانت أقدم ديانه ظهرت على الأرض، لكن القيم الأخلاقيه عرفتها باقى الثقافات و الحضارات، و حددتها لنفسها بوازع إنسانى فقط.

****

الجزء التانى من هذا الفصل حيكون عن الأديان بشكل عام على الكره الأرضيه، و مدى تأثرها بفكرة إرتباط الكوارث الطبيعه بالغضب الألهى، و ده لأن الأديان بشكل عام، هى المرحله التاليه أو التطور لفكرة الأخلاق. حأبدأ مع أول محطه، من حيث أنتهيت فى الجزء الأول، من الهند، مع الهندوسيه -أقدم ديانه ظهرت على الكره الأرضيه.

بدايةً، عايز أقول معلومه مهمه جداً، مش ناس كتير أتكلمت فيها، و هى الأسم الأصلى للهندوسيه، لأن كلمة الهندوسيه هى كلمه فارسيه، بتُمثل الأسم اللى أطلقه الفرس على سكان بلاد ما وراء نهر السند، فى الجزء الشمالى الغربى من شبه القاره الهنديه و هو "الهندوس"، و سموا البلد ككُل "هندوستان". من بعد الفرس بدأ الأنجليز المحتلين يستخدموا نفس التسميات، و لهذا السبب، أستمر أسم "الهند" و مُصطلح "الهندوس"، مُستخدم ليومنا هذا، طيب أيه هو الأسم الأصلى للديانه الهندوسيه؟

الأسم الأصلى للديانه الهندوسيه هو "البراهميه"، و ده نسبةً للإله "براهما"، و براهما هو الإله الخالق فى الديانه الهندوسيه، و بيُعرف برضه بالإله الأول البدائى. براهما بيُمثل الإله الأعلى فى ثالوث الألهة الهندوسيه الكبيره، و اللى بيضُم معاه الإلهين شيڤا و ڤيشنو.

نلاحظ على طول التشابه بين "البراهميه" و "الإبراهيميه"، و هُناك عشرات بل مئات الأبحاث اللى أتكلمت فى هذا التشابه، و رجحت أن التعبيرين أصلهم واحد، و خاصة فى ظل التشابهات الكتيره بين الأتنين. و بالمُناسبه فالألهه فى الديانه الهندوسيه كانوا فى يوم من الأيام أشخاص صالحين، و مع مرور الوقت تحولوا لألهه، و هو تقريباً نفس اللى تم مع كتير من أصول الألهه، فى أغلب ثقافات غرب أسيا.

من بين التشابهات الكتيره بين "البراهميه" و "الإبراهيميه"، أن إبراهيم هو أبو الأنبياء، بينما براهما هو أبو الألهه. الأغرب هو التفصيله اللى حأقولها، و هى أن الإله براهما و الإلهه "سارڤاتى" (لاحظ التشابه بين الأسم و بين "ساره" الزوجه الأولى

لإبراهيم)، عاشوا مع بعض 100 سنه، و بعدها أنجبوا إبنهم الأول، و هو نفس العمر اللى أنجب فيه إبراهيم إبنه "إسحاق" من زوجته الأولى ساره.

أكتر من تفصيله أُخرى فى منتهى التشابه، لكن علشان مأبعدش كتير عن الموضوع الرئيسى، فلا داعى لذكرهم، لكن فى النهايه، كُل التفاصيل بتؤكد أن ربما بدأت الهندوسيه كديانه من خلال قصة إبراهيم، و بعد كده تمت عمليات الإضافه و التطوير على مدار السنين، و دى فى رأيى هى وجهة النظر الأقرب للصواب.

بلاش تقولى أن ده مستحيل لبعد المسافه، لأن عمر ما المسافات كانت عائق ما بين الثقافات و الحضارات القديمه لنقل الأفكار، بالإضافه للتجاره اللى بدأت بين بلدان الشرق الأوسط و الهند و الصين من قبل الميلاد و لم تنقطع، بس طبعاً التجاره مع الهند كانت أقدم من الصين. التجاره كانت مش بس بتنقل بضائع، لكن كانت بتنقل معاها ثقافه كامله بين الحضارات المُختلفه، فوارد جداً تأثر الهندوسيه بقصة إبراهيم، و نسجها بشكل يُناسب الثقافه الخاصه بيهم، و وارد أن الهندوسيه تكون بدأت من خلال شخصية النبى إبراهيم نفسه، و حُرفت بعد كده.

المهم فى موضوعنا هو فكرة ربط الكوارث الطبيعيه بالغضب الألهى من البشر، و كنت ذكرت وجود أسطورة الطوفان فى الڤيدا (أقدم الكتب المُقدسه الهندوسى)، و دى كانت واحده من عشرات المرات اللى تم فيها ربط الكوارث الطبيعيه بالغضب الألهى، من خلال الكتب المُقدسه الهندوسيه، و أعتقد أن بالطبع الديانه الهندوسيه هى أقدم ديانه لها كتاب مقدس، ربطت الغضب الإلهى بالكوارث الطبيعه، و مش حأخوض كتير فى نصوص الكتب الهندوسيه لأنها كتير جداً، لكن المهم إننا نوصل لهذا المفهوم، أن فناء العالم -أو حتى جزء منه-، مربوط طول الوقت بسلوكيات البشر، و بمدى رضى أو غضب الإله عليهم.

****

مش حأخوض فى الحديث عن باقى الديانات القديمه حول العالم، لأن الفكره حتكون واحده، لكن بأختلاف السرديات و الصياغات، فلا داعى للإطاله، لكن طبيعى إننا ننتقل للجزء الأهم و هو الديانات الإبراهيميه، و نركز معاها بشكل مفصل، أولاً، لكونها أكثر الديانات أنتشاراً و تأثيراً فى العالم كُله، ثانياً، لأنها الديانات اللى شكلت

ثقافتنا و تفكيرنا و عاداتنا، و بالمُناسبه، مش معنى أنك مسلم أنك متأثرتش باليهوديه و المسيحيه، لأن كُل ديانه ظهرت، أستمر تأثيرها فى الدول اللى تم أعتناقها فيها، حتى بعد ما أغلب مواطنى هذه الدول تحولوا لديانات أُخرى، و لنا فى مصر المثال الأكبر و الأوضح.

بدايةً، أحب أوضح أن هُناك خطأ شائع جداً عند المسلمين، و هو الإعتقاد أن الكتاب المُقدس اليهودى أسمه التوراه، الكتاب المُقدس اليهودى هو "التناخ"، و أسمه فى المسيحيه "العهد القديم"، و هو جزء من الكتاب المُقدس المسيحى المقسم لقسمين: العهد القديم و هو التناخ، و العهد الجديد، و هو كُل ما كُتب بعد المسيح من أناجيل، و رسائل، و أعمال رسل، و أخيراً، سفر الرؤيا.

التناخ مكون من 24 سفر، و السفر فى اليهوديه هو زى السوره فى الإسلام، و كلمة سفر بتعنى كتاب. عدد أسفار العهد القديم فى المسيحيه أكبر من عدد أسفار التناخ، بالرغم من أنهم يُفترض تطابقهم، ففى العهد القديم المسيحى عدد الأسفار 39 سفر، مش 24، وده لسببين. أولاً، إعتراف المسيحيه ببعض الأسفار اللى اليهوديه لم تعترف بيها. ثانياً، أن بعض الأسفار عند المسيحيين مقسمه على سفرين، فبالتالى العدد زاد، و ده موضوع طويل مش حنحتاج لشرحه، لكن المهم أن التناخ مكون من 24 سفر، ال5 أسفار الأولى فقط هى اللى أسمها التوراه، و بيُمثلوا الأسفار ال5 اللى نزلت على موسى، أما باقى الأسفار، فنزلت على بعض أنبياء اليهود اللى تواجدوا ما بعد موسى، و بالمُناسبه فكلمة التوراه معناها "الشريعه".

بمناسبة أسفار موسى الخمسه أو "التوراه"، ففى البدايات ظهرت طائفه يهوديه كان أسمها "الصدوقيين"، هذه الطائفه كانت لا تؤمن إلا بأسفار موسى الخمسه، و هى أول طائفه أعتقدت فى عدم وجود حياه أخرى بعد الموت، و كانت لا تعترف على الإطلاق بباقى أسفار التناخ، لكن هذه الطائفه أختفت تقريباً مع التدمير التانى للسنهيدريم "هيكل سليمان"، سنة 70 ميلادياً.

طائفه أخرى ما زالت موجوده ليومنا هذا لا تعترف إلا بأسفار موسى الخمسه، و هى طائفة "السامريين"، لكن أسفار موسى أو التوراه عند السامريين، تختلف تماماً عن أسفار موسى الخمسه عند باقى اليهود، حتى الحج عندهم مش للمكان المُفترض

للسنهيدريم "هيكل سليمان"، لكن لجبل جرزيم فى فلسطين، و لهذه الأسباب لا يعترف بيهم باقى اليهود. السامريين عمرهم ما غادروا فلسطين، من بداية ظهور اليهوديه ليومنا هذا.

طوائف اليهود كتيره و مُختلفة العقائد بشكل كبير، لكن كُل اللى حأذكُره فى هذا الكتاب فيما يخُص اليهود، حيكون أشبه بعملية تجميع لبعض المشتركات العقائديه فيما بينهم، فى إطار المواضيع اللى حيتم طرحها، أو إستعراض وجهات النظر المُختلفه لكل عقيده.

هذه المقدمه الطويله نوعاً ما، كانت بس لتصليح خطأ شائع، و تعال معايا ندخل على الموضوع الرئيسى، و هو مدى إرتباط الكوارث الطبيعيه بالغضب الإلهى على البشر فى المُعتقد اليهودى، و أعتقد أن أكتر ديانه ربطت الكوارث الطبيعيه بالغضب الإلهى، كانت بالفعل الديانه اليهوديه.

حأكتفى معاك ب3 أمثله شهيره جداً من التناخ، و هذه الأمثله التلاته مذكوره برضه فى القرآن، لكن بدرجات متفاوته من الأختلاف، خاصة فى المثال أو الحدث التالت. أول مثالين منهم، يُفترض أنهم أحداثهم كلها وقعت فى مصر.

الحدث الأول و هو تقريباً مذكور فى القرآن بنفس التفاصيل، و أنا هنا باتكلم بس عن تفاصيل الحدث، و هو قصة شق البحر و غرق الفرعون و جنوده، و لهذا السبب أنا حأذكر نصه من التناخ و من القرآن.

من التناخ، من سفر الخروج، و هو طبعاً أحد أسفار موسى الخمسه، الإصحاح 14، الأعداد من 26 إلى 29:

"26 فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ لِيَرْجِعَ الْمَاءُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَ فُرْسَانِهِمْ». 27 فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَ الْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ. فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. 28 فَرَجَعَ الْمَاءُ وَ غَطَّى مَرْكَبَاتِ وَ فُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَ لاَ وَاحِدٌ. 29 وَ أَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ، وَ الْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ."

أنا أكتفيت من القصه ب4 أعداد بس، نظراً لطول القصه فى التناخ، لكن المهم عندى كان الجزء الخاص بأن الله أغرق الفرعون و جنوده فى البحر ، و هنا كان فيه إختلاف شاسع بين سبب إغراق الفرعون و جنوده فى التناخ، و بين السبب المذكور فى القرآن، و من هذه النقطه بتظهر واحده من أهم الخلافات العقائديه بين الديانتين.

اليهوديه ديانه من المفترض أنها غير تبشيريه، و ده كان حقيقى فى أغلب فترات التاريخ، لحد ما أصبح مبدأ مُستقر و راسخ، ففى القصه التناخيه لم يُحاول موسى على الإطلاق دعوة الفرعون للأيمان بأى إله، لأن دعوة موسى كانت فقط لبنى إسرائيل، لكن كانت المشكله ببساطه بين موسى و الفرعون، هى رغبة موسى فى تحرير قومه من العبوديه، لأن بنو أسرائيل -بحسب القصه التناخيه- يُفترض أنهم كانوا عبيد فى مصر، و كان بيتم التعامل معاهم بشكل لا إنسانى، و ده اللى بتقوله القصه التناخيه.

القصه الأسلاميه بتتجه إتجاه مُختلف، أن موسى دعى الفرعون لعبادة الله فرفض، و حنجد هذا النص الدال على ذلك فى سورة النازعات، الأيات من 17 إلى 19 **"إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَ أَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19)"**، و ده إختلاف فى مُنتهى الأهميه عقائدياً، لكن بالنسبه للمعنى اللى أنا محتاج أوصله مش حيفرق، لأن اللى أحنا بناقشه فقط، هى فكرة العقاب الإلهى للبشر، من خلال الكوارث الطبيعيه، فهنا جزئية العقاب الإلهى كانت واحده بأغلب تفاصيلها بين التناخ و القرآن.

الغضب الإلهى ظهر فى صورة كارثه طبيعيه خارقه للعاده، و لم تحدث بنفس الشكل لا قبلها و لا بعدها، و هى إنشقاق البحر لفتره قصيره من الزمن، ليسمح بمرور موسى و العبرانيين أو اليهود، و بعد مرورهم بيعود البحر مره تانيه دون إنشقاق، و يُغرق الفرعون و جنوده بالكامل، كنوع من العقاب إلهى.

من سورة البقره، الأيتين 49 و 50 حنجد نفس القصه، لكن من المنظور القرآنى:

"وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَ فِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَ إِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَ أَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (50)"

الحدث الجلل التانى، و اللى برضه يفُترض أنه وقع فى مصر، و كان فى المرحله الأسبق لخروج بنو إسرائيل من مصر، هو قصة الضربات العشره المذكوره فى التناخ، فى نفس السفر السابق، و هو سفر الخروج. الغريب أن كتير من المسلمين ميعرفوش أو مسمعوش عن هذه القصه، بالرغم من أنها مذكوره فى القرآن، لكن بشكل مختصر جداً، بينما فى التناخ كانت مفصله و طويله جداً.

الضربات العشره هى عشر ظواهر طبيعيه كارثيه أصابت مصر، و كان الهدف منها إجبار الرب أو الله للفرعون بترك بنو إسرائيل -و اللى زى ما ذكرت كانوا بيعملوا كعبيد في مصر- علشان يرحلوا مع موسى، لكن الفرعون كان رافض، فتضررت مصر كُلها برفضه، بعشر ضربات قاصمه، أبتُليت بيها مصر و كُل المصريين. النص من التناخ كبير جداً، تقريباً 6 إصحاحات كامله من سفر الخروج، و هى الإصحاحات من 7 إلى 12، لكن أنا حأذكر فقط الضربات العشره بالأسم، دون الدخول فى تفاصيل.

الدم، الضفادع، البعوض، الذباب، طاعون الماشيه، الدمامل، عواصف برد و نار، الجراد، الظلام، و أخيراً موت الأطفال البكور للمصريين. عشر كوارث، بعضهم أمراض، بعضهم كواراث طبيعيه، بعضهم إبتلاء، برضه كنوع من العقاب للفرعون، لكن العقاب هذه المره شمل مصر كُلها، و أبتُلى بيه المصريين كما أبتُلى بيه الفرعون.

فى سورة الأعراف، الأيات من 133 إلى 135:

"فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفَادِعَ وَ الدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (133) وَ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (135)"

الضربات أو العقاب المذكور فى النص القرآنى كان 5 ضربات فقط، و الأغرب أن 2 منهم مش من بين العشر ضربات المذكورين تناخياً، و هما الطوفان و القمل، لكن

حاكرر مره تانيه أن اللى يهمنى فقط هى فكرة العقاب الإلهى بالكوارث الطبيعه، و ليس التطرُق للإختلافات بين التناخ و القرآن، لكن أنا بتكلم عنها بشكل عابر، لأن الأيات المذكوره فيها الأحداث، بتظهر فيها الإختلافات بشكل واضح جداً، فكان لابد من ذكرها بهدف التوضيح، ليس إلا.

الحدث التالت و الأخير، و اللى بيُمثل أهم حدث تاريخى مذكور فى جميع الأديان الإبراهيميه، هو طبعاً قصة طوفان نوح، و اللى سبق و ذكرته فى بداية الفصل، لأن تقريباً جميع ثقافات و حضارات العالم القديم كُلها كان عندها نفس القصه، لكن بتفاصيل و شخصيات مختلفه، كُلاً تبعاً لبيئته.

قصة طوفان نوح هى أكتر قصه حنجد فيها إختلافات فى التفاصيل، و الأختلافات بالفعل كتيره جداً، و جوهريه جداً جداً، بين النص القرآنى و النص التناخى، سواء إختلافات فى الأسباب أو فى تفاصيل الحدث نفسه، و أنا حأضطر أذكر بعضها لأنها موجوده فى صلب أحداث القصه نفسها.

أول و أهم إختلاف هو سبب الطوفان نفسه، و فى بداية الإصحاح 6 من سفر التكوين بنجد ذكر الأسباب اللى أغضبت الرب من خليقته، و بسببها قرر الإنتقام من البشريه كُلها و إبادتها عن بكرة أبيها.

1 وَ حَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَ وُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، 2 أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. 3 فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَ تَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَ عِشْرِينَ سَنَةً». 4 كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَ بَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَ وَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. 5 وَ رَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَ أَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. 6 فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَ تَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. 7 فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَ دَبَّابَاتٍ وَ طُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ». 8 وَ أَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.

القصه التناخيه غريبه جداً، و مليئه بالتفاصيل، و من بينها تفصيله عجز كُل من حاول تفسيرها عن إيجاد إجابه مقنعه لها، و هى تفصيلة الإجابه عن من هم أبناء الله المقصودين. كتير من التفسيرات كانت فى إتجاه أن أبناء الله هما الملائكه، و أصبح هذا هو التفسير السائد و الغالب.

أما التفصيله التانيه الغريبه جداً، لكن هى مش محتاجه تفسير، لأنها مفسرها نفسها، و هى تحديد الرب لعُمر الإنسان ب120 سنه بشكل مُحدد، فهل كان البشر وقتها يعلموا هذه المعلومه و لا لأ؟ و هل هذا الأمر -تبعاً للنص التناخى- تم و لا لأ؟ و هل طوفان نوح سبق تطبيق هذا النص؟ أنا بأطرح هذه الأسئله بُناءاً على نص الأعداد السابقه. عندى العديد من الأسئله الخاصه بهذه النقطه، لكن بالطبع لايوجد لها أى إجابات، و الأغرب بالنسبالى، أنى عمرى ما سمعت أى شخص حاول يُناقش هذه النُقطه تحديداً بأى شكل جدى.

أرجع لنقطتنا الرئيسيه، و هى أن بسبب الفساد و الشر و الطغيان فى الأرض، قرر الرب إباده البشريه عن بكرة أبيها، و هنا فى القصه التناخيه نوح لم يدعوا أو لم يُبشر بأى شىء، و ده حنجده واضح و صريح فى الأيه 13 من نفس الإصحاح:

13 فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ إِمْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ»

هذه النقطه هى أول نقطه خلافيه بين التناخ و القرآن، و بتُمثل نقطه جوهريه جداً، بالضبط زى نقطه موسى و الفرعون، و هى أن مفيش دعوه دعاها نوح لعبادة الله تم رفضها، لكن الهلاك كان سببه الفساد و الظلم و الشر. القرآن بيذكُر الموضوع بشكل مختلف تمام الأختلاف، و من سورة هود، الأيات من 25 إلى 28، اللى حنجد فيها أن دعوة نوح لقومه لعبادة الله، مذكوره بشكل واضح و صريح:

"وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (25) أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَ مَا نَرَاكَ إِتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَ مَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَ آتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَ أَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28)"

حنجد فى النص القرآنى أن غضب الله على قوم نوح، مرجعيته رفضهم دعوة نوح لعبادة الله، و ده إختلاف فى غاية الأهميه، لأنه إختلاف جوهرى فى سبب الطوفان، فى سبب غضب الله من البشر، و لو ركزنا شويه فى النص القرآنى، حنجد أنه حدد أن الغضب كان على قوم نوح فقط، مش من البشريه كُلها، و ده عكس النص التناخى، فهنا النص القرآنى لم يُحدد أن الطوفان غمر الأرض كُلها، و ده حأكد عليه من سورة الأنبياء، الأيه 77:

"وَ نَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77)"

و هنا حنجد النص واضح و مُحدد، أن من غرق هم الذين كذبوا بأيات الله، و لم يذكر النص إغراق البشريه جميعاً، و ده برضه بالنسبالى إختلاف فى غاية الأهميه. إما باقى الإختلافات بخصوص مين اللى ركب مع نوح، موقف زوجته، هل أبنائه 1 و لا 3، قصة أبنه اللى رفض يركب معاه السفينه فى القرآن، فبرضه هى إختلافات فى غاية الأهميه، لكن بعيده كُل البعد عن موضوعنا الرئيسى.

من القصص برضه اللى جاء ذكرها فى التناخ و القرآن، مع الأختلاف الكبير جداً فى التفاصيل، كانت قصة قوم لوط، و القصه زى كُل القصص السابقه، كانت مختلفة فى التفاصيل بشكل كبير جداً، لكن المهم برضه الرساله اللى وصلت من القصه، سواء فى النص التناخى أو النص القرآنى.

فى النهايه، و قبل ما أُنهى الجزء الخاص باليهوديه، فالتناخ -سواء الجزء التوراتى منه أو باقى الأسفار-، كان ملئ بقصص غضب الرب على البشر، و عقابُه الشديد لهم، و أنا هنا بأخص العقاب الجماعى للبشر، و طبعاً بما أنه عقاب جماعى، فهو دائماً ما يأتى فى صورة كوارث طبيعيه أو أمراض، و ده جزء من الفكر اللى شكل العقليه اليهوديه، و ما زال بيُمثل نوع من العقل الجمعى اليهودى ليومنا هذا، و كنت شفت من فتره فيلم أسمه "God on trial"، و هو فيلم بريطانى تليفزيونى من إنتاج سنة 2008 ميلادياً، بيناقش فكرة غضب الرب الدائم على اليهود، و عقابه الجماعى لهم طول الوقت، من خلال مجموعه من المساجين اليهود أثناء الحرب العالميه التانيه، و اللى أثناءها كان هتلر على وشك إباده كُل اليهود في أوربا.

مجموعة المساجين أثناء تواجدهم فى زنزانتهم، و هى المكان اللى بتدور فيه الغالبيه العظمى من أحداث الفيلم، قرروا يعملوها مُحاكمه لله، فى محاوله لفهم سؤال مُلح بالنسبالهم، و هو: ليه هما شعب الله المختار، و مع ذلك بيسمح الله لكُل هذه الشرور اللى بتُصيبهم بالحدوث؟ و بيبدأ مجموعة المساجين أثناء المُحاكمه، بوضع النظريات و الفرضيات، للإجابه على هذا السؤال، من وجهة نظر الرب أو الله.

****

ننتقل للمسيحيه، و هنا حنكتشف شىء مهم جداً، أن النص المسيحى، و هو العهد الجديد بما يشمله من أناجيل أربعه، و أعمال الرُسل، و رسائل الرُسل لحكام و شعوب الممالك المختلفه، و سفر الرؤيا، لم يذكر هلاك أى أمم سابقه، كما تم ذكرُهم فى التناخ و القرآن، و كان مرجعيته من وجهة نظرى ل3 أسباب رئيسيه:

1. إعتماد الكتاب المُقدس المسيحى على النص التناخى كجزء منه، و سُمى بالعهد القديم زى ما سبق و ذكرت، فلا داعى طبعاً لتكرار نفس القصص فى العهد الجديد، و الأكتفاء بأنها موجوده فى العهد القديم.
2. الفتره الزمنيه اللى بتغطيها الأناجيل، هو فتره زمنيه قصيره جداً، و بتُمثل فتره حياة المسيح، و خاصة فترة طفولته المبكره جداً، و أخر 3 سنوات من حياته، و حتى ذكر فترة طفولته كان فى أضيق الحدود، و مش مذكوره فى كُل الأناجيل، فهنا الفتره التاريخيه المذكوره فى الأناجيل، لم تتعد -فى أغلب الأناجيل- ال3 سنوات الأخيره من حياة المسيح، و مرور سريع على ميلاده فى بعض الأناجيل، و مرور أقل على مرحلة طفولته، و هذه الفترات لم يحدُث فيها أى حوادث كبيره مؤثره، كما الحال فى التناخ.
3. أن الديانه المسيحيه مبنيه أساساً على مبدأ الفداء، أن المسيح جاء ليفدى كُل أخطاء البشر، و ده تم فى المرحلة التانيه للحياه على الأرض، و هى مرحلة ما بعد سفينة نوح، لأن زى ما كنت ذكرت فى الجزء الخاص باليهوديه، أنه يُفترض أن البشريه كُلها فنت، و لم يتبقى منها غير نوح و زوجته، و أولاده سام و حام و يافث و زوجاتهم، و من نسلُهم بدأ النسل البشرى مره أُخرى، فمبدأ المسيح الفادى المخلص لمرحلة ما بعد

سفينة نوح، يعنى أن كُل أخطاء البشر من نوح إلى المسيح، تم فدائها بصلب المسيح.

لكن مع عدم ذكر العهد الجديد لأى قصص عن كوارث طبيعيه، أو فناء أُمم سابقه بسبب غضب إلهى، إلا أن سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى، بيُمثل فكرة الأبوكاليبسيه بأقوى صورها، لأن السفر كُله بيذكُر بشكل غير واضح أو صريح، تفاصيل أحداث نهاية العالم، و ده حيكون موضوعنا فى الفصل بعد القادم، اللى حأتكلم من خلاله عن بعض ما تم ذكره فى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى، من تفاصيل لأحداث نهاية العالم.

****

أشترك القرآن مع التناخ فى ذكر كتير من الأحداث، اللى كانت بتربط الغضب الإلهى و علاقته بالكوارث الطبيعيه، لكن بالطبع كان للتناخ حكايات متفرده لم تُذكر فى القرآن، زى ما القرآن كان له حكايات كتير جداً لم تُذكر فى التناخ، بعضها أتكلم عن أحداث وقعت قبل الكتابه الفعليه للتناخ لكن لم تُذكر فيه، لأن هُناك بعض الأنبياء المذكورين فى القرآن، لم يكونوا من بنى إسرائيل، و حأضرب أمثله بذلك، و البعض الأخر من الأحداث وقع بعد كتابة التناخ بزمن كبير، و بعيد عن بنى إسرائيل، و النموذج التانى حأضرب منه مثل شهير جداً، و هو غضب الله على أبرهه الأشرم لما قرر أنه يتوجه لمكه لهدم الكعبه، و حأذكر الأسباب المذكوره فى جميع كتب التفسير، لهدف أبرهه من هدم الكعبه.

التفاسير كُلها بتتكلم عن أن أبرهه بنى كنيسه فريده فى كُل شئ فى صنعاء فى اليمن، و كان هدفه أن كُل العرب تحج إليها، و كان عايز يصرف العرب عن الحج للكعبه، و ده طبعاً كان قبل ظهور الأسلام ب40 سنه. أرسل أبرهه للملك النجاشى -ملك الحبشه-، رساله بيقوله فيها : **"بنيت لك بصنعاء بيتًا لم تبن العرب و لا العجم مثله ، ولن أنتهى حتى أصرف حجاج العرب إليه ، ويتركوا الحج إلى بيتهم".**

غضب العرب، و خرج رجل من بنى مالك بن كنانة فى صنعاء ، و قام بالعبث بأثاث الكنيسة، و انتهك حرمتها، فثار أبرهة و أقسم على أنه يهدم الكعبة ، و يُرغم العرب على الحج إلى كنيسته. طبعاً باقى القصه معروفه، و حأذكر القصه من سورة الفيل، السوره اللى كانت كُلها بتتكلم عن هذا الحدث:

"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (5)"

القصه فى سورة الفيل ذُكرت بشكل مختصر جداً فى 5 أيات فقط، و المذكور فى السوره فقط هو عقاب الله لأبرهه و جيشه، بدون حتى ذكر أبرهه بالأسم. القصه كما وردت فى كتب التفاسير، أن أبرهه لما تهيأ لدخول مكه، و كان فى منطقه أسمها وادى محسر، برك الفيل الرئيسى فى الجيش، و أمتنع عن التقدم نحو مكه، و أثناء المحاولات الغير ناجحه لتحريك الفيل، أرسل الله عليهم طيراً أبابيل -ومعنى أبابيل أختلف فيه كُل الفقهاء و المفسرون- و كان مع كُل طائر 3 أحجار، حجر فى منقاره وحجرين فى رجليه، و بدأت هذه الطيور -و اللى غطت السماء فوقهم تماماً- فى إلقاء الأحجره، و اللى أنهت تماماً على أبرهه و جيشه.

إذن فمجرد تفكير أبرهه فى تدمير الكعبه، كان سبب فى كوارث كبيره له هو و جيشه، بالرغم من أن الكعبه وقتها كان لا يُعبد فيها غير الأصنام، و كان هذا الحدث قبل ظهور الإسلام، و كان هدف أبرهه من هدمها، هو إعلاء شأن الديانه المسيحيه فى الجزيره العربيه، لكن لأن الكعبه كانت بتُمثل بيت الله، حتى بالرغم من كُل الممارسات الخاطئه اللى كانت بتُمارس فيها خلال هذه الفتره، إلا أن عقاب الله تم لأبرهه و جيشه، من خلال الطير اللى ألقت بهذا الكم من الأحجار على أبرهه و جيشه، و اللى أصابتهم أصابات كبيره جداً، علشان توقفهم عن إستكمال المسير نحو مكه لتدمير الكعبه.

من بين الأنبياء المذكورين فى القرآن و غير مذكورين فى التناخ -لأنه مش من بنى إسرائيل- كان النبى صالح، بالرغم من أنه كان معاصر للأحداث المكتوبه تناخياً، لكن النبى صالح لم يأت ذكره على الإطلاق فى أى نص توراتى، و الغريب أن قصة النبى صالح مع قومه "ثمود" وردت فى القرآن فى سور كتير جداً، مع درجات متفاوته من التفاصيل: فكانت مفصلة فى سور: (الأعراف)، و (هود)، و (الحِجر)، و (الشعراء)، و (فصلت)، و أقل تفصيلاً فى سور: (الإسراء)، و (النمل)، و (الذاريات)، و (الحاقة)، و (الفجر)، و (الشمس)، و أشير إليها فقط فى سور: (التوبة)، و (إبراهيم)، و (الحج)، و (الفرقان)، و (العنكبوت)، و (ص)، و (غافر)، و (ق)، و (النجم)، و (البروج).

من سورة الأعراف، الأيات من 73 إلى 79، حنجد قصة النبى صالح مذكوره بشئ كبير من التفصيل:

" إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَ لَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَ لَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ أُسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِى آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَ لَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79)"

مش حأخوض كتير فى تفاصيل قصة صالح، لأنها مذكوره بشكل واضح جداً فى سورة الأعراف، و هى زى كُل القصص اللى أوردتها من النص القرآنى، بتحكى هلاك قوم رفضوا دعوة أحد الأنبياء للأيمان بالله، و رفضوا معاها بالطبع إتباع أوامر الله، لأنهم فى الأصل رافضين لفكرة الإله الواحد، فأهلكم الله جميعاً، مع إختلاف شكل العقاب الإلهى كُل مره، لكن المشترك فى كُل ما سبق من قصص نقطتين واضحتين جداً، و هما الهدف الرئيسى من كُل القصص السابقه:

1. العقاب الجمعى لكُل الأقوام اللى رفضوا دعوة الأنبياء لعبادة الله.
2. العقاب فورى و غير مؤجل للأخره زى العقاب الفردى، علشان يكون العقاب نوع من العظه للأقوام الأُخرى اللى حيأتوا من بعدهم.

****

أستمر المسيحيين على معتقدهم بأن أى كوارث طبيعيه، هى نوع من الغضب الإلهى، و دليل على وصول العالم لنهاية الأيام، بُناء على هذا الغضب الألهى، لفترة تعدت 1200 سنه. زاد هذا الفكر و المُعتقد خلال فتره الظلام الأوروبى، فى مرحلة ما قبل عصور النهضه. حأدلل على قوة هذا المُعتقد، من خلال كارثتين مُدمرتين

وقعوا، الأولى أصابت أوروبا كُلها، و كانت فى القرن ال14 ميلادياً، تحديداً سنة 1346 ميلادياً، و التانيه وقعت فى البرتغال، فى القرن ال18 ميلادياً، ما بعد عصر النهضه، و كانت سنة 1755 ميلادياً.

حأبدأ بواقعة الطاعون اللى غزا أوروبا كُلها، فى منتصف القرن ال14 ميلادياً، و نظرة الكنيسة الكاثوليكيه له، و التصرف الغريب جداً اللى قامت بيه الكنيسه، كنوع من الحل لكارثة الطاعون، و اللى سُمى وقتها ب"Black Death" أو "الموت الأسود"، الكارثه اللى أستمرت لمدة 7 سنين كامله، من 1346 إلى 1353 ميلادياً، و بالمُناسبه فالجائحه وصلت وقتها من أوروبا، لأجزاء من أسيا و شمال أفريقيا، و مات بسببها 50 مليون إنسان، و هو رقم يُقدر بحوالى 50% من سكان أوروبا فى هذا الوقت.

الكنيسه فى روما إعتقدت أن ما يحدُث هو نوع من الغضب الإلهى، و بدايه لنهاية الأيام على الأرض، فكان من بين ردود فعلها، رد فعل فى منتهى الغرابه، إنها أخرجت موكب مكون من مجموعه من الرجال عرايا الصدر، علشان يطوفوا بأنحاء البلاد، و كُل واحد فى أيده سوط (كرباج)، بيضرب نفسه بيه، زى بالضبط السلوك الشيعى فى يوم عاشوراء، و ده كنوع من التكفير و الإعتراف بالذنب، لأن الرب غاضب على البشريه، فلما الرب يشاهد مذلة شعبه أمامه، و إهانتهم لأنفسهم كنوع من التكفير، فيرفع غضبه و عقابه عنهم.

مع طواف الرجال عرايا الصدر البلاد، بدأ ينضملهم رجال من كُل مكان بيطوفوا فيه، و الغريب أن رحلة الطواف و إنضمام رجال جدد لهم طول الوقت، كانت أحد أهم أسباب زيادة إنتشار الجائحه بشكل أكبر و أوسع، لكن هى دى العقليه اللى بتُحكمها الخرافات المنسوبه للدين، و مدى تأثيرها العكسى طول الوقت.

الكارثه التانيه وقعت فى لشبونه عاصمة البرتغال سنة 1755 ميلادياً، لكن تأثيرها سمع فى أجزاء كتير من إسبانيا، لدرجة أن تأثيرها وصل للمغرب و الجزائر جنوباً، و أيرلندا و جزء من أنجلترا شمالاً، فى واحده من أغرب الكوارث الطبيعيه و الغير طبيعيه فى تاريخ البشريه، لما الصُدفه كمان لعبت دورها فى زيادة حجم الكارثه بشكل مخيف، و الكارثه كانت كارثه مجمعه، أو أقدر أسميها "كارثه كومبو" بكُل المقاييس.

القصه وقعت يوم 1 نوفمبر 1755 ميلادياً، و 1 نوفمبر هو يوم خاص جداً بالنسبه للكنيسه الكاثوليكيه، لأنه يوم الأحتفال ب"عيد كُل القديسين"، و البرتغال واحده من أكتر الدول الأوربيه تديناً، و الغريب أن هذا العيد كان واحد من أهم أسباب مضاعفة الكارثه، بمعنى أن هذه الكوارث لو كانت وقعت فى أى يوم تانى غير 1 نوفمبر، كان حجم الضرر حيقل بشكل كبير جداً، لكن ما حدث كان أبعد من مخيلة أى إنسان على وجه الأرض.

فى هذا اليوم بتوقد الشموع فى كُل مكان، فى الكنايس، فى البيوت، فى المحلات، و ده بيحدُث من بداية اليوم، لكن ما حدث أنه بعد ما الناس أستعدت تماماً للأحتفال، و الشموع أُوقدت فى كُل مكان فى مدينة لشبونه، و فى الساعه 9:40 صباحاً، بيفاجئ الجميع بزلزال قوته وصلت ما بين 8.5 إلى 9 ريختر بيضرب المدينه كُلها.

أستمر الزلزال لمده دقايق، كانت كافيه جداً بأن أغلب المبانى تنهار تماماً، و دى كانت بداية سلسلة الكوارث اللى وقعت خلال هذا اليوم، لأن كم الشموع اللى تم أيقاده فى كافة أنحاء المدينه، أضرم النيران فى كُل شئ، فأصبحت الناس بتهرب فى كل مكان مش من أنهيارات المبانى فقط، لكن كمان من النار اللى مسكت فى كُل شئ فى المدينه، بس ده لم يكُن كُل شئ فى هذا اليوم العجيب.

ناس كتير هربت فى إتجاه البحر، اللى فاجئهم بدوره بمفاجئه أغرب من كُل ما سبق، حصل تسونامى رهيب، و التسونامى هو فيضان للبحر بيمتد لمساحه كبيره

جداً فى إتجاه الشاطئ أو الأرض المجاوره للبحر، التسونامى غرق كُل الناس اللى هربت فى إتجاه البحر، و بالمُناسبه فهو أتحرك بشكل دائرى فى المحيط الأطلنطى، علشان يغطى مناطق كتير جداً فى العالم، زى أنجلترا و أيرلندا شمالاً، و المغرب و الجزائر جنوباً، علشان تتسبب الزلزال و الحرائق و التسونامى، فى مصرع أكتر من 100 ألف برتغالى من سكان مدينة لشبونه، فى خلال ساعات أو يمكن أقل، و هذا الرقم بيُمثل أكتر من 10% من سكان المدينه فى هذا الوقت.

كارثة 1 نوفمبر كانت فارقه فى تاريخ أوروبا كُلها، لأنها كانت السبب فى النقله الفكريه التنويريه الكبيره اللى حدثت نتيجه هذه الكارثه، بالرغم من محاولة الناس و الكنيسه وقتها لتبرير الكارثه كالعاده، بأنها نوع من الغضب الإلهى نتيجة خطايا البشر، لكن لأن الكارثه وقعت فترة عصر النهضه، فلأول مره بتظهر أصوات و أفكار جديده تُجابه الفكر الدينى السائد، علشان يظهر مجموعه من المفكرين، كان على رأسهم الشاعر الفرنسى ڤولتير، فى مُعارضه الفكره السائده، و اللى تم إستغلالها من قِبل الكنيسه لقرون كامله، للسيطره على العقل الجمعى المسيحى الأوروبى.

كارثة لشبونه هزت كُل العقول المُثقفه فى أوروبا، لكن من بين كُل الكُتّاب و الشعراء و المُفكرين اللى تأثروا بالكارثه، و كانت سبب فى تغيير وجهات نظرهم للحياه، و هما بدورهم أثروا فى العقليه الأوروبيه كُلها، حنُذكر 3 مفكرين أستطاعوا نقل الكارثه من مرحلة الخرافه، لمرحلة فكريه و علميه غيرت فى شكل العالم تماماً فيما بعد، و حأبدأ طبعاً بأكثرهم تأثيراً من الناحيه الفكريه، و هو ڤولتير.

ڤولتير عرف بالكارثه بعدها ب23 يوم، طبعاً لأن وقتها مكنش فيه أى وسائل لنقل المعلومه، فكانت مقولته الشهيره: **"نحن نزرع والأجيال المقبلة تحصد. نحن لن نرى بأم أعيننا ثمرات جهودنا وتعبنا وعرق جبيننا. نحن سنموت فى ظل الظلامية الدينية و الخرافات والشعوذات، و لن نرى أول خيوط الفجر. و لكن لا يُهم! المُهم أن ينتصر التنوير، و أن تستمتع به الأجيال المقبلة. التقدم سوف يحدُث حتما، و سوف يشع بأنواره على كُل أوروبا، و ربما على البشرية بأسرها"**

تأملات ڤولتير للكارثه أثمرت عن قصيده مطوله سوداويه ساخطه أسمها "قصيده عن كارثه لشبونه". ڤولتير سمى القصيده أسم مُرادف دال جداً، و هو **"فحص**

المُسلَّمه القائله "إن كُل شيء على ما يرام""، و بعدها كتب ڤولتير روايه فلسفيه ذات نبرة ساخره جداً أسمها **"كنديد أو المتفائل"**.

تانى شخص أثرت فيه الكارثه، فأثر بدوره فيما بعد فى الفكر الأوروبى بشكل خاص، و الإنسانى بشكل عام، كان جان جاك روسو، و هو فيلسوف و كاتب من أصل سويسرى، لكنه عاش أغلب حياته فى فرنسا. جان جاك روسو عارض ڤولتير فى رؤيته، كان له وجهة نظره الخاصه، لكن كانت نظرته للكارثه بشكل عام أكثر عمليه، و علل الكارثه بالتكدس السكانى، و سوء التصرف البشرى، بعيداً تماماً عن الجانب الدينى، و كانت مقولته الأشهر عن الكارثه، و اللى بتُطابق وجهة نظره: **"لا ينبع الشر من طبيعة العالم، ذلك أن الله أحسن خلقه و أتقن صُنعه، إن الشر نابع من تدخل الإنسان وسوء تصرفه".**

تالت شخص كان الفيلسوف الألمانى أيمانويل كانط، و بالرغم من كونه فيلسوف، إلا أنه نقل الكارثه لمستوى تانى خالص، و هو المستوى العلمى، لأنه كتب عن زلزال لشبونه فى 3 نصوص، لكن مش بوصفها كارثه أو مأساه، لكن بشكل علمى، كظاهره حاول يوصفها و يحلل أسبابها، و كان أول تحليل علمى لهذه الظواهر الطبيعيه فى تاريخ البشريه، فتمكن كانط من تقديم نظريه مبدئيه فى مجال الزلازل و البراكين، كانت بدايه لتخصص علمى ظهر بعد كتاباته مباشرةً، و من هنا ظهر تخصص علمى أسمه علم الزلازل، و أختفت معاه لأول مره نظرية "الغضب الآلهى من عقلية المواطن الأوروبى.

****

فى نهاية هذا الفصل، و هو الخاص بمفهوم تقلبات و كوارث الطبيعه، و ربطها بالخطيئه البشريه، و تصوير التقلبات و الكوارث كنوع من الغضب أو العقاب الإلهى، لازم نُقر أن هذا النوع من الفكر أو العقيده، مستمر ليومنا هذا، و كان فى أعلى درجاته مع المسيحيه خلال القرون الوسطى، لما كانت السلطه الكنسيه الكاثوليكيه هى الحاكم الحقيقى للممالك و الأمبراطوريات الأوروبيه خلال هذه الفتره، و كانت سلطتها -فى كتير من الأحيان- فوق سلطة الملك نفسه، و الموضوع ده حنمر عليه فى واحد فى فصل "بأسم الرب"، فى المحطه التالته من الكتاب.

ممكن تفتكر معايا كم الصلوات اللى تمت أثناء فترة جائحة كوفيد 19، الجائحه اللى تم إعتبارها فى أماكن كتير من العالم، نوع من الغضب الإلهى، و هذا النوع من التفكير ما زال مُنتشر جداً، خاصة فى الجانب الإسلامى، لكن هذا لا ينفى تواجده فى بعض الكنائس المسيحيه على مستوى العالم، لكن بشكل أقل نوعاً ما.

أخر مثال حأضربه هو "صلاة الأستسقاء" و اللى بيقوم بيها عدد كبير من المسلمين فى مناطق مختلفه من العالم طلباً للمطر، و لو كنت مش عارف أيه هي صلاة الأستسقاء، فهى صلاه جماعيه بيقوم بيها المسلمين تضرعاً لله، هدفها الوحيد طلب نزول المطر فى بعض المناطق الجدباء

نستخلص بشكل سريع جداً أن مبدأ أو فكرة ربط تقلبات الطبيعه و الكوارث الطبيعيه بالغضب اللإلهى، هو مبدأ و فكر متوغل فى العقل البشرى الجمعى من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، مع أن الكوارث بتحصل للمؤمن و غير المؤمن، للمجتمعات الدينيه و المجتمعات غير الدينيه، بالعكس ده فيه كوارث أكبر و أخطر من الكوارث الطبيعيه، زى الأورام مثلاً، لكن لأنها لم تترسخ فى العقل الجمعى البشرى من البدايه، فمحدش بيتعامل معاها بنفس فكرة التعامل مع الكوارث الطبيعيه، مع أن كوارث زى قنابل هيروشيما و ناجازاكى على اليابان أثناء الحرب العالميه التانيه، أو إنفجار مفاعل تشيرنوبيل، و كم الأضرار و الدمار اللى نتج عنهم، و الأرواح اللى ماتت بسببهم، أضعاف أضعاف أى كارثه طبيعيه، لكن فى النهايه، هو ده العقل الجمعى اللى أتربينا عليه من بداية التاريخ، حتى يومنا هذا.

29 مارس 2024

"إني (ياإلهي) لم أجع و لم أبك أحدا، و ماقتلت و ما غدرت، بل و ما كنت محرضا على قتل" نص من كتاب الموتى

ما وراء الموت

يعنى أيه أن إنسان كان لسه معاك، فجأة يتحول لكتله بلا نبض؟
ليه جسمه فقد كُل الحراره اللى كانت فيه؟
ليه مش قادر يتحرك أو يتكلم؟
أيه السر اللى وصّل هذا الإنسان، أنه يصبح مش قادر يتواصل معانا مره تانيه؟
طيب، هل هو حيرجع لحالته الأولى و لا لأ؟
طيب لو مش حيرجع، هو حيروح فين؟
أيه اللى أختلف فيه، بالرغم من أن جسمه لسه موجود؟
ليه رائحة جسمه بتتحول مع الوقت لرائحه كريهه؟
ليه جسمه بيضمحل و بيتغير لونه؟

عشرات الأسئله اللى أكيد كانت حتدور فى عقلى، لو كنت واحد من هؤلاء البشر اللى عاشوا هذه التجربه، بدون القدره على فهم ما يحدُث، حتى لو كان مات عندهم بدل الإنسان ألف إنسان، لكن برضه كان صعب عليهم إيجاد أى إجابات، و أكيد أسئلتى دى دارت فى عقولهم، زى بالضبط ما كان من المُمكن أنها تدور فى عقلى.

يمكن يكون بعض هذه الأسئله، أستطاعت البشريه أنها توصل لإجابات له، لكن يبقى السؤال الأهم، و اللى أكيد فى البدايات، لم تستطع عقولهم البسيطه الإجابه عليه، و هو ما معنى "الروح"؟ "الروح" اللى بيحاول بعض العلماء حالياً إنكارها، و التعامل مع الموت، على أنه هو الوصول لمرحلة عدم قدرة القلب و العقل عن أداء وظائفهم، ليتحول الموت لمجرد موضوع فسيولوجى بحت.

و زى ما كان "المجهول" الأول -و هو كوارث الطبيعه-، السبب الرئيسى فى التفكير بوجود إله، كان "المجهول" التانى و هو الموت، السبب الرئيسى فى التفكير بضرورة وجود قوانين حاكمه للكون، و أن الموت مش نهاية الرحله على الإطلاق، و من هنا بدأ العقل الجمعى البشر يفكر فى حتميه وجود "الدين".

رحلة الإنسان مع مفهوم الموت رحله طويله جداً، بدأت، و لم و لن تنتهى، لأنه ما زال واحد من أهم أسرار الحياه، و بالتأكيد تحول هذا السر لعشرات المفاهيم و المُعتقدات. بعض هذه المُعتقدات حول الموت لحاله من الحزن، و بعدها حوله لحاله من التفائل المشوب بالحذر، و البعض التالت حوله لحاله من الفرح و السعاده، و كُل حاله من التلاته كان ليها وجهة نظرها المقنعه جداً، لكن علشان نوصل لكُل تلك المفاهيم، لازم نبدأ الرحله من البدايه، من أول رد فعل للإنسان تجاه الموت، من أول فكره وصلتلها البشريه عن "ما وراء الموت"، و أزاى تم التعامل مع هذه الفكره، وصولاً فى رحلتنا -فى الكتاب التانى- لتجارب الموت القريب، اللى أنتشرت بشكل لافت للنظر، و تجارب الطب اللى بدأت تدرس، إمكانية التحكُم فى الموت.

****

الكاتب جاك شورون ذو الأصل الروسى، لكنه عاش أغلب حياته فى ألمانيا، كان واحد من أهم الكُتّاب اللى أتكلموا عن الموت، و صدر له أكتر من كتاب عن مفهوم الموت، و كان كتابه "الموت فى الفكر الغربى"، واحد من أيقونات الكُتب اللى أتكلمت عن "مفهوم الموت" بشكل عام. شورون كان له وجهة نظر خاصه بالموت فى حضارات ما قبل التدوين (الكتابه)، و هى أن الإنسان البدائى فى البدايه، لم يتمكن من أنه يستنتج من حالات الوفاة اللى عايشها، أن الموت ضرورة حتمية للوجود البشرى، لكنه كان مُعتقد إن الموت هو دايماً نتيجة لعوامل شريره، زى القتال أو الإصابة بلعنه أو السحر الأسود، لكنه لم يتصور فى البدايه، إمكانية وفاة أى شخص، بدون أى أسباب شريره.

مع التطور العقلى و النفسى للإنسان، و بعد ما تجاوز العقليه البدائيه، بدأ الإنسان يتجه نحو الفرديه، و بدأ لأول مره يستخدم الإستدلال المنطقى، فأصبح عنده القدرة على أنه يستخلص من كُل حالات الموت اللى كانت بتمر بيه، قانون عام مضمونه "أن البشر كُلهم للموت".

كاتب أخر له مفهوم مُختلف عن الإنسان و الموت، و هو ڤولتير، الكاتب الفرنسى الشهير، اللى له مقوله هامه و داله جداً نصها: **"الجنس البشرى هو الجنس الوحيد**

الذى يعرف أنه سيموت، و هو يعرف ذلك من خلال التجربة، لأن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى لديه إدراك واضح بالموت."

مره تانيه حنستخدم أحد الأبحاث الأكاديميه، علشان يكون مصدر قوى لبداية شرح الفكره، و أفضل بحث وصلت له كان من جامعة National Louis University فى مدينة شيكاغو الأمريكيه، قدمه دكتور ديڤيد سان فليبو سنة 2006، و هو برضه بحث صغير جداً، 16 صفحه فقط، و كان عنوانه: **"وجهات نظر تاريخيه حول السلوكيات تجاه الموت"**، و برضه أنا ترجمته ترجمه غير جوجليه، و كالعاده حنبدأ بفقرات صغيره من مقدمة البحث.

"كانت عملية الموت طول الوقت مؤلمه و سريعه. بعض المجتمعات البدائيه كانت بتخاف الموت، لإعتقادهم بأن الموت مش بيحدُث كعمليه طبيعيه، لكن بإعتباره حدث خارج إطار الطبيعه. فى نفس الوقت، كانت بعض المجتمعات التانيه مش بتخاف من فكرة الموت، لأنهم متعاملوش مع الموت كنهايه للحياه، لكن كحالة تغير فى الوجود، بتنتقل من خلاله الروح لعالم آخر، و علشان كده، كان لا بد من أن طقوس الجنازه، تكون أشبه بعملية تجهيز الروح للرحله القادمه للعالم الآخر."

من المؤكد أن أغلب الحضارات القديمه تعاملت مع الموت بنسبه كبيره من التقديس، سواء كان بمفهوم أن هذا الحدث (الموت)، هو حدث خارق للطبيعه، أو أنه بيُمثل عملية إنتقال لشئ غامض موجود داخل الإنسان، شئ ليس له جسد مادى على الإطلاق، لكن هو اللى بيحكُم تصرفات الإنسان و سلوكياته، و أن الأنتقال للحياه الجديده، مربوط بكُل ما قام به هذا المُتوفى من أعمال فى حياته الأولى، الحياه اللى عاشها ما بين أقرانه، اللى مازالوا متواجدين و عايشيين، داخل هذا المُجتمع.

بدأت كُل المُجتمعات و الحضارات و الثقافات القديمه، تتبنى نظريه -أو هى أشبه بعقيده-، أن فيه نوع من المُحاكمه بتتم لهذا المُتوفى، بيُحاسب فيها على جميع أعماله الدنيويه، و بتُبنى عليها المرحله الجديده من حياته. كان الهاجس الأساسى هو، هل حيكون مصير هذا المتوفى حياه جديده أفضل، و لا حياه تعيسه أسوأ، عقاباً له على أفعاله خلال الحياه الأولى.

و من هنا بدأت عملية التجنيز، و تحويلها لطقس عقائدى، بيتم من خلاله تجهيز المُتوفى للمرحله التاليه، و بالطبع عملية التجهيز أو التجنيز، أختلفت من حضاره لأُخرى فى مظاهرها و تفاصيلها، لكن أغلبها تقريباً أشتركت فى الهدف منها.

أرجع مره أُخرى للبحث اللى بدأنا من خلاله هذا الفصل، و حأقتبس منه فقره تانيه و أخيره، بتتكلم عن سلوكيات بعض الحضارات و الثقافات القديمه تجاه الموت، فى مرحلة عصور ما قبل الكتابه:

" فى كتير من المجتمعات فى فترة ما قبل التدوين (الكتابه)، كانت النقطه الأهم اللى شغلت الناس، هو مدى تأثير المُتوفين على الأحياء. فالأحياء كانوا إما بيبجلوا و بيحترموا المُتوفى (بعد وفاته)، أو بيخافوا منه. و فى بعض المجتمعات تم الاحتفاظ بذكريات المُتوفين حيه، من خلال عمل النُصب التذكاريه لهم، أو عمل أى نوع من الطقوس للمُتوفى، أو حتى من خلال الحكايات اللى كانت بتُحكى عن المُتوفين. فى بعض المجتمعات الأُخرى، كان فيه حاله من الخوف من المُتوفين، بسبب الخوف من الأذى اللى ممكن يسببوه للأحياء. و من باب الخوف، أحياناً مكنش بيتم الأعتراف بموت شخص ما من قبل المجتمع، و كانت طقوس الجنازات فى كتير من الأحيان، بتُصمم "كنوع من التكريم" لمن رحل، أو كنوع من تعويض المخاوف بسبب الحقد المُحتمل للموتى تجاه الأحياء.

مره أُخرى بنتأكد أن الموت كان مفهومه أكبر من التصور، فأصبح هُناك أما حالة تبجيل و تجليل للمُتوفى، و تقديس ذكراه بعد وفاته، أو الخوف من عودة روح المُتوفى مره أُخرى، بهدف الإنتقام من المجتمع، و إلحاق أى نوع من الأذى له، و من هنا بدأ الوصول لأول مفهوم لهذا الشئ اللا مادى اللى تم تسميته "الروح"، و أحياناً كما فى اليهوديه "النفس".

أنا أختصرت سريعاً جزء عصور ما قبل التدوين (الكتابه)، مش لعدم أهميتها، لكن لأن التوثيق عليها مش كتير، و أنا بحاول طول الوقت أتكلم بما هو موثق و مؤكد بشكل قاطع. من هنا حنبدأ رحلتنا الأهم فى هذا الفصل، فى مرحلة ما بعد التدوين (الكتابه)، فى الحضارات اللى أزدهرت فى مرحلة ما قبل الأديان الإبراهيميه، أو حتى المُعاصره لبدايات الديانه اليهوديه، علشان نبدأ نكتشف إلى أى مدى تم تقديس و إجلال الموت فى جميع الحضارات القديمه، و أيه كان مفهومه فى كُل حضاره، و أزاى

كانت عمليه التجنيز بتُمثل طقس دينى هام جداً، لكن فى النهايه كان الأهم من كُل ما سبق، هو مفهوم "ما وراء الموت".

****

أول حضاره حنتكلم عنها هى الحضاره السومريه، و هى أقدم الحضارات اللى ظهرت على أرض بلاد ما بين النهرين أو العراق حالياً، و واحده من أقدم الحضارات الإنسانيه بشكل عام، و فى الأغلب هى أقدم أو مُزامنه لبدايات الحضاره المصريه القديمه. فى البدايه أحب أوضح أن هُناك فرق بين السومريين و السامريين، علشان بعض الناس بتعرف السامريين من الكتب المُقدسه، و كنت أتكلمت عنهم فى الفصل السابق، و هما موجودين حتى يومنا هذا فى فلسطين، و أسمهم مُشتق من مدينة السامره. أما السومريين، فهما أبناء أول حضاره ظهرت على أرض بلاد ما بين النهرين فى مدينة سومر.

الحضاره السومريه من الحضارات اللى كان لها خصوصيتها بشكل مميز و واضح، و اللى ألهمت كتير من الحضارات و الثقافات اللى ظهرت فيما بعد، و من بحث أسمه **" فكرة الموت والشعائر الجنائزية المُقدسة عند السومريين"**، و البحث موجود فى موقع مكتبة جامعة بابل بالعراق، للباحث قيس حاتم هانى الجنابى، حأبدأ الكلام عن مفهوم الموت فى الحضاره السومريه. فى البدايه حأقتبس بعض الفقرات الهامه، اللى حتكون -كالمُعتاد- مدخلنا للموضوع.

"تعد فكرة الموت و ما بعده و الخصب، أحد أهم مميزات السومريه، و لم تقتصر أهميتها بكونها استمرت سائدة لقرون طويله فى بلاد النهرين حسب، بل إعتنقتها أغلب الحضارات التى برزت فى العراق القديم، كالأكديين والبابليين والآشوريين، و كانت كُل حضاره من هذه الحضارات تضيف إليها من أفكارها و ممارساتها الخاصة، ما يكفل لها الإستمرارية و التطور، و أمتد تأثيرها فى الفكر الإنسانى للأقوام الأُخرى فى الشرق الأدنى القديم، لاسيما الأقوام التى كان لها تماس و إتصال مباشر أو غير مباشر، مع سكان بلاد النهرين كالكنعانيين و الحيثيين.

إننا حينما نتحدث عن الموت و أثره فى الفكر الإنسانى، علينا أن ننتبه إلى أن إنسان العصور القديمة لم يكن يعبه بالموت إذا ما نزل فى أعدائه، لأنهم كانوا فى

صراع مستمر، لكنه ينتبه و يتوقف عند الموت، عندما يخطف منه أحد المقربين إليه، أبيه أو أمه أو زوجته أو ابنه أو حتى صديقه المقرب، أى أن المحببين لدينا هم الذين ينبهونا بخطورة الموت، إذا ما رحلوا إلى العالم الثانى، و هذا ما دفع الإنسان إلى الإيمان بحتمية موته، و بالتالى ضرورة إيجاد الحل لهذه المشكلة الواقعةً حتماً."

الإقتباس السابق، أنا أهتميت أوضح من خلاله نقطتين. الأولى، تأثير حضارة سومر و أفكارها و معتقداتها، على أغلب الحضارات اللى تلتها أو عاصرتها. النقطه التانيه، و هى فى غاية الأهميه، تتمثل فى أن الإنسان طول الوقت مش بيفكر فى أى مشكله، غير لو كان طرف فيها، هذه النقطه من البحث أثارتنى جداً، أن الموت لم يكُن يحرك فى عقل هذا الإنسان البدائى أى شىء، غير لو هو شخصياً عانى من أثاره. موت الأعداء كان بالنسباله إنتصار، مصدر فرحه، مش مصدر حزن و تفكير على الإطلاق، فلم يكُن يشغله، لكن موت القريبين، هو اللى بدأ يُحرك شئ داخله، و كان الدافع له على التفكير فى "ماهية الموت".

أكمل معاك جزء تانى من الأقتباس، علشان أبدأ بعدها فى الدخول فى شرح الموضوع من وجهة نظرى:

"كان تفكير الإنسان فى الموت ينصب على سبب موت شخص معين تحديداً، و ليس التفكير عن سبب الموت نفسه، لذا، و بعد أن يعجز الفكر السومرى عن الإجابة عن تساؤلاته حول الموت، نراه يتجه إلى إرادة الألهة التى جعلت الموت مقدراً على البشر منذ خلقهم، و هذا ما يرد بوضوح فى "ملحمة جلجامش"، إذ جاء على لسان صاحبة الحانه "سيدورى" وهى تخاطب "جلجامش" قائلةً: "إلى أين تسعى يا جلجامش، أن الحياة التى تبغى لن تجد، حينما خلقت الآلهة العظام البشر، قدرت الموت على البشريه".

حأختصر معاك ما جاء فى البحث، عن مفهوم الموت عند السومريين. كانت أهم نقطه بالنسبالى، هى عدم تيقن السومريين من وجود حياه أُخرى بعد الموت، و عدم التيقن معناه أنهم لم يكُن لديهم تصور واضح لما بعد الموت، علشان كده لم يتم بناء العقيده على هذا المفهوم، لكن تم بناءُها على أن فى الأغلب، الموت هو أخر

الرحله، فكان تركيز السومريين بشكل كبير جداً على الحياه، و ده كان المُنطلق الرئيسى لكُل السلوكيات الحياتيه فى الحضاره السومريه، و كان الموت فى نفس الوقت هو شغلهم الشاغل، لأنه بيُمثل نهاية كُل شىء فى الحياه، مش بدايه لمرحلة جديده.

العقيده الرئيسيه عند السومريين كانت هى إستئثار الألهه بالخلود و الوجود الدائم، و لهذا السبب، أهتم السومريين ببناء المعابد الضخمه للألهه، و الحرص الشديد على تزيينها و تقديم الهدايا والقرابين، و ده كان نوع من محاولة إرضاء الألهه، علشان تمد فى أعمارهم، و هذه المعلومه بتوضح لنا أن الخوف من الموت، كان واحد من أهم أسباب قيام الحضاره السومريه العظيمه، لأن الأبنيه الضخمه المهيبه، اللى بتُضاهى منشأت الحضاره الفرعونيه فى عظمتها، كان الهدف منها إرضاء الألهه، و أرضاء الألهه كان الهدف الرئيسى منه إطالة أعمارهم، و الرغبه فى إطالة الأعمار بالطبع، كان السبب منها هو الخوف الدائم من الموت.

حأقتطع جزء تانى من البحث يدعم الفكره الخاصه بعدم التيقن من وجود حياه أُخرى، و أيه الأسباب اللى أدت للوصول لهذه لفكره فى العقليه السومريه :

"يُلاحظ على إنسان بلاد النهرين، إنشغاله الدائم بمشاكل الحياة الدنيا، و الصراع المرير اللى إتخذه، من أجل السيطره على البيئه المحيطه بيه، سواء كانت بيئه طبيعيه أو بيئه سياسيه، فرضها عليه موقعه الجغرافى، الأمر اللى أبعده نوعاً ما عن التفكير بجديه فى الحياه الأُخرى، و الإعتقاد بالخلود فيها، و ده واضح جداً من خلال عدم بروز فكرة الخلود بأى شكل عند السومرين. لم يظهر إيمان السومرين بوجود دار للعقاب و دار للثواب بعد الموت، لكن كانوا بيعتقدوا بأن عقاب الألهة و ثوابها، بيتموا فى الحياه الدُنيا اللى بيحيوها فى العالم الأرضى، و فى هذا العالم يوجد دار الثواب و دار العقاب، أما العالم الأخر (العالم السفلى)، فكان من وجهة نظرهم، مكان للإقامة الدائمة للموتى، و لا يُفرق بين الأخيار و الأشرار. و يبدو أن فكرتهم عن مكان الموت فى العالم السفلى، و وصفه بالمظلم اللى لا يصلُح للسكن، إنتقلت للفكر الأسطوري الإفريقى، بدليل ما جاء فى أسطورة (الموت و الخالق) من (كينيا)، اللى أعتبرت الموت مكون أخر يضاف للحياه الدنيا."

هذا المبدأ، و هو فكرة الشك فى وجود حياه أُخرى، و تساوى المذنب مع غير المذنب، أعطى للشخصيه العراقيه طبيعه خاصه جداً، و هى ما يُمكن أن يوصف بالطبيعه العمليه. العراقى شخص عملى جداً، شاطر جداً فى أى عمل بيقوم بيه، شاطر فى إدارة المشروعات، مُحارب و مقاتل قوى، و الجيش العراقى طول الوقت من أقوى جيوش العالم، و ده لأن العراقى بيتمع بغريزة "حب الحياه"، مُتمسك بالحياه و ملذاتها، و من هنا بنشوف إزاى هذا الفكر اللى مر عليه أكتر من 5000 سنه، شكل عقلية كُل من عاش على أرض العراق حتى يومنا هذا، حتى لو كانت عقيدته الأيمانيه أختلفت تمام الأختلاف عن عقيدة السومرين، لكن أحياناً الموروث الثقافى بيكون أكثر تأثيراً من الأثر الدينى، و حنشوف ده فى الحضاره التاليه، و هى الحضاره المصريه القديمه.

****

من الأخطاء الشائعه الإعتقاد بأن العقيده الدينيه في مصر القديمه كانت واحده على مر التاريخ، بالعكس العقيده الدينيه فى الأسر الحاكمه المُتعاقبه، تم تغييرها أكتر من مره، و يؤكد على ذلك المثال الأشهر اللى كُلنا عارفينه، و هو أخناتون، اللى حول العباده من مجموعه من الألهه، على رأسهم أمون رع كبير الألهه، لدعوه توحيديه لعبادة الإله "أتون"، إله الشمس فقط.

المصريين القدماء كانوا فى كتير من معتقداتهم على العكس تماماً من السومريين، أكثر روحانيه، أكثر تصديقاً بالغيب و المجهول، بدليل وجود ظاهرتين لم يوجدا قبل أو بعد الحضاره المصريه القديمه، ظاهرتين لم تتطرق إليهما أى حضاره فى تاريخ البشريه كُلها. الظاهره الأولى، هى ظاهرة **"كتاب الموتى"**، الكتاب اللى بيُمثل دليل للمتوفى، للإستعداد لِما سيُلاقيه فى رحلته ما بين الموت، و ما بين بداية حياة الخلود. أما الظاهره التانيه، فهى تتمثل فى الهدف من فكرة "التحنيط"، و الإحتفاظ بحالة و شكل الجسم، علشان لما الروح تعود إليه مره أُخرى، أولاً، تتعرف عليه، ثانياً، تجدُه بحاله تصلُح للرجوع إليه مره أُخرى.

المصرى القديم كان مؤمن بالبعث والحياة الأبدية بعد الموت، و هذا الإيمان نشأ من مراقبته لبعض الظواهر الطبيعية و أهمها دورة الشمس والنيل، و من هنا بدأت

الأساطير، و أهمها الأُسطورة الخاصة بالإله "أوزيريس"، و اللى فيها كانت الشمس بتغرُب (تموت) فى الغرب، علشان تُشرق (تُبعث) فى نهار اليوم التالى. أما النيل فكان دايماً بيفيض فى ميعاد محدد كُل سنه، علشان يقوم بعملية رى للأرض الميته (البور) و يحولها لأرض صالحة للزراعه مره أُخرى.

كمان كان للأحلام دور مهم جداً فى ترسيخ إيمان المصريين بهذه الفكره، لأن رؤية الأقارب المُتوفين فى الأحلام، كانت بتُجدد الإيمان بأن الناس اللى توفوا لم يظهروا فقط فى الحلم، لكن ما زالوا عايشين، لكن فى عالم آخر.

أهتم المصريون القدماء بالموت من فجر التاريخ، من عصور ما قبل الأسرات، و أعتبروه مرحلة من مراحل الحياه، و لهذا السبب، تعامل المصرين مع الموت، عكس ما تعامل معاه السومريين، لضمان وصول المُتوفى لحياه جديده، تضمن له الخلود بسلام، و ده كان سبب إهتمام المصريين القدماء بشكل كبير جداً بالمبانى الجنائزيه، لأنهم أهتموا ببناء المقابر، بنفس درجة أهتمامهم ببناء المعابد، بدءاً من بناء مقبره أو بيت الأبديه للمُتوفى، و نقش بعض تفاصيل حياته على جدرانها، و تحنيطه لضمان حفظ جسده و ملامحه، و إقامة شعائر جنائزيه خاصه له، و قراءة نصوص و صلوات فى جنازته، وصولاً لرحلة البعث والخلود فى الحياه الأبديه.

العلم توصل أركيولوچياً، لعصر ما قبل الأسرات الملكيه فى تاريخ مصر القديم، و ده كان من خلال جباناته (المدافن)، لأن العادات الجنائزية خلال هذه الفتره، تأثرت بأسلوبين، كُل واحد منهم كان بينتمى لواحده من الحضارات المُبكره، و هما حضارتى "نقاده" فى الجنوب، و "بوتو" فى الشمال.

حضارة الشمال لم تهتم بوضع مقتنيات جنائزيه مع المتوفى، فى حين أهتم الجنوبيين جداً بوجود المقتنيات الشخصيه للمُتوفى مع جثمانه داخل المقبره، فكانت الأوعية و الأوانى الشخصيه بتُوضع فى المقبره، علشان تُصاحب المتوفى فى رحلة الخلود، و كان الغرض منها أن يُوضع فيها بعض الأطعمه، اللى حيحتاجها المتوفى فى رحلته الأبديه.

أوصل معاك للظاهره الأولى، و هى كتاب الموتى، الفكره اللى تفردت بيها الحضاره المصريه القديمه على كُل حضارات العالم فى هذا الوقت، كتاب الموتى كُتب بناءً على

كتير من المفاهيم اللى سبقت كتابته، و كمان تم تصويرها فى رسومات و نقوش، بدايةً من عصر الأسره التالته، لحد ما تم كتابته بشكل نهائى، أثناء حُكم الأسره ال12.

كتاب الموتى فى البدايه، كان عبارة عن مجموعه كبيره من التعاويذ مكتوبه على ورق البردى، و معاها كتير من الرسوم التوضيحية، و تم وضع هذه البرديات فى المقابر و داخل القبور مع الموتى. الهدف من التعاويذ و الرسومات كان **"إرشاد المُتوفى لكيفية تخطى مخاطر الحياه الأُخرى، بتمكينه من تكهن شكل المخلوقات الأسطوريه، و تزويده بكلمات المرور الضروريه، للمرور من بعض أماكن العالم السفلى."**

التعاويذ كان لها دورا تانى فى غاية الأهميه، و هو إمداد الروح بمعرفة مُسبقه عن كُل مرحله حيقابلها، أثناء رحلته للوصول للعالم الأخر.

فى مرحله تاليه، فى حدود 1600 قبل الميلاد، و أثناء فترة حُكم الأسره ال16، تم تقسيم التعاويذ لفُصول، و من هنا بدأت مجموعة التعاويذ و الرسومات تتخذ شكل الكتاب، و بدأت أهميه الكتاب تزداد، و الأغرب أنه بدأت عملية Customization للكتاب، بمعنى أن بعض الأشخاص أو العائلات، كانوا بيطلبوا نوع من الأدعيه أو التعاويذ المخصصه لهم، و كان فيه بعض الأشخاص -اللى كانوا بيُمثلوا فئه من الكهنه-، مُخصصين لكتابة هذا النوع من الأدعيه و التعاويذ، و ده علشان تُتلى خلال التعاويذ الجنائزيه بعد وفاتهم، زى مثلاً ما شخص يُطلب أن الناس تدعيله دعوات مُخصصه له أثناء جنازته.

بدأ كتير من المصريين القدماء إذا ما أصابهم مرض، و بدأوا يخافوا من الموت، أنهم يطلبوا هذا النوع من الدعوات المُخصصه، و علشان كده، كان لازم الكاتب يعرف و بصدق، كُل التفاصيل عن هذا المتوفى، و ده علشان يفهم نوع الرحله اللى ممكن يتوقعها للمُتوفى بعد وفاته، و من هذا المُنطلق، يتمكن من كتابة التعاويذ المُناسبه لهذا الشخص، و تكون مُخصصه لرحلته القادمه فى الحياه الأُخرى.

قبل ما أكمل معاك فى الحضاره المصريه القديمه، و أزاى أتعاملت مع الموت، أحب أتكلم فى نقطه، زى اللى أتكلمت فيها عن السومريين. المصريين أول شعب وضع أُسس أخلاقيه، بالرغم من عدم وجود دين واضح فى البدايات. المصريين أول

شعب أمن بالحياه الأبديه بعد الموت، الحضاره المصريه أول حضاره أسست لمفهوم الثواب و العقاب و الحساب، و وجود حياه أُخرى، حيُجازى فيها الإنسان عن أعماله الدنيويه، فمفيش شخص حيُظلم، على الأقل الثواب و العقاب، حيكون فى حياته الأبديه. طبعاً الديانه البراهميه (الهندوسيه) سبقت كمفهوم ديانه، لكن المفهوم الدينى الأخلاقى فى الحضاره المصريه القديمه كان أرقى، حتى بالرغم من عدم وجود ديانه متكامله، طيب أزاى أثرت هذه الجزئيه، على شخصية الإنسان المصرى حتى يومنا هذا؟

المصرى أصبح شخص مش كثير الشكوى، مش بيتذمر على حكامه، و ده لسببين. الأول، لأيمانه الشديد بوجود قوه أكبر قادره على حل مشاكله أو مظالمه فى أى لحظه، فأصبحت عنده هذه الحاله من السكينه النفسيه طول الوقت. أما السبب التانى، فكان تأكده من أن الثواب على صبره أو أبتلائه موجود، حتى لو كان مُؤجل لحياه أُخرى، بس بالتأكيد هو موجود.

بالإضافه لأن الأديان المُتعاقبه على الشعب المصرى، و أخص بالذكر الديانه الأسلاميه، وصلوا الإنسان المصرى على مدار التاريخ لقناعه مُعينه، بأن الحاكم هو ظل الله على الأرض، إن طاعته واجبه طول الوقت، و كان بيُؤكد على ذلك علماء الدين الأسلامى على مدار التاريخ، و خاصةً فى عصور الخلافات الإسلاميه. لكُل هذه الأسباب، فالشخصيه المصريه أصبحت شخصيه روحانيه و مستكينه، و مش صداميه بشكل كبير، و ده مرجعيته مره أُخرى، راجع لثقافة الحضاره المصريه القديمه، و اللى رسخت كُل هذه المفاهيم من البدايات الأولى لظهور الحضاره فى مصر، و أصبحت موروث فى العقل الجمعى المصرى ليومنا هذا.

أوصل للظاهره التانيه المميزه فى الحضاره المصريه القديمه، و هى ظاهرة التحنيط. إكتشاف المصريين للقدماء للتحنيط لأول مره، تم فى الأغلب بالصدفه، لكنهم بعد إكتشافهم لأفضل الطرق للتحنيط، إستخدموه بشكل عقائدى للإحتفاظ بشكل الجسد، علشان لما تعود إليه الروح للدخول فيه مره أُخرى، تقدر تتعرف عليه بسُهوله، لأنه حيكون محتفظ بنفس حالته و شكله.

و بالمُناسبه، ففكرة رسم القدماء المصريين لنفسهم طول الوقت بدون ملابس بتُغطى الجزء العلوى، كان له سبب دينى يخص نفس المُعتقد، و هو أن الروح لما حتدخل المقبره، حتقدر تتعرف بسهوله على أنها مقبرتها، و أن هذا الجسد هو جسدها، من خلال الرسومات اللى بيظهر فيها الجسد بشكل شبه عارى.

تفصيله أُخرى تخُص التحنيط، و هى أن فى البدايه، و قبل فكرة التوابيت اللى كانت بتُوضع فيها أجساد المُتوفين، كان المُتوفى بيتم تحنيطه على وضع الجنين، و ده طبعاً بسبب الإعتقاد بأن المُتوفى حيتم إعادة ولادته، و بما أن الأرض بتُمثل طول الوقت الأم، فبيتم التحنيط بصورة الجنين، لأن المُتوفى -بالنسبالهم- بيكون أشبه بجنين داخل بطن أمه.

أصل معاك لواحده من أغرب العادات المصريه القديمه، و اللى ما زالت بتُمارس حتى يومنا هذا، لكن الأغرب أن مفيش أى شخص سأل نفسه، أحنا بنمارس هذه العاده الغريبه جداً ليه؟ البعض بيعتقد أنها عاده دينيه، لكن هذه العاده بيُمارسها المُسلمين و المسيحيين على حد السواء، فأستحاله تكون عاده دينيه، أنا لا أعتقد أن هُناك أى إنسان من اللى بيُقيموا هذه العاده أو الطقس، ركز فى هذه النقطه على الإطلاق، و أنا بأعتبرها أغرب عاده بتُمارس فى مصر، و هى طقس "ذكرى الأربعين".

فى البدايه ليه مفيش حد سأل هو ليه اليوم الأربعين تحديداً؟

الإجابه حتكون من الحضاره المصريه القديمه، من رحلة المتوفى لعالم الخلود، و كُل هذه التفاصيل مُدونه فى مجموعه من الرسومات، على بعض الجداريات داخل المعابد أو المقابر.

ليه اليوم الأربعين تحديداً؟ الإجابه لها تفاصيل كتيره. طقوس عملية التحنيط كانت بتستغرق أربعين يوم بالضبط، و كان فى المُعتقد المصرى القديم أن فى اليوم

الأربعين، بتتحرر الروح تماماً و بتبدأ رحلة العالم الأخر، بعد ما بتكون أطمئنت أن الجسد أصبح محفوظ فى مكان أمين، و ده طبعاً بعد إنتهاء عملية التحنيط. حالياً أحنا كمصريين بنُعيد نفس الأحتفاليه الجنائزيه، لأننا بنذهب لقبر المُتوفى و بنُحيى ذكراه، سواء بقراءة القرآن أو بقداس فى الكنيسه، بعد رحيل المُتوفى بأربعين يوم، كأننا لسه فى نفس يوم دفنه.

نكمل سؤال ليه المصريين القدماء كانوا بيحتفلوا فى اليوم الأربعين، و ليه الروح كانت بتتحرر فى اليوم الأربعين تحديداً؟ نهاية عملية التحنيط لم تكُن فقط هى السبب الوحيد، و حنكتشف أن فى الرسومات الموجوده على الجداريات، و اللى بتتكلم عن هذه النقطه تحديداً، موجود فيها تفاصيل بتوضح أن فيه أربع ربات أو إلهات، بيقوموا بمصاحبة المُتوفى طوال فترة عملية التحنيط، من لحظة موته لحد يوم المحاكمه، و اللى برضه بتكون فى اليوم الأربعين، و بيفضلوا معاه لحد ما يطمئنوا أنه تمكن من عبور المحاكمه. الأربع ربات أو إلهات هما أيزيس، نفتيس، نيت، سركت، و علشان كده المصريين القدماء كانوا بيحتفلوا باليوم الأربعين، مش بس لأن عملية التحنيط بتكون تمت، و لكن السبب الأهم -زى ما قلنا-، هو عبور المُتوفى من المحاكمه، و إستعداده لرحلة العالم الأخر، و ده بيُمثل السبب الرئيسى للإحتفال.

نقطه غريبه و ممكن تكون خارج سياق موضوعنا، و هى ليه تقسيم ال4 ربات أو إلهات على مدار ال40 يوم؟ النقطه إجابتها ببساطه هى فى الوحده الزمنيه المستخدمه وقتها لما نُسميه حالياً الأسبوع، و اللى طبعاً تسميته مبنيه على رقم 7. فى مصر القديمه لم يكُن الأسبوع 7 أيام، كان 10 أيام، أى أن الوحده التكراريه للأيام هى 10 مش 7، إذن فكُل ربه أو إلهه كانت بتصاحب المُتوفى لمده ما يشبه الأسبوع عندنا، و علشان كده هما أربع ربات أو إلهات، لأربع وحدات زمنيه تكراريه.

الموت عند المصريين القدماء كان جزء من عملية الخلق، لكن الطريقة اللى فهموا بيها مفهوم الموت، هيمن عليها حاله كبيره من الخوف، و حنستدل على ذلك من خلال نداء من الموتى للأحياء، بيعود إلى عصر الدولة الوسطى، و كان نصه: **"أنتم يا من تحبون أن تحيوا و تكرهون أن تموتوا."**

تطور مفهوم الموت فى الدولة الحديثة، و حنجد فى أحد النصوص الجنائزيه اللى كان نصها بيُخاطب المُتوفى مكتوب : **"أنت يا من كان يلتف من حولك جمع غفير من الخدم، أنت الأن فى البلد الذى يحب العزله، و من كان يسير بساقيه، هو مُكبل الأن، مقمط فى لفائفه و ساكن بلا حركة. و من كان له وفره من الأقمشة، و يحلو له إرتداء الثياب، يرقد الأن بملابس الأمس، و من كان يحب أن يشرب، هو الأن فى بلد بلا ماء".**

أطلق المصريون القدماء على العالم الأخر "دات أو دوات" و اللى بتعنى "عالم الأخره أو العالم السفلى"، و أطلقوا على الأبدية كلمة "جت". المصريون القدماء كانت عقيدتهم أن بعد الموت، جسدهم الروحى حيستمر فى الوجود فى حياه أُخرى، بتُشبه إلى حد كبير عالمهم اللى كانوا عايشين فيه، لكن كان من المُؤكد، أن الدخول للحياه الأُخرى مشروط. كان على الموتى أنهم يخوضوا رحلة خطيره و طويله فى العالم السفلى، قبل أن يُسمح لهم بالوصول لمرحلة الحُكم النهائى، فإذا نجحوا، كان مطلوب منهم توفير القوت الأبدى لأرواحهم، و كان ده بيتم، عن طريق إتخاذ كُل الإستعدادات المُناسبة، أثناء حياة الشخص نفسه.

أوصل معاك للمُحاكمه، -و اللى زى ما ذكرت سابقاً- بيُسأل فيها المُتوفى مجموعه من الأسئله من كتاب الموتى، لكن الأهم فى كُل التفاصيل كانت ريشة ماعت، الريشه اللى بتوضع فى ميزان له كفتين، كفه عليها ريشة ماعت، و الكفه الأُخرى عليها قلب المُتوفى، فلو كانت الريشه أثقل من القلب، فهذا يعنى أن المُتوفى كان شخص طيب

و على خلق أثناء حياته، فبيدأ حياته الأُخرى فى حديقة "الجنه". أما إذا كان القلب أثقل من الريشه، فهذا يعنى أن المُتوفى كان فى حياته شخص خاطئ و شرير، و هُنا بيتم ألقاء القلب و المُتوفى أمام حيوان خرافى بيقف بجوار الميزان أسمه "عممعموت"، رأسه رأس أسد و جسده على شكل فرس النهر، و له ديل تمساح، فبيقوم عممعموت بأكله، و بتكون دى نهاية المُتوفى.

رحلة المُتوفى للوصول للعالم الأبدى فيها تفاصيل كتير شيقه و مثيره، أنصحك بقرأتها، و هُناك عشرات الكُتب اللى أتكلمت عن هذا الموضوع، لكن المُهم هو الفكره، هو إيمان المصرى القديم بوجود حياه أبديه بعد الموت، بوجود ثواب و عقاب لكُل أفعاله الدنيويه، و الأهم من كُل هذه التفاصيل، أيمانه بأن الموت هو مرحله أو ممر ما بين حياته الأرضيه، و حياته الأُخرى الأبديه.

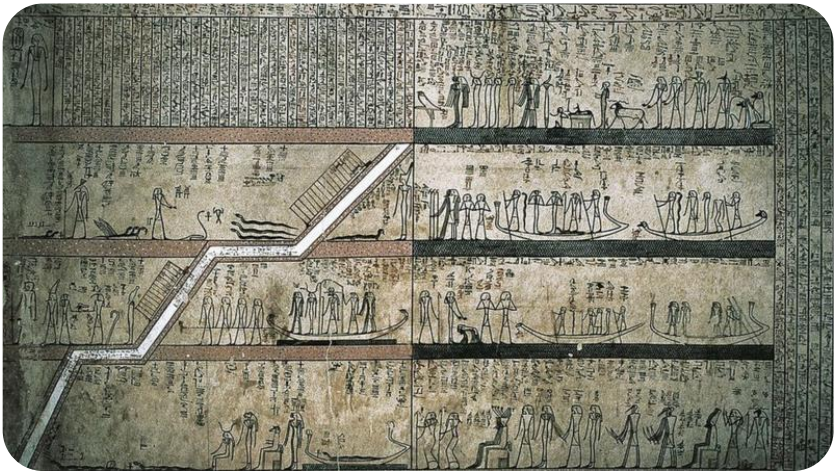

****

تالت حضاره حأتكلم فيها عن مفهوم ما وراء الموت فيها، حتكون الحضاره الهنديه القديمه، و زى ما سبق و ذكرت، فالبراهميه أو الهندوسيه هى أقدم ديانه فى تاريخ البشريه، عمرها أكتر من 5000 سنه، و الأغرب أنها مستمره حتى يومنا هذا، و مش بس دى التفصيله الغريبه الوحيده فى الديانه البراهميه أو الهندوسيه، الأغرب أن هذه الديانه ليس لها أى نبى أو شخص دعى إليها، أو كتاب مُقدس مُحدد زى باقى

الديانات، هى أقرب لأسلوب حياه أكتر منها ديانه، و هى مُرتبطه جداً بالثقافه الهنديه، علشان كده صعب جداً أنك تجد أى شخص مؤمن بيها خارج دولة الهند، و ده على العكس تماماً من البوذيه، و اللى كتير من الناس خارج الهند و الصين و نيبال -الموطن الأصلى للبوذيه- بيتبعوا تعاليمها.

أهم ما يُميز المُعتقد الخاص بالموت عند الهندوس، و اللى أنتقل لجميع الديانات الشرق أسيويه الأُخرى، و طبعاً على رأسها البوذيه، هى فكرة أن الروح بنتتقل مباشرة لجسد كائن أخر فى لحظة ولاده.

المُتوفى تبعاً لأعماله أثناء حياته، روحه بتنتقل لجسد جديد، جسد بيكون فى لحظه ولاده، لكن طبيعة هذا الجسد بتتوقف على أعمال المُتوفى، و هذا المفهوم المُسمى "كارما"، فلو كانت أعمال المُتوفى أعمال صالحه، حتدخل الروح جسد أفضل من الجسد اللى كانت فيه فى المرحله السابقه، يعنى ببساطه حتدخل فى جسد شخص حيكون أفضل من الشخص اللى كانت فيه فى الحياه السابقه. أما لو كانت أعماله غير صالحه، فهنا الروح ممكن تدخل جسد بشرى أقل، أو ممكن تدخل جسد حيوان، أو حتى نبات، و ده بسبب ال"كارما"، اللى بتُمثل نوع من العقاب لهذا المُتوفى، علشان يقدر يحسن من حياته و يرتقى بروحه، من خلال رحلته الحياتيه الجديده، للوصول لجسد أفضل.

بتستمر الروح فى دوراتها المتتاليه، و الهدف من دورات الحياه الممتاليه للروح، هو وصول الروح لمرحله تكون أكتسبت فيها المعرفه النهائيه، و قدرت تحرر نفسها من قيود العالم المادى، و هنا تكون الروح وصلت للمرحله النهائيه أو ال"موكشا".

فى مرحلة ال"موكشا" بتكون الروح ليست فى حاجه لدخول أى أجساد أُخرى، أو تعيش أى دورة حياه تانيه، لأن الروح بتكون وصلت لمرحلة التوحد التانيه و النهائيه مع روح الإله الأكبر "براهما" -اللى سبق و أتكلمت عنه-، لأن المرحله الأولى من التوحد مع الإله "براهما"، بتكون قبل مرحلة خلق الروح نفسها.

من هنا بنفهم ليه الموت هو طقس مُفرح عند الهندوس، لأنه بيكون أشبه بحفلة عرس، يُفترض أن الروح بتنتقل من خلاله لمرحله أعلى، و بما أن الجسد ما هو إلا وعاء فقط، لهذا بتتم عملية حرق الجسد تماماً، لأنهم بيعتقدوا أن عملية الحرق

بتُسرع من عملية خروج الروح من الجسد، و قديماً كانت عملية الحرق بتم دايماً عند نهر جانجس المُقدس، و بيتم إلقاء الرماد المُتبقى من جسد المُتوفى فى النهر. لكن حالياً، و بسبب تغيُر ظروف الحياه، فكتير من الناس مش بتتمكن من حرق جسد المُتوفى عند نهر جانجس، لكن أحياناً بيتم فى بيت المُتوفى نفسه، لكن بالتأكيد لو تمت الطقوس عند نهر جانجس، فبالطبع بيكون أفضل للمُتوفى فى رحلته الجديده..

تفصيله مهمه جداً و طريفه جداً حأنهى بيها كلامى عن الديانه البراهميه أو الهندوسيه، و هى أن فى كُل سنه، بيحج حوالى 20 ألف هندى لمدينه فاراناسى، أقدس مدينة فى الهند، و هى مدينه بتقع على ضفاف نهر جانجس، أملاً فى أنهم يموتوا هناك، لأن بعض الهندوس بيعتقدوا أن بإمكانهم الخروج من دائرة الولادة الجديده، و الوصول المُباشر لمرحلة ال"موكشا"، إذا ماتوا و تم حرق جسدهم فى هذه المدينه. و بالمُناسبه فعلى ضفاف نهر جانجس، بيتم حرق حوالى 100 جسد يومياً.

إذن فما وراء الموت فى الديانه البراهميه أو الهندوسيه، هو رحلة حياه جديده، بتبدأ بعد الموت مباشرةً، و لو وصلت الروح لأخر رحله ليها، فما بعد الموت حيكون حياه أبديه، بتتوحد فيها الروح مع روح الإله "براهما"، الإله الأكبر و الأعظم،

بمعنى أن مفيش موت تقريباً فى الدنيا البراهميه أو الهندوسيه، هى مجرد وقفات لا تتعدى الساعات، علشان تنتقل أثناءها الروح من جسد لجسد أخر.

الديانه البراهميه أو الهندوسيه -زى ما سبق و ذكرت- تأثرت بيها جميع الديانات الشرق أسيويه الأُخرى، فحنجد مفهوم ال"كارما" و ال"موكشا" موجود فى جميع الديانات الأُخرى، لكن البوذيه أضافت لهم بعد فلسفى مهم جداً، كان سبق و أتكلمت عنه فى الكتاب السابق، لكن المُهم هو فكرة ما وراء الموت ذاتها، فكرة الحيوات (جمع حياه) المستمره، للوصول للهدف الأكبر، و هو التوحد مع الخالق فى البراهميه أو الهندوسيه فى مرحلة ال"موكشا"، أو مرحلة ال"نيرڤانا" فى البوذيه.

****

أخر ثقافه من ثقافات العالم القديم، حناقش من خلالها مُعتقد "ما وراء الموت"، حتكون الثقافات الأفريقيه بشكل عام. حأبدأ بثقافه مُهمه و هى قبيلة إيجبو النيچيريه. قبيلة إيجبو بتُعتبر هى الأصل العرقى الحقيقى لسُكان نيچريا، و تُراث القبيله يحمل فلسفه مُهمه و خاصه جداً فيما وراء الموت، بتتشابه بشكل كبير، مع فلسفات بعض قبائل أمريكا الجنوبيه.

تعاملت تقاليد قبيلة إيجبو مع فكرة الموت على أنه موت جسدى فقط، أن المُتوفى بيموت بجسده لكن روحه بتظل على قيد الحياه، و أن أرواح المُتوفين بتظل موجوده بالمكان، بتراقبهم و بتابعهم، و لهذا السبب، تعامل أهالى قبيلة إيجبو على أن أرواح الأجداد موجوده معاهم، حتى لو كانوا مش قادرين يشوفوا أو يتواصلوا مع هذه الأرواح، لكن العكس صحيح، الأجداد المُتوفين شايفنهم و عارفين الأحياء بيعملوا أيه لحظه بلحظه.

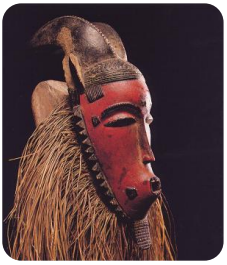

أعتقد أهالى قبيلة إيجبو أن هُناك طريقه للتواصل مع أرواح الأجداد اللى عايشه ما بينهم، و ده عن طريق التنكر من خلال لبس الأقنعه، و طبعاً كانت دائماً ما بتكون أقنعه خشبيه، و أغلبها على أشكال وجوه، هى مزيج ما بين وجه الإنسان و الحيوان، زى القناع الموجود فى الصوره.

بعيداً عن قبائل إيجبو، فعقيدة الموت فى الثقافات الأفريقيه القديمه، كانت قريبه جداً من فكرة الموت فى الهند القديمه. كانت القبائل الأفريقيه بتتعامل مع مسار الحياه على أنه دائرى، مش خطى، و أن الأسلاف اللى ماتوا، ما زالوا على قيد الحياه، لكن فى عالم مختلف، و ممكن جداً أنهم يتقمصوا شخصيه جديده، و يرجعوا للحياه فى ولاده جديده بشخصيه جديده، و ده يُعتبر المرحله التانيه لمُعتقد قبيله إيجبو فى عقيدة "ما وراء الموت".

الموت بالنسبه لأهالى قبائل إيجبو لم يكُن شئ طبيعى، إلا لو حدث بصوره مُعينه، لكن عدا هذه الصوره، فالموت هو إما نتيجة سحر أو غضب الألهه، أو بسبب الإساءه للأسلاف المُتوفيين. لكن فى نفس الوقت كانوا بيعتبروا الموت فى سن كبيره، و دى كانت الصوره الوحيده المقبوله للموت، هو من أهم طقوس العبور للحياه الأُخرى.

برضه كان من المُعتقدات عند قبيلة أيجبو، أن روح المُتوفى اللى أصبحت فى عالم أخر، بيكون عندها قوى خارقه للطبيعه، بتُمكنهم من السيطره على حياة الأحياء، عن طريق المُباركه أو اللعن، أو حتى إعطاء الحياه أو أخدها. هذه القدرات الخاصه كانت سبب لإعتبار التحول من الحياه الأرضيه للحياه الأُخرى، هو هدف لكُل الناس، لكن كان يُشترط أن الشخص يكون بيحيا حياه لها معنى، حياه يكون فيها شخص مفيد و نافع للمجتمع اللى بيعيش فيه.

الشرط التانى للوصول لهذه لمرحله، أن الموت يكون بسبب طبيعى، و زى ما أنا لسه ذاكر، أنه يكون فى سن كبيره، مش موت مفاجئ و فى سن صغيره، أو موت نتيجة حادثه أو حرب أو قتل، أو أى نوع من أشكال الموت الغير طبيعى، بالإضافه لأن الموت الطبيعى، بيُمكن الناس من أنهم يتوقعوه و ينتظروه، سواء كان نتيجه مرض طويل أو ما شابه، و ده بيُتيح الفرصه للمُتوفى قبل وفاته، من أنه يودع جميع أقاربه أو المحيطين بيه.

كلمة "سلف" هى الهدف من الموت، أن الشخص يحصُل على هذا اللقب "سلف" أو "Ancestor"، و لهذا السبب، فيجب أن طقوس الدفن تتم بشكل صحيح، و إلا تحولت الروح لشبح مُتجول هائم على وجهه، و غير قادر على الأستمرار

بشكل صحيح بعد الموت، و يُصبح كائن غير مفهوم، يعيش فى حاله ما بين الأحياء و الأسلاف، كائن بيُشكل خطر على كُل اللى مازالوا على قيد الحياه، و من هنا بتظهر الأهميه القصوى لطقوس الدفن، تجنباً لتحول المُتوفى لشبح بدلاً من سلف.

و أخيراً، و بعد ما أستعرضنا أربع حضارات و ثقافات مُختلفه تواجدت فى مرحلة ما قبل الأديان، أو مرحلة بدايات ديانه زى الهندوسيه، فحنجد أن تقريباً أغلب الحضارات و الثقافات القديمه، كانت مؤمنه جداً بأن الموت مش نهاية الرحله على الإطلاق، ما عدا الحضاره السومريه، اللى لم يكُن لديها أى تأكيد لهذه الفكره، لكنها لم تُنكرها. بالعكس فالموت فى أغلب الحضارات و الثقافات، كان بدايه للحياه الأهم، أو رحلة صعود لحياه أفضل، و ده يمكن يكون مرجعه نفسى، إن الناس طول الوقت بتصبر نفسها على فقدان الأعزاء، فكانت التعزيه عن فقدانهم، دائماً ما بتتمثل فى نقطتين. الأولى، أنهم أكيد موجودين فى مكان أفضل، و التانيه، أننا حنتقابل أن أجلاً أو عاجلاً.

06 أبريل 2024

" لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ." أنجيل متى 21:7

خلود

بعد ما تنقلنا بين مجموعه من الحضارات الإنسانيه و الثقافات القديمه، سواء فى مرحلة ما قبل التدوين (الكتابه) أو بعدها، و عرفنا أزاى كان مفهوم الموت فى كُل حضاره أو ثقافه، و هل كان بالنسبالهم الموت هو النهايه، و لا هو عملية إنتقال مرحلى، حنقوم بنقله جديده، حنتحرك فيها بالزمان و المكان، من الثقافات و الحضارات فى مرحلة ما قبل الأديان، و نوصل لمرحلة للأديان، و البدايه تاريخياً و كالمُعتاد حتكون من التناخ، سواء أسفار موسى الخمسه الأولى المسماه "التوراه"، أو باقى أسفار التناخ بشكل عام.

عايز أوضح فيما يخُص جزئية التناخ، نقطتين فى غاية الأهميه. الأولى، هى أن كُل المؤرخين بيأكدوا أن التناخ ككُل، بما فيه طبعاً أسفار التوراه الخمسه، تم كتابته أثناء فترة السبى البابلى، و فترة السبى البابلى، هى فتره كانت ما بين 539 ل333 قبل الميلاد بشكل تقريبى. خلال هذه الفتره، حاصر الملك نبوخذ نصر البابلى، مدينة أورشليم (القدس)، و بحسب القصه اليهوديه أن نبوخذ نصر هدم المعبد الأول اللى أقامه الملك سُليمان، أثناء حصار الملك نبوخذ نصر للمدينه، و تم سبى عدد كبير جداً من اليهود المُميزين، و تم إنتقالهم لبابل.

تاريخ ولادة و وفاة موسى يعودان لفتره أقدم من السبى البابلى بحوالى ألف سنه أو أقل شويه، و هذا يعنى أن التوراه و باقى أسفار التناخ، كُتبوا بعد الوقت المُفترض لهم بفتره كبيره جداً، خاصةً أسفار موسى الخمسه أو التوراه، و ده حقيقى، و حأدلل عليه بشئ بسيط جداً، و هو أخر 6 أعداد فى أخر سفر من أسفار موسى الخمسه أو التوراه، و هو سفر التثنيه.

فى سفر التثنيه، الإصحاح 34 و الأخير، الأعداد من 7 ل12:

"7 وَ كَانَ مُوسَى إِبْنَ مِئَةٍ وَ عِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ، وَ لَمْ تَكِلَّ عَيْنُهُ وَ لاَ ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ. 8 فَبَكَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ ثَلاَثِينَ يَوْمًا. فَكَمُلَتْ أَيَّامُ بُكَاءِ مَنَاحَةِ مُوسَى. 9 وَ يَشُوعُ بْنُ نُونٍ كَانَ قَدِ امْتَلأَ رُوحَ حِكْمَةٍ، إِذْ وَضَعَ مُوسَى عَلَيْهِ

يَدَيْهِ، فَسَمِعَ لَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ عَمِلُوا كَمَا أَوْصَى الرَّبُّ مُوسَى.10 وَ لَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِي فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ، 11 فِي جَمِيعِ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ الَّتِي أَرْسَلَهُ الرَّبُّ لِيَعْمَلَهَا فِي أَرْضِ مِصْرَ بِفِرْعَوْنَ وَ بِجَمِيعِ عَبِيدِهِ وَ كُلِّ أَرْضِهِ، 12 وَ فِي كُلِّ الْيَدِ الشَّدِيدَةِ وَ كُلِّ الْمَخَاوِفِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي صَنَعَهَا مُوسَى أَمَامَ أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ."

الأعداد السته بتتكلم عن وفاة موسى و ما حدث بعد وفاته، فهل يُعقل أن شخص يكتب تفاصيل وقعت بعد وفاته، أو حتى يعرفها؟ خاصةً أن من المُفترض أن التوراه نزلت على موسى و هو فى سيناء، و ده كما تقول القصه اليهوديه، يعنى كمان قبل وفاته ما بين 40 ل60 سنه، و ممكن 80 سنه كمان، فمش الأعداد السته السابقه فقط اللى حيكونوا كُتبوا بشكل مستقبلى، ده كُل ما كتب عن الأحداث اللى مر بيها موسى و بنو أسرائيل ما بعد فترة سيناء، حتكون كُتبت بشكل مستقبلى و سابق للأحداث، بفتره طويله جداً.

إذن فكُل ما يقوله المؤرخين من أن التوراه و التناخ كُتبوا أثناء فتره السبى البابلى، هو الأقرب بشكل كبير جداً للحقيقه، ده إذا لم يكُن الحقيقه فعلاً، فهنا أحنا أمام نصوص كُتبت بعد الأحداث بأزمنه مختلفه، ممكن تصل لألف سنه فى حالة أسفار موسى الخمسه، و أنا تعمدت أنى أذكر هذه النقطه فى البدايه، لأنها حتوضحلنا تماماً النقطه التانيه و هى الأهم، و هى اللى حتخص موضوع هذا الفصل، و هو مفهوم ما بعد الموت فى اليهوديه.

من موقع المكتبه اليهوديه، و هو موقع رسمى مُعتمد، وجدت كثير من المعلومات، اللى حتشرح لنا بشكل واضح و مُفصل النقطه التانيه، و هى معلومات أنا كنت عارفها مُسبقاً، بس كان لازم و أنا بكتبها، أنى أذكر مرجع يُمكن لأى قارئ الرجوع إليه، و ده موقع المكتبه الرسمى:

https://www.jewishvirtuallibrary.org/

بيذكُر الموقع أن داخل نصوص التوراه، و اللى بتُعتبر أهم نص يهودى على الأطلاق، لا يوجد أى ذكر أو إشاره لوجود حياه أُخرى بعد الموت على الأطلاق، و

أنا حأقتبس هذا الجزء، بُناءً على ترجمتى لما هو مذكور على الموقع، علشان يكون كلامى مُدعم تماماً.

"التوراة، أهم نص يهودى، لا تحتوى على أى إشارة واضحة إلى وجود الحياة الأُخرى على الإطلاق. و يبدو أن الأموات بينزلوا إلى شيول، و شيول هو نوع من الجحيم، و هناك بيعيشوا حياة أثيريه غامضه (عدد 16: 33؛ مز 6: 6؛ إشعياء 38: 18). و بيُقال أيضًا أن أخنوخ «سار مع الله و لم يوجد. لأن الله أخذه» (تك 5: 24)؛ و أن إيليا نُقل إلى السماء فى مركبة من نار (2ملوك 2: 11). حتى المقطع الكامل اللى أتكلم عن هذا الموضوع، و هو حادثة إستحضار الأرواح المتعلقة بالنبى الميت صموئيل فى عين دور، لما قامت روحه من الموت عن طريق ساحره، بناءً على طلب من شاول، مش بيُلقي غير بقليل من الضوء على هذا الموضوع .(1 صموئيل 11: 11). 28:8 و ما يليها).

المعلومه الوحيده الأكيده اللى بتظهر بوضوح من كُل المقاطع المذكورة أعلاه، هى أنه كان هُناك إعتقاد بوجود الحياه الأُخرى بشكل أو بآخر. و على الرغم من إدعاء الحاخامات التلموديين بوجود إشارات كتيره بتُشير إلى هذا الموضوع فى الكتاب المُقدس، لكن بالفعل كانت أول صياغة كتابية صريحة لعقيدة قيامة الأموات فى سفر دانيال، فى المقطع التالى:

" كثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياه الأبديه، و هؤلاء إلى التعيير و الرذل الأبدى (دانيال ١٢: ٢؛ أُنظر أيضًا إشعياء ٢٦: ١٩؛ حزقيال ٣٧: ١ وما يليها)."

إذن فليه لم تتناول التوراه هذه القضيه، إذا كانت اليهودية تؤمن بـ "العالم الآخر"؟ جوزيف تيلوشكين بيشرح: "أظُن أن هُناك علاقة بين عدم مناقشة الحياه الأُخرى، و حقيقة أن التوراه نزلت مباشرة بعد الإقامه اليهودية الطويله فى مصر، لأن المُجتمع المصرى اللى خرج منه العبيد العبرانيين (اليهود)، كان مُتأثر جداً بالموت والحياة الأُخرى، و كان أقدس عمل أدبى مصرى بيُسمى كتاب الموتى، فى حين كان الإنجاز الرئيسي للعديد من الفراعنة هو تشييد المقابر العملاقه، و اللى كانت بتُسمى الأهرامات، و فى المقابل، فإن التوراه كانت برضه مهووسه بهذا

العالم الما ورائى، لدرجة أنها كانت بتمنع تماماً كهنتها من ملامسة جثث الموتى (لاويين 21: 2)."

و بالتالى، أفترض تيلوشكين أن اليهوديه كان من المُفترض أنها تختلف عن الديانات الأُخرى بشكل جزئى، بسبب الطريقه اللى يُمكن بيها استخدام فكرة الحياه الأُخرى بطرق خبيثه. و بيضرب تيلوشكين مثال بمحققي التفتيش الإسبان اللى إعتقدوا أن بإمكانهم إنقاذ الناس من الجحيم، إذا أجبروهم بإستخدام التعذيب على قبول المسيح."

ده كان أول إقتباس من الموضوع الموجود على موقع المكتبة اليهوديه، و من خلال الأقتباس الأول، حنتأكد أن اليهوديه فى البدايه، لم يكن بها على الإطلاق فكرة الحياه الأُخرى، و حأكد على هذه النقطه، و دى هى نقطتى التانيه اللى أنا حأتكلم فيها، أن المُعتقد الدينى اليهودى فى البدايه لم يذكر على الإطلاق فكرة الحياه الأُخرى، و ظهر ده بوضوح، من خلال عدم ذكر أى شئ يدُل على وجود أى حياه بعد الموت، من خلال أسفار موسى الخمسه، اللى هى الأسفار الخمسه الأولى فى التناخ، و اللى يُفترض أنها تاريخياً أقدم ما كُتب فى التناخ، حتى لو كانت كُتبت بعد موسى بحوالى ألف سنه.

ال24 سفر اللى بيضمهم التناخ، 5 منهم أسفار موسى الخمسه، و باقى الأسفار الأُخرى، و اللى يُفترض أنهم كُتبت فى مرحلة ما بعد موسى، فى عصور الأنبياء و المُلوك و القضاه اللى حكموا من بعده، لكن التجميع و الأختيار الفعلى، تم أثناء فترة السبى البابلى، و من بعدها فترة المعبد التانى، و ده موضوع فيه تفاصيل كتير، لكن المُهم هو أن عملية أختيار و إعتماد الأسفار ال24، أو حتى إعادة صياغتها أو كتابتها، تمت بعد فتره طويله جداً، من الزمن الأصلى المُفترض لكتابتها، و تم أختيارها من بين أسفار كتير جداً، و لهذا السبب، فالعهد القديم فى المسيحيه، و اللى يُفترض أنه يكون بالفعل هو نفس أسفار التناخ، بيضُم أسفار أكتر، لأن المسيحيه ضمت بعض الأسفار اللى لم تعترف بها اليهوديه.

المراحل الكتيره المُختلفه اللى مرت بيها الديانه اليهوديه، حتى لحظة كتابه التناخ بشكله النهائى، أتغيرت فيها الثقافه و بعض العقائد اليهوديه، و أتبلورت بشكل كبير

جداً، و من أكتر المواضيع اللى تغيرت فيها الثقافه اليهوديه، هى عقيدة "ما وراء الموت"، بس الكتاب نفسه ضم كُل الأفكار اللى مرت بيها العقيده اليهوديه فيما يخص مرحلة ما بعد الموت، و علشان كده حتجد ليومنا هذا، كُل طائفه يهوديه لها نظريه مختلفه تماماً عن ما وراء الموت، و حتجد هذا الكلام مكتوب فى مقال على صفحة الBBC، برضه قمت بعمل ترجمه له، و ده رابط الصفحه الأصليه:

https://www.bbc.co.uk/bitesize/guides/zh9vgdm/revision/3

"الحياة بعد الموت لا تُمثل معتقد رئيسى فى الديانه اليهوديه، اليهوديه بتعتبر الطريقه اللى بيعيش بيها اليهود حياتهم على الأرض، هى أكثر أهميه من الحياة الأُخرى المحتمله.

الكتاب المُقدس اليهودي مفيش فيه كلام كتير عن ما يخص الحياه بعد الموت، و ده بسبب أن اليهودية بترُكز بشكل أكبر، على تصرفات الناس و أهدافهم فى حياتهم الأرضيه، و هذا ما يطلق عليه اسم "أولام ها زى"، بدلاً من محاولة توقع ما قد يحدث بعد الوفاه. بالنسبة للعديد من اليهود، فإن التفكير فيما إذا كان هناك مكافأة أو عقاب، أو حتى أى نوع من الحياه الأُخرى على الإطلاق، أمر غير مهم تماماً.

بالطبع، كان فيه وجهات نظر بتدور حول فكرة الحياه الأُخرى فى اليهودية، و لكن على عكس أغلب الديانات الأُخرى، لم يتم الاتفاق رسميًا على أى وجهة نظر حول الحياه بعد الموت فى العقيده اليهوديه.

كتير من اليهود بيؤمنوا بـ "أولام ها با" (العالم الآتى)، و دى نسخه مثاليه للعالم اللى حيكون موجود فى نهاية الأيام، بعد مجىء المسياه (المسيح اليهودى) و دينونة الله للأحياء والأموات.

بيعتقد كتير من اليهود أن الناس ممكن يعانوا من الألم والمعاناه فى هذا العالم، و لكن الحياه حتكون أشبه بغرفة إنتظار للعالم الأتى، اللى حيكون خالى تماماً من البؤس و الشقاء، و بيُعتقد أن الفاضلين حيجتمعوا مع أحبائهم، و أن أرواحهم حتعيش للأبد.

و من أجل الحصول على حياه أفضل بعد الموت، بيعتقد اليهود أنه يجب بذل كُل الجهود لإصلاح العالم من حولنا. كمان بيعتقد بعض اليهود أن التناسخ (تناسخ الأرواح) بيحدث طوال الوقت، و أن النفوس بتولد من جديد لمواصلة ما يُسمى "تيكون أولام" (إصلاح العالم).

<u>الجنة و الجحيم فى اليهوديه:</u>

بيعتقد معظم اليهود الأرثوذكس، أن الأشخاص اللى بيتّعبوا القوانين و التعاليم اللى أعطاها الله، حيتم إرسالهم للجنه بعد موت أجسادهم، و مع ذلك، فلا يوجد وصف دقيق للجنه فى الكتاب المُقدس اليهودى.

و بيعتقد كتير من اليهود أن الجنه هى جان إيدن (جنة عدن)، و هى عباره عن مكان مُشمس، حيتواجد فيه الناس من جميع الأمم، و حياكلوا و يعيشوا مع بعض، عندما يأتى الزمن المسيانى المسالم (زمن ظهور المسياه). و بيعتقد البعض الأخر أن "جان إيدن" (جنة عدن) مش بالضروره تكون مكان مادى، و لكن ممكن تكون هى حاله من الوعى، أو مكان حتشعُر فيه الروح بالقرب من الله.

و حيتم إرسال جميع اليهود، اللى عاشوا حياه بلا خطيئه، مُباشره إلى جان إيدن، و مع ذلك، فمن الممكن أنه يتم إرسال بعض الأرواح اللى أخطئت، إما إلى شيول أو جهنوم (جهنم):

- **شيول: هو مكان إنتظار يتم فيه تطهير النفوس.**
- **جهنوم: هو مكان العقاب و مكان العذاب.**

كمان فيه بعض وجهات النظر المختلفه، عن فكرة أذا كان فيه حياه بعد الموت أو لا، فبعض اللى بيؤمنوا بالحياه بعد الموت، ممكن يكون لهم وجهات نظر مختلفه، حول ما إذا كان هناك مكان للعقاب الأبدى أو لا، و بيعتقد البعض أن أرواح الناس اللى إرتكبوا أعمال شريرة أو خاطئه - على سبيل المثال الأشخاص اللى ارتكبوا جرائم قتل- مش حتخرج أبدًا من مكان العذاب، لأن هذه الأرواح لا يُمكن تغييرها مُطلقاً إلى الأفضل.

القيامة:

بيعتقد معظم اليهود الأرثوذكس، أن الجسد المادى حيتم إحياؤه فى العصر المسيانى، أو عصر ظهور المسيح اليهودى، اللى بينتظره اليهود فى أخر الزمان، لما حيقوم الصالحين من بين الأموات، و لهذا لسبب، بيُحرّم اليهود الأرثوذكس كتير من الإجراءات، اللى بيعتبروها ممكن تسبب ضرر أو تدمير للجسد بعد الموت، و علشان كده بيقوم اليهود بدفن موتاهم، بدلاً من فكرة حرق الجثث، لهذا السبب."

طبعاً صياغة المقال واضحه و بسيطه جداً، و غطت الموضوع بشكل رائع، بس قبل ما أنهى الجزء الخاص باليهوديه، ححاول ألخص المقال فى 3 وجهات نظر موجوده بين الطوائف اليهوديه فيما يخص الحياه الأُخرى:

1. وجهة النظر الأكثر شيوعاً، هى أن فى أواخر الأيام على الأرض أو "أولام ها با" (العالم الآتى)، حيظهر المسيح اللى اليهود منتظرينه، لأن اليهود لم يعترفوا بالمسيح يسوع (عيسى بن مريم)، لأنه لا يطابق كتير من الوصف الموجود عندهم لمسيح أخر الأيام أو "The Messiah". المساياه أو المسيح اليهودى، حيظهر على الأرض فى نهاية الأيام، و مع ظهوره حتعود أرواح كُل اللى ماتوا للحياه مره أُخرى، لكن حيكون هناك نوع بسيط من ال"كارما"، بمعنى أن اللى كانوا فى حياتهم الأولى ملتزمين و صالحين و نافعين، حتكون حياتهم التانيه أفضل، لكن فى النهايه فكُل الناس حتكون مع بعض فى مكان واحد على الأرض، مش فى أى مكان أخر. و بالمُناسبه، فموضوع ذبح البقرات الحمراء، و تطهير شعب بنى أسرائيل من نجاسة الموت، كان بيُمثل المرحله اللى يُفترض أن بعدها مُباشرةً حيظهر المسيح.
2. وجهة النظر التانيه هى وجود جنه و نار، و مكان أخر بين الأتنين، الجنه هى "جان أيدن" (جنة عدن)، و فيها حيتواجد الناس من كُل الأمم، لكن

مفيش أى وصف أو تخيُل لشكلها، و وصل البعض أنها ممكن تكون موجوده بصوره غير ماديه، لكن ممكن تكون حاله روحيه. جهنوم (جهنم) هو مكان العذاب، و برضه مفيش تصور واضح هل حتستمر فيه الأرواح الشريره للأبد، و لا لفتره محدده فقط. أما أخر مكان فهو شيول، و هو مكان إنتظار بين الأتنين، بيتم فيه تطهير بعض الأرواح، و فى المُعتقد اليهودى هو مكان تحت الأرض.

3. بيعتقد بعض اليهود أن هُناك عمليه تناسخ بتحدُث طوال الوقت، بنفس فكرة العقائد الشرق أسيويه، و أن النفس بتتولد مرة تانيه فى رحله أسمها "تيكون أولام" أو "إصلاح العالم"، إذن ففكرة التناسخ فى اليهوديه، هى فكره هدفها إصلاح العالم تماماً، من خلال الفُرص اللى بتاخدها الروح كُل مره، من خلال الدخول فى جسد جديد.

إذن و فى النهايه، فاليهوديه لا يوجد فيها تصور واحد واضح للحياه الأُخرى، كُل طائفه بتؤمن بتصور، علشان كده بنلاقى الشخصيه اليهوديه عمليه جداً، مركزه جداً فى حياتها، لأن مفيش رؤيه واضحه للحياه الأخرى، لكن فى المُقابل، فالشخصيه اليهوديه المؤمنه بتكون شديده التشدد و التطرُف، و هذا التطرُف مش معناه إهمال حياته العمليه، لكن بيكون -زى ما بنقول- ماسك العصايه من النص، مركز جداً فى شغله و معندوش تهاون، و مركز جداً مع دينه، سواء كعبادات أو سلوكيات تعامل، لأن فى النهايه، الحياه الأرضيه هى الواضحه و المؤكده بالنسباله.

****

ما وراء الموت فى المسيحيه و الأسلام، مُختلف تماماً عن مثيله فى اليهوديه، لأن المُعتقد فى الديانتين واضح و محدد جداً، و المسيحيه و الأسلام يكادوا يكونوا مُتطابقين فى عقيدة "ما وراء الموت"، الإختلاف بيكون فى بعض التفاصيل الخاصه بالمفاهيم العقائديه الرئيسيه لكُل ديانه، و تاريخياً طبعاً حنبدأ من المسيحيه.

فى العقيده المسيحيه كان ظهور المسيح له سبب واحد فقط، و هو التبشير بملكوت الله الأب فى السماء، من أجل تواجد جميع من أمن به فى الحياه الأبديه مع المسيح، و من بين أعداد العهد الجديد اللى شرحت "من سيدخل ملكوت

السماء"، و كان الكلام على لسان السيد المسيح، حنجد فى أنجيل متى، الإصحاح 7، العدد 21:

"21 لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ."

أما فى رسالة كورنثوس الأولى، فحنجد توصيف أكبر لمن سيدخل ملكوت السماء، الإصحاح 6، الأعداد 9 و 10:

"9 أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لاَ تَضِلُّوا: لاَ زُنَاةٌ وَ لاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَ لاَ فَاسِقُونَ وَ لاَ مَأْبُونُونَ وَ لاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، 10 وَ لاَ سَارِقُونَ وَ لاَ طَمَّاعُونَ وَ لاَ سِكِّيرُونَ وَ لاَ شَتَّامُونَ وَ لاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ."

إذن فالمسيحيه كانت واضحه فى جزئية وجود حياه أخرى بعد الموت فى السماء، فى ملكوت السماء، حيتواجد فيها المؤمنين بالمسيح مع المسيح نفسه، فماذا عن العصاه و الغير مؤمنين، أو كُل من لن يشملهم ملكوت السماء؟

من أقوال المسيح نفسه فى الأناجيل، لا يوجد مكان محدد، لكن سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى، هو اللى ذكر مكان أسمه بحيرة النار و الكبريت، كمكان لعقاب من لن يشملهم ملكوت السماء، و حأقتبس فقره من أهم موقع عربى مسيحى، و هو موقع "سان تكلا"، اللى تم الكلام فيها عن ذكر بحيرة النار و الكبريت فى سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى:

" نقرأ في سفر الرؤيا عن "بحيرة النار" (رؤ 20: 14، 15)، و"بحيرة النار و الكبريت" (رؤ 20: 10)، و "بحيرة النار المتقدة بالكبريت" (رؤ 19: 20)، و "البحيرة المتقدة بنار و كبريت" (رؤ 21: 8).

و واضح من كُل الإشارات السابقة إلى بحيرة النار، أنها مكان عقاب و عذاب مستديم أبدى، و ليست مكان فناء، إذ إنهم سيعذبون فيها "نهارًا وليلًا إلى أبد الأبدين" (رؤ 20: 10).

و سيُطرح فيها "الوحش" (رؤ 19: 20)، و "النبى الكذاب" (رؤ 19: 20؛ 20: 10)، و "إبليس" (رؤ 20: 10)، ثم سيطرح فيها جميع الأشرار على إختلاف أنواعهم، فسيطرح فيها: "كُل من لم يوجد مكتوبًا فى سفر الحياة" و "الخائفون و غير المؤمنين و الرجسون و القاتلون و الزناة و السحرة و عبدة الأوثان و جميع الكذبه" (رؤ 20: 15؛ 21: 8)."

إذن فالمسيحيه حددت من خلال أقوال المسيح مكان أبدى للمؤمنين أسمه ملكوت السماء، و من خلال سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى، كان الكلام عن مكان أبدى لكُل من لن يدخل ملكوت السماوات، أسمه بحيرة النار و الكبريت، و هنا تبدو المسيحيه واضحه و محدده جداً، فى مفهوم ما وراء الموت، و الثواب و العقاب لكُل البشر، فى مرحلة الحياه الأبديه.

****

الأسلام كان واضح و مُحدد من البدايه، فيما يخص ما وراء الموت و الحياه الأخرى و الجنه و النار كثواب و عقاب، لكن فيما بعد، بدء المفسرين و الأئمه و أصحاب الطرق، و كُل من أعطى لنفسه حق التفسير أو أحياناً كمان الإضافه، إضافة عشرات التفاصيل المتضاربه عن الفتره الضبابيه ما بين الموت و لحظة الحساب، و طبعاً كتير مننا ممكن يكون شاف عشرات الكتب اللى بتتكلم فى تفاصيل، لم تُذكر فى القرآن على الأطلاق، بالعكس ممكن هذه التفاصيل تُناقض القرآن نفسه، لكن فى النهايه، هذه الأضافات لم تُغير شئ من العقيده الأساسيه، و حنبدأ من البدايه، من مرحلة الأيات المكيه، و نشوف أزاى وصفت مرحلة ما بعد الموت. من سورة الكهف الأيه 48 حتكون البدايه:

"وَ عُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48)". طبعاً الأيه واضحه، و بتتكلم عن فكرة البعث الأخر، و العرض على الله يوم الحساب.

بالنسبه لذكر لفظ الجنه، فكان 77 مره فى القرآن، و هذا على عُهدة موقع "موضوع"، حنذكر منها مثالين. المثال الأول حيكون من سورة النحل، الأيات 30 ل32: **"وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا**

حَسَنَةٌ ۚ وَ لَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَ لَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (32)"، و سورة النحل سوره أغلب أياتها مكيه، و الأيات السابقه من بين الأيات المكيه فى السوره. المثال التانى حيكون من سورة الحجر، و هى برضه مكيه، الأيه 45: **" إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (45)"**

النار ذُكِرت فى القرآن بنفس العدد و هو 77 مره، و ده برضه على عُهدة نفس الموقع "موضوع"، و من أيات النار فى القرآن حنذكر برضه مثالين. المثال الأول من سورة آل عمران، و هى سورة مدنيه، الأيه رقم 151: **"سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (151)"**. المثال التانى حيكون من سورة النساء، و هى برضه سوره مدنيه، الأيه رقم 10:" **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10)"**

طبعاً الأمر واضح و صريح جداً، و مش محتاج أى شرح، فيما يخص تأكيد وجود الحياه الأُخرى، و الجنه و النار فى القرآن، و بالتبعيه فى الأسلام ككُل، لكن اللى ممكن ناس كتير متعرفوش، هو وجود مكان تالت بين الجنه و النار، و مذكور فى القرآن فى سوره بأسم هذا المكان، و حأستعرض الأيات من السوره اللى بتوصف المكان و هى سورة الأعراف، و زى ما أنا لسه موضح أن المكان نفسه أسمه بأسم السوره "الأعراف"، و الأعراف هى سوره مكيه، إذن فهذا المكان مذكور فى القرآن من البدايات، لكن لم يأت ذكر الأعراف مره تانيه فى أى سوره أخرى فى القرآن، و الأيات هى من الأيه 46 للأيه 49:

"وَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَ نَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَ هُمْ يَطْمَعُونَ (46) ۞ وَ إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (47) وَ نَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَ مَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (48) أَهَـٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (49)"

من تفسير أبن كثير عن كلمة الأعراف: **"لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار ، نبه إن بين الجنة والنار حجابا ، وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة".** و الأيات بتوضح أن فيه ناس حيتواجدوا فى منطقة بين الجنه و النار تُعرف ب"الأعراف"، قادرين يشوفوا أصحاب الجنه و أصحاب النار فى نفس الوقت، و كمان قادرين يتكلموا معاهم، و ده موضوع من المواضيع اللى مش بيأتى ذكرها على الإطلاق، مع أن الأيات واضحه و صريحه، و كُل كتب التفسير بتُؤكد على مفهوم الأعراف، لكن هذه النقطه من النقط اللى بيجهلها مسلمين كتير، يمكن لأنها لم تُذكر غير مره واحده فى القرآن، و يمكن -و ده السبب اللى برجحه- أن المشايخ و الأئمه مش بيذكُروا هذا الموضوع، لعدم قدرتهم على إيجاد إجابات واضحه لكثير من الأسئله، ممكن المُتلقى يسألها عن هذا الموضوع، من أهمها مين الناس اللى حتكون موجوده فى منطقة الأعراف، و هل هى مرحلة مؤقته و لا دائمه، و أسئله أُخرى مُختلفه لن يتمكن المشايخ و الأئمه من الإجابه عليها، و لهذه الأسباب، لا يأتى ذكر الأعراف على الإطلاق، فى أغلب المحاضرات الدينيه أو الخطب.

****

قبل ما أنتهى من مفهوم "ما وراء الموت" فى الديانات الإبراهيميه، فهُناك سؤال مهم، لم تتمكن كُل الأديان الإبراهيميه من الإجابه عليه، و ده اللى فتح الباب للتكهنات و التأويلات و الأضافات فى بعض الأديان، و هو هل كُل إنسان بيموت بيُحاسب لحظياً، و لا الحساب لكُل البشر فى كافة العصور حيكون مجمع فى النهايه.

هذا السؤال هو اللى فتح الباب للأجتهادات و الكتب اللى بتتكلم عن المرحله الضبابيه ما بين الموت و الحساب، يمكن الديانات المصريه القديمه كانت أوضح فى هذه النقطه، و طبعاً كُل الديانات الشرق أسيويه كانت حاسمه الموضوع، بمبدأ دخول الروح فى جسد جديد مباشرة بعد الموت، لكن بالنسبه للديانات الإبراهيميه فالموضوع فى هذه النقطه تحديداً، كان غير واضح على الأطلاق.

فى نهاية الفصل أقدر أقول ألخص كلامى بشكل سريع، فى أن الموت كان السبب الرئيسى لظهور الأديان الأولى، الموت و ما وراء الموت مثلوا طول الوقت، اللغز الأكبر للجنس البشرى، الموت كان الدافع لوجود الأخلاق و القيم، لأن البشر من البدايه أمنوا بشكل أو بأخر، بأن الموت مش هو نهاية الرحله، بالعكس فما وراء الموت حيكون "كارما" لكُل اللى أحنا عملناه فى حياتنا، و من هنا كانت نقطة الخوف الأهم من الموت، و هى، هل أحنا فعلياً مستعدين و جاهزين للحظة الحساب؟

13 أبريل 2024

**"فسدت أرضنا فى هذه الأيام المتأخرة.
هناك علامات على أن العالم يسير بوتيره
سريعة إلى نهايته" لوح آشورى 2800 ق م**

أبوكاليبس

هاجس نهاية العالم سيطر على البشريه، من بداية ظهور الحضارات الإنسانيه، ليومنا هذا، بالتأكيد هذا الهاجس لم يكُن موجود فى المراحل الأسبق بشكل واضح، لأن البشريه كانت لسه بتتحسس طريقها فى أنها تفهم طبيعة الكون من حواليها، لكن مع بداية الحضارات الإنسانيه، بدأت الأفكار البشريه تتبلور، و ظهر طول الوقت هاجس أحتمالية حدوث نهاية للعالم فى أى لحظه.

كُل حضاره أو ديانه بدأ تبلور لنفسها شروط لحدوث نهاية العالم، ممكن هذه الشروط تكون مبنيه على شرور أو أثام حتقع فيها البشريه، فحتكون نهاية العالم هى العاقبه و العقاب، و ممكن تكون علامات أو إشارات حتدل على نهاية العالم، حتى لو لم يكن العالم واصل لمرحلة شرور النهايه.

إذن ففكرة نهاية العالم إرتبطت بالحضاره أكتر من إرتباطها بالأديان، لكن طبعاً الأديان وصلتها لمفهوم و شكل تانى مختلف تماماً. حأبدأ معاك كالعاده من مرحلة ما قبل الأديان، بنبؤات نهاية العالم خلال هذه المرحله من تاريخ العالم، فى محاوله لفهم أزاى كُل حضاره حاولت تبنى نبؤاتها، بُناءً على ثقافتها و معتقداتها.

هذا الجزء من الكتاب بيُمثل المرحله الأهم فى الكتاب كُله، بالرغم من أنه حيستمر ل3 فصول، لكنه بيمثل الربط بين الجزء التاريخى الدينى من الكتاب، و بين الجزء المعاصر -سواء فى هذا الكتاب أو الكتاب التانى- بكُل تفاصيله، فهو جزء مفتاحى بيُمثل ذروة الفصلين السابقين، و مفتاح للفصول اللى حتتكلم عن الواقع و المُستقبل فى الكتابين، و اللى حيكون هذا الموضوع، هو الموضوع الرئيسى المؤسس له.

بدايةً، فكُل الحضارات الإنسانيه القديمة كانت مؤمنه بأن الألهة بتتحكم تماماً فى حياة البشر، وأن الشرائع الإلهيه ما هى إلا قوانين منظمه لحياتهم، لكن البشر طبعاً مش دايماً بيكونوا قادرين على الإلتزام، و مش طول الوقت قادرين على تطبيق الشرائع -أياً كانت-، و بيحيدوا عن تنفيذ كتير من الأوامر الألهيه، و ده غالباً بسبب

قوة الشر، و اللى كانت دايماً موازيه لقوة الخير و بنفس مقدار قوته، بمعنى أن دايماً كان فيه ألهة خير و ألهة شر، و الأتنين لهم القوه.

من بدايه البشرية كان فيه عشرات القصص اللى بتتنبأ و بتحكى عن نهاية العالم، طبعاً هذه القصص كانت بتختلف من حضاره لحضاره، أو من ثقافه لثقافه، لكن كان لكُل ثقافة قصه خاصه بيها، بتحكى عن نهاية العالم و فناء البشريه. هذه الأساطير كانت غالباً ما بتتبع أحد نمطين أو تصورين لمسيرة الحياه البشريه و نهاية العالم، و هما النمط الدائرى أو النمط الخطى.

النمط الدائرى للحياه و نهاية العالم، كان بيتمثل فى فكرة أن العالم بيدور فى دورات، و أن بعد كُل نهايه للعالم، بيكون فيه بدايه جديده، بمعنى ربط نهاية العالم دايماً ببدايه جديده. كان المُعتقد الغالب أن البشرية أنتهت قبل كده، لكنها وُلدت مره تانيه. أما بالنسبه للنمط الخطى، فكان بيتمثل فى فناء العالم و البشريه مره واحده نهائيه، و بعدها بتكون حياة الخلود الأبديه.

طبعاً كانت أشهر قصه أو أسطوره عن نهاية العالم، هى الأسطوره الشهيره اللى تواجدت فى جميع الحضارات و الثقافات، و اللى سبق و ذكرتها فى فصل "غضب إلهى"، و هى طبعاً أسطورة الطوفان بجميع نسخها.

أول نُسخه لقصة الطوفان كانت فى بلاد ما بين النهرين، و اللى زى ما سبق و ذكرت، هى العراق حالياً، و كانت القصه مكتوبه بالكتابه المسماريه، و الكتابه المسماريه هى أقدم لغه مكتوبه فى تاريخ البشريه، و هى تُعتبر نظام كتابه أكتر منها لغه، لأنها كانت لغه تُكتب و لا تُنطق، الكتابه المسماريه كانت البدايه أو أول شكل للغه السومريه فيما بعد.

النص المكتوب باللغه المسماريه كان أقدم من ملحمة جلجامش ب1800 سنه، و بحوالى 2000 سنه من قصة نوح المكتوبه فى التناخ أو التوراه، و بالمُناسبه، فملحمة جلجامش تُعتبر واحده من أقدم القصص المكتوبه فى تاريخ البشريه، أما الأسطوره المكتوبه باللغه المسماريه، فكانت أسطورة أتراحاسيس، و هى تقريباً لها نفس الخط الدرامى الموجود فى قصة نوح التوراتيه.

طبعاً كتير من قصص الطوفان تم ذكرها فى فصل "غضب إلهى"، إذن فلا داعى لأنى أتكلم عنها مره أُخرى، لكن فى النهايه، كُل قصص الطوفان بتُدلل -زى ما سبق و ذكرت- عن أصل واحد حقيقى لكُل الأساطير المُتعلقه بالطوفان، و المذكوره فى حضارات و ثقافات ما قبل الأديان، و كمان بتؤكد على توقع البشر بأن نهاية العالم وشيكه طول الوقت.

بعيداً عن قصص الطوفان، وُجد لوح يُقدر تاريخه بحوالى 2800 قبل الميلاد، و هو منسوب للعصر السومرى القديم، أو ما يعرف بعصر دويلات المدن، و كان نص اللوح عباره عن حاله من الرثاء لما وصلت له حالة البشر من الفساد فى جميع المجالات، و عدم إحترام الجميع للقواعد و الأخلاقيات المُتعارف عليها، و كان النص مكتوب فيه:

"فسدت أرضنا فى هذه الأيام المتأخرة. هناك علامات على أن العالم يسير بوتيره سريعة إلى نهايته، أصبحت الرشوة والفساد أمر شائع، لم يعد الأطفال يطيعون والديهم، كُل إنسان يريد أن يكتب كتابًا، أصبح جلياً أن نهاية العالم تقترب."

النص بالنسبالى مرعب جداً، لأنه بيتكلم كأنه مكتوب فى عصرنا الحالى، بالرغم من أنه مكتوب قبل ظهور أى ديانات -سواء إبراهيميه أو غير إبراهيميه-، أو حتى شريعة حمورابى، و هى الشريعه اللى تأثرت بيها بشكل كبير جداً الديانه اليهوديه، و اللى تم كتابتها بعد أكتر من ألف سنه من كتابة هذا النص.

نقدر نستخلص من هذا النص معلومتين فى غاية الأهميه. أولاً، أنه كان هُناك نوع من العقيده أو الشريعه بتحكُم البشر فى هذا العصر، ثانياً، ربط حدوث نهاية العالم بمبدأ الفساد فى الأرض، و هو نفس الربط الموجود فى كُل الأديان الإبراهيميه، و هذا يعنى أن الفطره البشريه السليمه هى اللى بتوجه طول الوقت لفكرة الخطأ أو الخطيئه، و زى ما سبق و ذكرت فى الكتاب السابق، فالخطأ شىء واضح و يسهُل جداً الأتفاق عليه، لكن الصح نسبى جداً، و بيختلف من مجتمع للتانى، و ممكن كمان من إنسان لإنسان أخر، لأن كُل شخص قادر يحدد لنفسه قواعد الصح الخاصه بيه، بشرط ألا تتعارض مع حرية أو مصالح الأخرين.

****

ننتقل لحضاره جديده، لم يسبق لنا الكلام عنها، و هى حضارة "المايا"، و هى الحضاره الأكثر شُهره بالأفكار المروعه و المُخيفه فى كُل معتقداتها. المايا حضاره ظهرت فى المكسيك بدءاً من حوالى سنة 1500 قبل الميلاد -زى ما بتذكر أغلب المصادر-، و هما الأسلاف أو الأجداد للمكسيكيين الحاليين.

المايا من الحضارات اللى كانت مؤمنه بالنمط الدائرى للحياه و نهاية العالم، و كانوا على أعتقاد بأن نهاية العالم تمت أكتر من مره قبل كده، و أن الطوفان كان هو سبب أخر نهاية حدثت للعالم.

شعب المايا أشتُهر بالتنجيم، و وضع المُنجمين فى حضارة المايا أكتر من تقويم، و فى واحد من تقويماتهم، كان التاريخ المُفترض لدورة نهاية العالم هو 21 ديسمبر 2012 ميلادياً. شعب المايا أهتم جداً بالتضحيه بالدم، إعتقاداً منه أن هذه الطريقه هى اللى ممكن تمنع نهاية العالم من الحدوث، قبل موعد إنتهاءها الفعلى.

ننتقل من حضارة المايا للحضاره المصريه القديمه، و هى الحضاره اللى لعب فيها الدين دور كبير جداً، لأنها حضاره ربطت الحاكم بالإله طول الوقت، فكانت كُل مُنجزات الحضاره المصريه المعماريه أساسها دينى، سواء كانت أهرامات، معابد، مقابر أو ما شابه.

بالنسبه للحضاره المصريه القديمه، فكان هُناك مُعتقد بأن العالم كان فى حالة توازن، لحد ما الإله ست - إله الظلام و الليل و العالم السفلى- قتل أخوه الإله أوزوريس -إله الشمس و النور و النهار-، و بسبب هذه الجريمه، كان على الفراعنه (كلمة فرعون تُطلق على الملك فقط) التواصل مع الألهه مباشرة، لأنهم كفراعنه هما الوحيدون اللى عندهم القدرة على التواصل مع الألهه، و ده كان عن طريق تقديم القرابين يوميًا لإله الشمس رع، لأن لو تقديم القرابين توقف لأى سبب، فده ممكن يكون سبب لموت الألهه، و يُفقد التوازن الكونى للأبد، و ده بدوره حيؤدى إلى فناء العالم و نهاية الحياه تماماً.

و هنا حنلاقى تشابه فى المُعتقدات ما بين حضارة المايا، و الحضاره المصريه القديمه، و التشابه كان فى فكرة إمكانية حدوث نهايه مُبكره للعالم، لكن الفرق كان أن حضارة المايا كانت لا تؤمن بأى أحتماليه لموت الألهه، عكس المُعتقد فى الحضاره المصريه القديمه بأن الألهه ممكن تموت.

من المعتقدات المصريه القديمه الخاصه بنهاية العالم، كانت إعتقادهم بأن بعد إنتهاء العالم، الإله نو -إله الماء-، و فى نفس الوقت هو أبو الألهه جميعاً، حسيتعيد الأرض مره تانيه، و ده معناه أن الحضاره المصريه القديمه، كانت من الحضارات المؤمنه بالنمط الدائرى للحياه و نهاية العالم.

من أهم القصص فى الأساطير المصريه القديمه، قصة بتحكى أن رع -إله الشمس- غضب من البشر لأستهزائهم بيه، و لأنتشار الفساد و الظلم بينهم، فقرر أنه يُرسل بنته الإلهة سخمت -إلهة الحرب-، و فى نفس الوقت هى برضه إلهة الأمراض و الأوئبه، و ده علشان تقوم هى بمعاقبة البشر.

الإلهه سخمت إستمتعت بالمهمة جداً، فقامت بقتل الغالبيه العظمى من البشر، و ده كعقاب لهم على إنتشار الظلم و الفساد، و كانت على وشك أنها تقتل باقى البشر، و لهذا السبب، إضطر الإله رع أنه يخدعها، عن طريق تقديم كميات كبيره من الخمر الملون باللون الأحمر، لأنه بيشبه لون الدم، فشربت منه الإلهه سخمت و سكرت، لحد ما هدأت تماماً، و توقفت نهائياً عن قتل البشر.

فى هذه القصه الأسطوريه، حنجد أن نفس الفكره بتُناقش، لكن بصوره مختلفه، و هى أن وصول البشر لدرجه معينه من الفساد و الظلم، و الأهم عدم طاعة الإله، لابد أن العقاب يتمثل فى نهاية العالم، فى الفناء، و بالمُناسبه، فمن أهم صفات الإلهه سخمت، كانت صفة العدل، لكن لولا تدخُل الإله رع و رحمته بالبشر، لكانت البشريه فنت تماماً، عن طريق الإلهه سخمت.

****

الحضاره الهوبيه هى حضاره نشأت فى منطقه جنوب غرب أمريكا الشماليه، و مكانها الحاليه ولاية أريزونا، و الهوبيين هما الأسلاف أو الأجداد لما سماهم الغزاه اللى أحتلوا أمريكا بعد كده ب"الهنود الحمر".

الهوبيين من الحضارات اللى كانت بتؤمن بالنمط الدائرى للحياه و نهاية العالم، و كان عندهم مُعتقد خاص بيهم بأن الكون فى دورته الرابعه، و ده شبه جداً المعتقد الهندوسى بأن العالم بيعيش فى اليوم الرابع من "براهما". بيعتقد الهوبيين بأن أهل العالم التالت أو الدوره التالته للكون، أرسلوا طائر للسماء، علشان يجدوا فتحه لعالم أعلى، بعد ما أصبح العالم اللى بيعيشوا فيه فاسد و غير صالح للحياه. و هنا الثقافه الهوبيه بتعتقد بأن خروج البشريه لعالم أخر، حيكون بحثاً عن حياه أفضل، مش بسبب فناء العالم نتيجه الشر أو الخطيئه.

بتكمل الأسطوره بأن أهالى العالم التالت أو الدوره التالته للكون صعدوا للسماء عن طريق سلم، و هُناك بدأت الدوره الرابعه، و كانوا بيعتقدوا أن فى الحياه الجديده مش حيكون فيه موت أو حتى ألم، لأن مش حيكون فيه شر، لكنهم فوجئوا بوفاة أبن الزعيم، و عرفوا أن حالة الوفاه وقعت، لأنهم أخطأوا و أحضروا معاهم ساحره من العالم التالت، للعالم الرابع أو الدوره الرابعه للكون.

لما قرروا أنهم يعيدوا الساحره للعالم التالت، عن طريق الفتحه اللى عملوها بين العالمين، قام الزعيم بالنظر من الفتحه، فشاف أبنه المُتوفى هناك، و من هنا بيقرر أنه ميقفلش الفتحه، و بسبب عدم غلق الفتحه، سُمح للشر بالدخول للعالم الرابع، و بيعتقد الهوبيين أن نهاية العالم الرابع حتحدث، إذا لم يتم أحترام الكوكب.

الموضوعات المشتركه فى أساطير جميع الحضارات أو الثقافات، اللى أعتقدت بهذا النمط الدائرى، كان أهمها الطوفان و الإنحدار المستمر للبشرية. كمان بتقول الأساطير الإسكندنافيه و المصريه أنه لما العالم حينتهى، حيبتلعه تماماً البحر الكونى. أما فى المُعتقدات الإغريقيه و مُعتقدات بلاد ما بين النهرين، فغالبًا البشريه هى اللى حتُهلك نفسها، و ده على الرغم من تدخل الألهه لمُحاولة إنقاذها، لكن المعتقدات الهندوسيه والهوبيه بترى أن التغيير من عالم لعالم، هو أما نتيجة مرور الزمن، أو عبور نفس الناس من عالم لعالم أخر.

****

كُل الحضارات اللى أتكلمنا فيها، كانت بتؤمن بالنمط الدائرى للحياه و نهاية العالم، لكن لما حنتحول للحضارت اللى تبنت عقيدة النمط الخطى للحياه و نهاية العالم، حنلاقى أنها حضارات أرتبطت بأديان، و الحضاره اللى حأتكلم عنها كنموذج للنمط الخطى حتكون الحضاره الفارسيه، و اللى أرتبطت فى البدايات بالديانه الزرادشتيه، قبل ما الغالبيه العظمى من الفرس ما يتحولوا للأسلام، و بالمُناسبه، فما زال فى أيران بعض الزارادشتيين حتى يومنا هذا، صحيح بأعداد قليله جداً، لكن فى النهايه، ما زال هُناك بعض الزارادشتيين.

الزرادشتيه من الديانات اللى فيها إله خير و إله شر، زى الديانات المصريه القديمه، و الأسطوره التأسيسيه للديانه بتقول أن الإله أهرامزد -إله النور- خلق البشر علشان يزيدوا من قوته فى صراعه الدائم مع أهيرام -إله الظلام-. فى نهاية العالم، حيظهر المخلص ساوشيانت و حيدمر أهيرام -إله الظلام والشر- فى معركه ملحميه. إنتصار الخير حتكون نتيجته الحكم الإلهى المطلق و السعاده الأبديه.

و قصة المخلص ساوشيانت بتقول أنه لما يوصل لسن ال30، حتكون فيه علامة كونية فى السماء بتُعلن عن هويته، لكن لما حيوصل سن ال57، حيتمكن من هزيمة كُل الشرور الموجوده فى العالم.

من التفاصيل الأغرب فيما بعد هذا الأنتصار على جميع الشرور، أن البشريه حتتحرر من كافة أنواع الإغراء و الأغواء، بما فيه إغراء متعة الأكل، فحيحدث تغيير فى النظام الغذائى للبشر، و حيتحولوا للنظام النباتى، و ده بالرغم من إن الزرادشتيه مش بتحرم بأى شكل أكل اللحوم. بعد كده حيتحولوا للمرحله التاليه، و هى شرب الماء فقط، و أخيراً حيوصلوا لمرحلة الغذاء الروحى. هذه التغييرات بترمُز لأرتقاء البشريه من مرحله لأخرى، لأنهم كُل ما بيقتربوا من الخالق، مش حيكونوا فى حاجه لكُل التفاصيل الماديه فى الحياه.

بما أننا بنتكلم عن النمط الخطى للحياه و نهاية العالم، و ضربنا مثال بالديانه الزرادشتيه، فمن الشائع بين كُل الحضارات و الديانات اللى بتتبع النمط الخطى للحياه و نهاية العالم، أن حيكون فيه منقذ حيظهر فى مرحلة ما قبل النهايه، حيقاوم

الشر أو الفساد أياً كان صوره، و حيكون القائد اللى حيقود البشريه للمرحله التاليه و النهائيه، وصولاً للحياه الأبديه، و بالمُناسبه فبعض الديانات ذات النمط الدائرى عندها برضه فكرة المُخلص، زى الديانه الهندوسيه، لأن فى المعتقد الهندوسى، فيشنو حيعود مره تانيه، و حيُنقذ كُل الناس الصالحين على كوكب الأرض.

لكن بما إن المُعتقد موجود بشكل أساسى فى النمط الخطى، فأنا أخرت هذا النمط لنهاية هذا الجزء من الفصل، علشان تكون الزرادشتيه و قصة ساوشيانت المُخلص، هى الرابط بين حضارات و ثقافات و ديانات العالم القديم، و مُعتقدات نهاية العالم فى الديانات الإبراهيميه.

****

بالطبع حتكون البدايه مع اليهوديه، و أحب أوضح أن أى سفر فى التناخ -سواء التوراه أو باقى الأسفار – كان فيه أى شكل من أشكال النبؤه، أو أى تصور لنهاية العالم، فهو يُعتبر سفر أبوكاليبسى.

قبل ما أبدأ فى الكلام عن الأبوكاليبسيه فى التناخ، أحب أعرفك أن فى اليهوديه كتب أُخرى غير التناخ بشقيه التوراه أو باقى أسفار التناخ. من أهم الكتب اليهوديه الأُخرى، مجموعتين من الكتب كتبهم الحاخامات (الرابايات) اليهود فى مراحل مُتأخره عن التناخ. المجموعه الأولى هى كتب "التلمود"، وكلمة التلمود معناها "التعلُم"، و هى بتتكون من مجموعه من الكتب فيها أهم التقاليد اليهوديه، و تمت كتباتها تقريباً فى القرنين الرابع و الخامس ميلادياً، على أيد مجموعه من الحاخامات. أما المجموعه التانيه فهى كتب "المدراش" و الكلمه معناها "البحث أو التقصى"، وكتب المدراش جمعت أهم الأسئله الدينيه اليهوديه و حاولت الإجابه عنها، و طبعاً اللى كتبها كان برضه مجموعه من الحاخامات، لكن خلال فتره زمنيه أطول من التلمود، وصلت تقريباً لحد سنة 1000 ميلادياً.

إذن فكتب التلمود ركزت على الشرائع و القوانين و العادات و التقاليد، فهى تُعتبر أقرب لمنهج حياه أو دستور، أما كتب المدراش فركزت على شرح و تفسير الدين، و هى أقرب لكتب التفاسير الأسلاميه. الكلام عن التلمود و باقى الكتب اليهوديه كتير،

بس أنا كنت عايز أبدأ بهذه المعلومه، لأن التلمود و المدراش بيُمثلوا أحد أهم مصادر التشريع و الفكر و العقيده فى الديانه اليهوديه.

اليهود بيؤمنوا بما يُسمى "نهاية الأيام"، زى ما سبق و ذكرت فى الفصل السابق، لكن نهاية الأيام مش معناها نهاية العالم، لكن معناها زى ما سبق و ذكرت، هو تحول العالم لعالم أخر، حيعيش فيه الكُل فى سلام، بما فيه كُل من ماتوا من قبل، لكن الفكره الرئيسيه بتتمثل فى أن العالم الجديد حيكون مكانه على الأرض، مش فى أى مكان تانى.

علامات نهاية الأيام فى اليهوديه لها طريقين أو تصورين. الطريق أو التصور الأول هو الطريق البسيط السهل الحالم، و فى نفس الوقت المملوء بالمعجزات، لما ينزل المساياه Messiah "المسيح المُنتظر من قِبل اليهود"، المساياه أو المسيح حيكون ملك حيحكم الأرض كُلها، و حيُعطى لكُل شعوب الأرض السلطان و الكرامه و القرابه، فحتتحول معاه كُل شعوب العالم للعباده، و حيكون للمساياه السلطان اللى لن يزول أبداً.

هذا الطريق هو طريق ممكن حدوثه فى أى لحظه، بشرط أن كُل الناس تتعاون مع بعض على تحقيقه، و ده بُناءً على سفر دانيال، الإصحاح 7، الأعداد 13 و 14:

"13 «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَ إِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ إِبْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَ جَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. 14 فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَ مَجْدًا وَ مَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَ الأُمَمِ وَ الأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَ مَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ."

بالنسبه للطريق الأخر أو التصور التانى فهو الصادم، لكن الأكثر واقعيه فى التصور، و هو مبنى على نبؤة سفر زكريا، الإصحاح 9، العدد 9:

"9 إِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، إِهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَ مَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَ رَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَ عَلَى جَحْشٍ إِبْنِ أَتَانٍ."

فهنا المساياه أو المسيح القادم هو إنسان متواضع جداً، و ده عكس تماماً النبؤه الأولى فى سفر دانيال، و اللى وصفت المساياه بأن حيكون له سلطان و مجد، فهنا

طبعاً السيناريو كُله حيتغير، بدايةً بأن الحياه البشريه حتكمل بشكل طبيعى، المجتمع الإنسانى كُكل حيتعرض لتدهور كبير جداً، لكن بشكل بطئ، حتزداد معاه كُل أشكال المعاناه على الأرض، و حيكون حضور الله مخفى، تعاليمه و إرشاداته للبشر مش حتكون واضحه بالنسبالهم، و ده معناه أن البشر حتبعد بشكل كبير جداً عن جميع التعاليم الألهيه.

بُناءً على الطريق أو التصور التانى، فأخلاقيات المجتمع حتكون فاسده و مُنحله، و الدين مش بس حيكون مُهمل، لكن كمان حيُستخدم لإباحة كُل المُحرمات، و تعزيز الفجور بكافة صوره. الصغير مش حيحترم الكبير كما كان يحدُث على مدار التاريخ الإنسانى كُله، كل القيم الإنسانيه الأصيله حتختفى، الأخلاقيات حتتغير تماماً للأسوء، حتُصبح كُل حكومات العالم كافره، و ده مُتنبأ بيه فى المدراش، اللى مذكور فيه هذه الجمله: **"ثلث ويلات العالم سيأتى فى الجيل الذى يسبق المسيح". (الحاخام أرييه كابلان، "دليل الفكر اليهودي")**

أما وفقاً للتلمود، فمع إقتراب العالم من "نهاية الأيام"، فالعالم حيشهد إضطرابات و تقلبات إقتصاديه كارثيه، و حالات من التمرد الجماعى، و وصول البشرية لحالة يأس واسعة النطاق. هذه الحاله حتوصل ذروتها مع وقوع حرب عالميه هائله حيقودها الملك جوج من أرض تُسمى ماجوج، و حتكون أعظم حرب فى تاريخ البشريه، و هى الحرب الأخيره و الفاصله بين الخير و الشر، و فيها حيُهزم الشر بشكل نهائى، و ده بُناءً على العديد من النبؤات فى التناخ، أهمها و أكثرها وضوحاً كان فى سفر حزقيال، الإصحاحات 38، 39، أو فى التلمود فمذكور فى السكة 52، السنهدرين 97، سوتاح 49، و هذه النبؤه حيكون لنا معاها وقفه طويله مفصله فى الفصل القادم.

شخصيه مهمه جداً مش مذكوره فى التناخ على الإطلاق، لكن موجوده فى المدراش و الزوهار، و الزوهار هو كتاب أو سفر مؤسس لحركه يهوديه صوفيه أسمها "كابالا"، حيكون لنا كلام كتير جداً عنها فى فصل "رسائل من عوالم أُخرى". هذه الشخصيه هى شخصية ال"Antichrist" أو المسيح الدجال، و اللى أحياناً بنسميه المسيخ الدجال.

شخصية المسيح الدجال هى ضبابيه جداً فى اليهوديه، لكن الأقرب له هو شخصية "أرميلوس"، الشخصيه اللى بتظهر فى سفر زيربابل -الغير تناخى-، اللى كُتب فى القرن السابع ميلادياً، و مدراش فايوشا، و اللى كُتب متأخر جداً، فى القرن ال11 ميلادياً.

شخصية "أرميلوس" فى هذه الكتب التلموديه أو المدراشيه، هى الشخصيه اللى حتكون ضد المساياه، و هى الشخصيه اللى حيقتُلها المساياه فى نهاية الأيام، لكن هذه الكتابات كُتبت بعد أخر سفر تناخى بما يزيد عن 8 قرون، لكن فى النهايه، هى الشخصيه الأقرب لفكرة المسيح الدجال أو ما يسمى "ضد المساياه" أو ال"Antichrist" فى اليهوديه.

أرميلوس نهاية الأيام، هو ملك حيظهر و حيدمر أسرائيل، لكن المساياه حيحاربه و حينتصر عليه، فهو رمز الشر الأوضح فى الكتابات اليهوديه الغير تناخيه.

بعيداً عن أرميلوس ، فالمصادر اليهوديه التقليديه بتوصف حرب نهاية العالم، بأن كُل شعوب العالم حتحارب ضد اليهود و أورشليم (القدس)، و أن الحرب بعد كُل ما حتُخلفه من دمار شامل للعالم، حتنتهى بهزيمة اليهود، و أن اليهود حيتم إقتيادهم مكبليين بالسلاسل، و حيتم الإعلان بأن التوراه كاذبه و غير حقيقيه.

فى هذا الوقت، و بعد أن يعتقد العالم أن الموضوع حُسم و أنتهى تماماً، حيظهر المساياه "المسيح"، و حيقود عملية الفداء اليهودى، و حيقدر يُقنع كُل شعوب العالم بإتباع الله، و حيتمكن من أنه يُعيد كُل اليهود المنفيين خارج وطنهم الأم، و من إعادة تأسيس السنهيدريم "هيكل سليمان".

حأقف هنا عند نقطتين مهمين جداً خاصين بمُعتقد نهاية الأيام الخاص باليهوديه. النقطه الأولى، هى رفض كتير جداً من اليهود المتدينيين لدولة أسرائيل الحاليه و عدم الإعتراف بيها، و ده بسبب أن أسرائيل كدوله، قامت قبل الميعاد المحدد ليها بحسب النبؤات، و الميعاد المحدد لها هو كُل التفاصيل السابقه اللى أنا ذكرتها. إذن فبدون ظهور المساياه و قيامه بكُل ما سبق، سواء عن طريق النبؤه الأولى اللى بتتلخص فى ظهوره كملك يحكُم العالم، أو ظهوره بعد حرب حتنتهى بهزيمه اليهود، و بحسب العقيده اليهوديه، فلا يُمكن دخول أورشليم (القدس)، أو

إعادة بناء السنهيدريم "هيكل سليمان"، أو قيام مملكه لأسرائيل مره تانيه إلا بعد ظهور المسياه بمفهومه اليهودى على الأرض.

النقطه التانيه، و هى قصة البقرات الحمراء، القصه اللى أُثيرت خلال السنه اللى فاتت و هذه السنه، و اللى يُفترض أنه بيتم تحضيرهم للذبح أو عملية التطهير خلال 2024، و أنا طبعاً مش عارف هل حأتم الكتاب قبل ذبحهم و لا لأ، لكن المهم فى الموضوع، أن عملية الذبح دى حتكون واحده من أهم الخطوات اللى حتسبق الخطوة الأخيره لنهاية العالم و نزول المسياه و إعادة بناء السنهيدريم "هيكل سليمان". الخطوة دى بالنسبه لليهود هى خطوه ضروريه و لازمه، لأنها نبؤه موجوده فى سفر العدد، و هو أحد أسفار موسى الخمسه اللى بتضمها التوراه و التناخ، و هذه النبؤه سببها سنوات التيه الأربعين اللى قضاها بنو أسرائيل فى الصحراء، و موتهم خلال هذه الفتره، و إضطرار الأحياء منهم لملامسة جسد الموتى، و ملامسة جسد الموتى هو نوع من النجاسه فى العقيده اليهوديه، و بتستوجب التطهر.

نقدر نلخص كُل ما سبق ذكره، من خلال ما يُسمى بلاهوت الأستعاده اليهودى، و هو بيُمثل بإختصار، تفاصيل نهاية العالم من خلال المُعتقد اليهودى، و الكلام من موقع worldhistory.org:

"عالج أنبياء إسرائيل أزمة عدم حماية الرب لليهود فيما مفاده أن الرب لا يزال يحكم، لكنه سمح لتلك الأمم بمعاقبة إسرائيل على خطاياها. كانت الخطيئة العظمى هى عبادة الأصنام. ومع ذلك، فى الوقت نفسه، قدم الأنبياء رسالة أمل بأن الرب سيتدخل مرة أخرى ويقضى على كُل شرور العالم، ستستعيد إسرائيل مجدها مرةً أخرى. يُعرف العنوان الأكاديمى لرسالة الرجاء هذه باسم "لاهوت الاستعادة اليهودى:"

1. **سيتدخل الرب مرة أخيرة، فى "الأيام الأخيره"، والمعروفة أيضًا باسم "يوم غضب الرب."**
2. **سيُقيم الرب فى ذلك الوقت، مسيحًا "ممسوحًا بالزيت المُقدس" من سلالة الملك داود، يقود جيش الرب من الملائكه والبشر الطيبين ضد الأشرار.**

3. **الرب سيتعرف على مجموعه صغيره من المؤمنين الذين لم يخطئوا، يعرفوا بـ "البقية الصالحة"، الذين ظلوا مخلصين خلال الأحداث الكارثيه.**
4. **أولئك اليهود الذين فى المنفى، خارج أرض إسرائيل، سيجتمعون ويعودون لوطنهم.**
5. **بعض الأمم (غير اليهود) "سيتحولون دينياً"، يتوبون ويعبدون إله إسرائيل.**
6. **ستكون هناك معركه أخيره بين إسرائيل وبقية الأمم.**
7. **سيُقام كُل الأموات ويحاسبون، بعد انتصار الرب. أما الأشرار سيرسلون إلى جهنم (شكل بدائى من الجحيم)، وسيحصل الأبرار على ما قصده الرب في البدايه، المدينة الفاضله، جنة عدن جديده على الأرض. كان هذا مقصد النبي إشعياء عندما قال: "فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ،" (إشعياء 11: 6) و "فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَ يُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا " (إشعياء 2: 4).**

لم تُفهم "الأيام الأخيره" أو "نهايه الأيام" على أنها إبادة كامله للخلق، لن يدمر الله أبدًا خليقته الأصلية. كانت الأرض لا تزال موجوده، بعد طوفان نوح، لكن الطوفان كان إيذانا بنهاية عصر. ستتحول حياتنا المعروفة الأن كُليًا وتُستبدل بملكوت الله على الأرض."

عقيدة "الأيام الأخيره" أو "نهاية الأيام"، أصبحت تقريباً هى التصور المُسيطر على عقل العالم ليومنا هذا عن تفاصيل نهاية العالم، و أنا هنا لا أقصد فقط اليهود أو حتى المسيحيين، لكن أقصد كمان كتير من المسلمين، اللى أصبح جزء من هذه العقيده متوغل فى عقولهم بشكل ما، و أخص بالذكر نقطتين، حرب نهاية العالم، و ظهور المسيح المُنتظر اللى حيقود العالم قبل فناء الأرض، بالرغم من أختلاف شخص المساياه اليهودى عن المسيح المسيحى أو الأسلامى، لكن الكُل مُنتظر حرب نهاية العالم، و ظهور المساياه أو عودة المسيح، هذه التفاصيل أصبحت هى الصوره الذهنيه المُتصوره لأخر الأيام على الأرض.

موسى بن ميمون، أحد أشهر الحاخامات (الرابايات) فى تاريخ الديانه اليهوديه، و كان الطبيب الخاص لصلاح الدين الأيوبى، هو اللى جمع المشناه بشكلها النهائى، و المشناه هى نوع من كتابات اليهوديه، بتُعتبر جزء من التوراة الشفوية، و بتُمثل الأساس اللى بُنى عليه "التلمود" ، كان له عدة أقوال تخُص نهاية الأيام، لكن من أهمها أنا أخترت هذه الجمله: **"إن شعبية المسيحية و الإسلام هى جزء من خطة الله لنشر مُثُل التوراه فى جميع أنحاء العالم، و هذا يجعل المجتمع أقرب إلى حاله أخلاقيه مثاليه، و نحو فهم أكبر لله، كُل هذا تحضيراً للعصر المسيانى."**

ربما كانت مقولة موسى بن ميمون، و اللى عاش ما بين 1138 ل1204 ميلادياً، هى أخطر جمله بالنسبالى فى هذا الكتاب، المقوله بالنسبالى مش مجرد عباره قالها حبر يهودى من أصول أندلسيه عاش فتره الدوله الأيوبيه، و كان نقيب للطائفه اليهوديه وقتها، و كان الطبيب الخاص لصلاح الدين، مش مقوله دينيه قالها يهودى عاش فى كنف حكم دوله أسلاميه، لكن هى مقوله سياسيه عابره للزمان و المكان، و حأرجع لها فى الفصل الختامى للكتاب، لأنها حتكون نوع من الدليل و الربط بين بعض المواضيع اللى ممكن نشوفها فى البدايه، بعيده كُل البعد عن بعض.

03 مايو 2024

"سَقَطَتْ! سَقَطَتْ بَابِلُ الْعَظِيمَةُ! وَ صَارَتْ مَسْكَنًا لِشَيَاطِينَ، وَ مَحْرَسًا لِكُلِّ رُوحٍ نَجِسٍ، وَ مَحْرَسًا لِكُلِّ طَائِرٍ نَجِسٍ وَمَمْقُوتٍ" سفر الرؤيا 2:18

سفر الرؤيا و قيام الساعه

النبؤات فى المسيحيه مقسمه قسمين، قسم موروث من اليهوديه، و ده، لأن زى ما سبق و ذكرت،أن المسيحيه أعتبرت التناخ هو الجزء الأول من الكتاب المقدس، حتى و أن كان فيه بين الأتنين بعض الأختلافات، أما الجزء التانى، فهو يشمل كُل ما كُتب عن حياة المسيح و أقواله، و كُل ما كتبه الرسل من رسائل، و أعمال الرسل، بجانب سفر الرؤيا، و كُل ده تمت كتابته بعد صعود المسيح للسماء.

بالنسبه للجزء الأول، فالمسيحيه طوعت كُل النبؤات المُستقبليه اليهوديه، علشان تنطبق على المسيح، و ده حيظهر بوضوح فى الفصل القادم، بالرغم من عدم إعتراف اليهود وقت ظهور المسيح، بأنه هو المساياه المُنتظر بالنسبالهم، لكن المسيحيين أعتبروا أن كُل النبؤات المُستقبليه، كان المقصود بيها المسيح يسوع (عيسى ين مريم)، و لهذا السبب، حتجد نفس النص عند اليهود، المقصود بيه المساياه -اللى لسه ماجاش-، و فى المسيحيه، المقصود بيه المسيح، فى مجيئه أو ظهوره التانى على الأرض.

أفكار المسيحيه الأصيله حنلاقيها فى أسفار العهد الجديد، لكن أهمها على الأطلاق هو طبعاً كلام المسيح نفسه، لأنه بيُمثل المصدر الرئيسى اللى أستقى منه بعض الرسل كتباتهم، و اللى أصبحت بعد التجميع، "أسفار العهد الجديد".

العهد الجديد أو الجزء المسيحى الأصيل فى الكتاب المُقدس -زى ما سبق و ذكرت فى الفصول السابقه-، بيتكون من 4 أنواع من الكتابات. الأول هو الأناجيل الأربعه، و كلمة إنجيل -لمن لا يعلم- هى كلمه يونانيه الأصل، معناها البشاره الساره، و الأناجيل الأربعه هى أربع روايات كتبها أربع أشخاص عن حياة المسيح و أقواله و معجزاته، أتنين من كتاب الأناجيل الأربعه يُفترض أنهم عاصروا المسيح، و الأتنين الأخرين يُفترض أنهم عاصروا تلاميذه.

النوع التانى من الكتابات هى رسائل الرسل اللى تلوا المسيح و بشروا بيه، لحكام كتير من ممالك و شعوب العالم، خلال الفتره الزمنيه اللى تلت صعود المسيح

للسماء. النوع التالت من الكتابات هو سفر أعمال الرسل، و واضح من أسمه أنه بيتكلم عن أعمال رُسل المسيح، و اللى كرزوا أو بشروا بالمسيحيه بعد وفاته.

أما النوع الأخير من الكتابات، فهو سفر أسمه "سفر الرؤيا" ليوحنا اللاهوتى، و يوحنا من المُفترض -لكن غير المؤكد- أنه نفس يوحنا كاتب أخر الأناجيل. سفر الرؤيا هو عباره عن نبؤه كامله بتفاصيل نهاية العالم، إذن فسفر الرؤيا هو سفر أبوكاليبسى بالكامل.

حأبدأ طبعاً بالأناجيل، لأنها بتُمثل أقوال المسيح نفسه، و من إنجيل متى، الإصحاح 24، الأعداد من 1 إلى 14:

"1 ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَ مَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَي يُرُوهُ أَبْنِيَةَ الْهَيْكَلِ.2 فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ ههُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!».3 وَ فِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلاَمِيذُ عَلَى إِنْفِرَادٍ قَائِلِينَ: «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا؟ وَ مَا هِي عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَ إِنْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟» 4 فَأَجَابَ يَسُوعُ وَ قَالَ لَهُمْ:«إِنْظُرُوا! لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. 5 فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَ يُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. 6 وسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوب وَ أَخْبَارِ حُرُوبٍ. إِنْظُرُوا، لاَ تَرْتَاعُوا. لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ هذِهِ كُلُّهَا، وَ لكِنْ لَيْسَ الْمُنْتَهَى بَعْدُ. 7 لأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَ مَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَ تَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَ أَوْبِئَةٌ وَ زَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ. 8 وَ لكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ. 9 حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضِيقٍ وَ يَقْتُلُونَكُمْ، وَ تَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ لأَجْلِ اسْمِي. 10 وَ حِينَئِذٍ يَعْثُرُ كَثِيرُونَ وَ يُسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَ يُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. 11 وَ يَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَ يُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. 12 وَ لِكَثْرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ. 13 وَ لكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ. 14 وَ يُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى."

الأعداد السابقه، و باقى أعداد الإصحاح 24 و الإصحاح 25، كُلهم بيتكلموا عن وصف نهاية العالم على لسان المسيح. الجزء المذكور بيشرح حوار تم بين المسيح و تلاميذه على مرحلتين. المرحله الأولى، و هو خارج من الهيكل المُقدس أو السنهيدريم "هيكل سليمان"، فالتلاميذ أروه أبنيه الهيكل، فالمسيح أبلغهم أن

الهيكل -و اللى كان وقتها هو البناء التانى للهيكل-، حيتم هدمه لدرجة أن مش حيكون فيه حجرين مترابطين مع بعض، و دى طبعاً حتكون بدايه لعلامات نهاية الأيام.

باقى الأعداد بتتكلم عن تكملة الحوار على جبل الزيتون، لما قام التلاميذ بسؤاله عن موعد مجيئه التانى و نهاية الأيام، لأن من علامات نهاية الأيام فى المسيحيه، المجئ التانى للمسيح، فبدأ المسيح كلامه بفكرة المُسحاء الكذبه اللى حيظهروا من بعده، و حيدعوا أنهم هما المسيح فى مجيئه التانى. كمان أكد المسيح على ظهور أشخاص كتير حيدعوا النبوه الكاذبه. بعدها أكمل المسيح فى وصف تفاصيل نهايه العالم. الأعداد اللى أنا أخترتها مش هى كُل الأعداد اللى أتكلم فيها المسيح عن نهاية الأيام، لكن أنا أكتفيت بهذه الأعداد فقط، لأنها بتوضح المُعتقد و التصور اللى ذكره المسيح بشكل كامل و وافى.

النقطه اللافته جداً للنظر فى بداية العدد 6، أن المسيح بيبلغ تلاميذه بأنهم حيشهدوا بنفسهم نهاية الأيام، و دى نقطه فى غاية الأهميه، هى موجوده بوضوح فى المسيحيه، لكن مش موجوده فى اليهوديه، و لما نوصل للإسلام حنلاقيها برضه مذكوره فى بعض الأحاديث، و بالمُناسبه فالشئ بالشئ يُذكر، فالهدم التانى للهيكل المُقدس أو السنهيدريم "هيكل سليمان"كما هو معروف تاريخياً، تم بالفعل بعد موت المسيح بأقل من 38 سنه، لكن بالطبع لم تحدث معاه نهاية العالم.

أنا أخترت نص إنجيل متى كبدايه، بالرغم من وجود نفس النص تقريباً، فى إنجيلى مرقس و لوقا، لوضوح و مُباشرة الأسئله اللى سألها التلاميذ فى هذا الإنجيل: "**«قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا؟ وَ مَا هِى عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَ إِنْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟»**" أكتر من إنجيلى مرقس و لوقا، و اللى كانت الأسئله فيهم غير محدده بشكل كافى. مثلاً فى إنجيل مرقس كانت أسئلة التلاميذ: "**«قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا؟ وَمَا هِىَ الْعَلاَمَةُ عِنْدَمَا يَتِمُّ جَمِيعُ هذَا؟»**". ده بالإضافه لوجود إجابه واضحه من المسيح عن موعد نهاية الأيام فى إنجيل متى، و حنجدها فى نفس الإصحاح، العدد 34: "**34 اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِى هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ.**"

فى إنجيل مرقس و إنجيل لوقا، حنجد القصه مذكوره تقريباً بنفس التفاصيل، لكن يمكن المكتوب فى إنجيل مرقس، يكاد يتطابق مع المكتوب فى إنجيل متى، و أنا

هنا بذكرها من الأناجيل التلاته لتأكيدها، لأن ذكرها فى 3 أناجيل يؤكد أهميتها كعقيده مسيحيه راسخه عن نهاية العالم. هذا الحوار معروف بأسم "حوار جبل الزيتون"، و أنا حأكتفى بأنى أنهى كلامى عن أقوال المسيح عن نهاية العالم من الأناجيل، بما هو مكتوب فى إنجيل لوقا، الإصحاح 21، الأعداد من 5 إلى 22:

"5 وَ إِذْ كَانَ قَوْمٌ يَقُولُونَ عَنِ الْهَيْكَلِ إِنَّهُ مُزَيَّنٌ بِحِجَارَةٍ حَسَنَةٍ وَ تُحَفٍ، قَالَ: 6 «هذِهِ الَّتِي تَرَوْنَهَا، سَتَأْتِي أَيَّامٌ لاَ يُتْرَكُ فِيهَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ». 7 فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ:«يَامُعَلِّمُ، مَتَى يَكُونُ هذَا؟ و مَا هِي الْعَلاَمَةُ عِنْدَمَا يَصِيرُ هذَا؟» 8 فَقَالَ: «انْظُرُوا! لاَ تَضِلُّوا. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: إِنِّي أَنَا هُوَ! وَ الزَّمَانُ قَدْ قَرُبَ! فَلاَ تَذْهَبُوا وَرَاءَهُمْ. 9 فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوبٍ وَ قَلاَقِلَ فَلاَ تَجْزَعُوا، لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ هذَا أَوَّلاً، وَ لكِنْ لاَ يَكُونُ الْمُنْتَهَى سَرِيعًا». 10 ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:«تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَ مَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، 11 زَلاَزِلُ عَظِيمَةٌ فِي أَمَاكِنَ، وَ مَجَاعَاتٌ وَ أَوْبِئَةٌ. وتَكُونُ مَخَاوِفُ وَ عَلاَمَاتٌ عَظِيمَةٌ مِنَ السَّمَاءِ. 12 وقَبْلَ هذَا كُلِّهِ يُلْقُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَ يَطْرُدُونَكُمْ، وَ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَامِعِ وَسُجُونٍ، وَ تُسَاقُونَ أَمَامَ مُلُوكٍ وَ وُلاَةٍ لأَجْلِ اسْمِي. 13 فَيَؤُولُ ذلِكَ لَكُمْ شَهَادَةً. 14 فَضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لاَ تَهْتَمُّوا مِنْ قَبْلُ لِكَيْ تَحْتَجُّوا، 15 لأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَمًا وَ حِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا. 16 وَ سَوْفَ تُسَلَّمُونَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَ الإِخْوَةِ وَ الأَقْرِبَاءِ وَ الأَصْدِقَاءِ، وَ يَقْتُلُونَ مِنْكُمْ. 17 وَ تَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. 18 وَ لكِنَّ شَعْرَةً مِنْ رُؤُوسِكُمْ لاَ تَهْلِكُ. 19 بِصَبْرِكُمُ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ. 20 وَ مَتَى رَأَيْتُمْ أُورُشَلِيمَ مُحَاطَةً بِجُيُوشٍ، فَحِينَئِذٍ اعْلَمُوا أَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ خَرَابُهَا. 21 حِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِينَ فِي وَسْطِهَا فَلْيَفِرُّوا خَارِجًا، وَ الَّذِينَ فِي الْكُورِ فَلاَ يَدْخُلُوهَا، 22 لأَنَّ هذِهِ أَيَّامُ انْتِقَامٍ، لِيَتِمَّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ."

مره تانيه و أخيره، و قبل ما حأنهى الجزء الخاص بالأناجيل، أحب أؤكد أنه كان هناك تأكيد بقرب نهاية الأيام، و ده حيتضح جداً بدايةً من العدد 9، من خلال قول المسيح **"فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوبٍ وَ قَلاَقِلَ فَلاَ تَجْزَعُوا"**، لأن صياغة الكلام بتؤكد أن الكلام مقصود بيه من يسمعون منه الكلام، مش معنى بيه الأجيال القادمه.

أهم ما يُلخص حوارى المسيح مع تلاميذه عن نهاية الأيام، يُمكن أختصاره فى 3 نقاط رئيسيه:

1. إرتباط نهاية العالم بخراب أورشليم (القدس)، و تدمير الهيكل المُقدس أو السنهيدريم "هيكل سليمان"، و هذه العقيده بكافة تفاصيلها كما ذُكرت فى الأناجيل التلاته، متوافقه تماماً مع عقيدة "نهاية الأيام" اليهوديه.
2. المجئ التانى للمسيح على الأرض حيكون بعد حالة الخراب و الدمار و تدمير الهيكل المُقدس
3. أن نهاية العالم قريبه جداً، و أن مستمعيه من التلاميذ حيشهدوا بأنفسهم نهاية العالم.

****

سفر أعمال الرسل و كُل الأسفار اللى فيها رسائل الرسل للمُلوك و الشعب كان فيهم بالطبع كلام عن نهاية الأيام، لكن النص لا يُعتبر نص أپوكاليبسى، بمعنى أنه مش وصف لما سيحدث فى نهاية الأيام، لأن المسيح فى الأناجيل وصف نهاية الأيام بشكل مفصل جداً، فهنا الكلام كان مختلف، و نوعاً ما نقدر نقول أنه كان له شكل تحذيرى، زى أى شخص ما بيُبشر أو بيدعى أو بيكرز لدين جديد، فبيكون فى كلامه طول الوقت التبشير و التحذير، أو التنبيه بالثواب و العقاب، و ده طبيعى جداً، لكن ممكن أختار بعض الأمثله من بعض الرسائل، دون الحاجه لشرحها.

رسالة تسالونيكى الأول، و اللى كتبها بولس الرسول، هى أقدم ما كُتب داخل العهد الجديد، و هى تقريباً كُتبت سنة 51 ميلادياً، حتى قبل كتابة أى إنجيل من الأناجيل الأربعه، و طبعاً كُل الرسائل الموجوده فى العهد الجديد، هى رسائل تبشيريه تحذيريه، فنجد على مدار الرساله عدة تأكيدات على قُرب المجئ التانى للمسيح، حأكتفى منها ببعض الأعداد، و حأبدأ بالإصحاح 2، العدد 19:

"19 لأَنْ مَنْ هُوَ رَجَاؤُنَا وَ فَرَحُنَا وَ إِكْلِيلُ إِفْتِخَارِنَا؟ أَمْ لَسْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا أَمَامَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ؟"

و الإصحاح 4، الأعداد 14، 16:

"14 لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ. 15 فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ، لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ."

مثال أخر، من رسالة بطرس الرسول الأولى، الإصحاح 4، العدد 7: **"وَ إِنَّمَا نِهَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِ إِقْتَرَبَتْ، فَتَعَقَّلُوا وَ اصْحُوا لِلصَّلَوَاتِ."**

و من بين رسائل بولس الرسول غير رسائل تسالونيكى، حنجد فى رسالة روميه، الإصحاح 13، العدد 11: **"هذَا وَ إِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ، أَنَّهَا الآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ، فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا."**

مثال رابع من رسالة كورينثوس الأولى، الإصحاح 7، الأعداد من 29 إلى 31:
"29 فَأَقُولُ هذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ: الْوَقْتُ مُنْذُ الآنَ مُقَصَّرٌ، لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَنْ لَيْسَ لَهُمْ، 30 وَ الَّذِينَ يَبْكُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَبْكُونَ، وَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَفْرَحُونَ، وَ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَمْلِكُونَ، 31 وَ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَعْمِلُونَهُ. لأَنَّ هَيْئَةَ هذَا الْعَالَمِ تَزُولُ."

من الواضح جداً من كُل ما سبق من أعداد، أن الرُسل كانوا مؤمنين تماماً بأن نهاية الأيام قريبه جداً، و ده بالرغم من أن بعضها كُتب قبل الأناجيل، و خاصةً رسائل بولس الرسول، بولس لم يؤمن أو حتى شاف المسيح أثناء حياته، لكنه أمن بالمسيح بُناء على رؤيا شافها.

أما البعض الأخر، و اللى عايش المسيح، فممكن يكون بنى مُعتقده بناء من خلال أقوال المسيح، اللى أهمها طبعاً حوار جبل الزيتون، فكانت دعوتهم و كرازتهم بتحمل نصوص تحذيريه طول الوقت. فى النهايه فسواء كان كاتب الرسائل عايش المسيح و سمع منه أو لا، فالمُعتقد بقرب المجئ التانى للمسيح و نهاية الأيام، و أن الجيل الحاضر وقتها، حيعايش المجئ التانى للمسيح و نهاية الأيام، كان راسخ تماماً فى الفتره المباشره اللى تلت صعود المسيح.

****

أوصل معاك لسفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى، و هو سفر غريب جداً، و يُمكن أعتباره أهم سفر أبوكاليبسى فى الكتاب المُقدس بعهديه القديم و الجديد، و الكلام عنه محتاج كتب، لكن قبل ما أبدأ الكلام عن سفر الرؤيا، أحب أتكلم بأختصار شديد عن تاريخ العهد الجديد ككتاب مُقدس، لأن فيه ناس كتير -خاصة من غير المسيحيين- ، لا يعلموا الكثير عن تاريخ الكتاب المقدس و أسفاره، فهذا المدخل حتى لو طال بعض الشئ، لكن بالنسبالى هو مهم جداً لتفسير ليه سفر الرؤيا الموجود فى الكتاب المقدس، تم أختياره من بين أسفار العهد الجديد.

بدايةً، زى ما سبق و ذكرت، فالعقيده اليهوديه بتُؤمن بأن فى يوم من الأيام حيظهر المسياه أو المسيح المخلص، بعد حرب كبيره حيُذل فيها شعب إسرائيل، و يُفترض أنه حيقدر يخلص كُل شعب إسرائيل من حالة الذل و الهوان اللى حيكونوا فيها، و حيبدأ المملكه التانيه لشعب أسرائيل و عاصمتها أورشليم (القدس)، و أياً كان شكل ظهوره، سواء كملك أو كشخص عادى، فهو حيقود العالم كُله لشكل الحياه الجديده التى حتكون فى نهاية الأيام.

اليهود وقت ظهور المسيح كانوا تحت الحكم الرومانى، و كان كُل هدفهم خلال هذه الفتره، هى التحرر من الأسر و العبوديه و سيطرة الأمبراطوريه الرومانيه عليهم، و أن مملكة أسرائيل بعاصمتها أورشليم (القدس) تعود مره أخرى، صحيح اليهود كانوا متواجدين فى أورشليم و بيدخلوا الهيكل، لكن تحت تحكُم و وصايه من الأمبراطوريه الرومانيه.

المسياه المُنتظر كان له مواصفات، من أهمهم أنه حيكون من نسل دوواد، و أنه حيكون قائد عسكرى حيقدر يحرر اليهود.

المسيح كان يهودى، أتولد و عاش فى اليهوديه، و فى دعوته حتى يوم صلبه لم يدعو إلى أى دين جديد، لكن دعا للملكوت، دعا لعبادة الله الرب، لأتّباعه و ترك شهوات الدنيا أياً كانت المُغريات. الأهم من كُل ما سبق، أن المسيح أعلن نفسه كالمسياه المُنتظر، و كان دخوله أورشليم (القدس) فى بداية الأسبوع الأخير من حياته، بنفس الوصف و الكيفيه المكتوبه فى سفر زكريا، الإصحاح 9، العدد 9: **"9**

إِبْتَهِجِي جِدًّا يَا إِبْنَةَ صِهْيَوْنَ، إِهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَ مَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَ رَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَ عَلَى جَحْشٍ إِبْنِ أَتَانٍ."

يؤكد على ذلك العديد من أقوال المسيح المذكوره فى الأناجيل، أهمها كان فى إنجيل متى، الإصحاح 5، الأعداد من 17 إلى 20:

"«17 لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. 18 فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. 19 فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَ عَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَ أَمَّا مَنْ عَمِلَ وَ عَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. 20 فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَ الْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ."

الكلام واضح و صريح فى هذه الأعداد، أن المسيح لم يأتى لنقض الناموس أو الشريعه اليهوديه، لكنه جاء لأستكمالها، نضيف لذلك أن المسيح لم يترك أى كتاب أو نص مقدس على الإطلاق، هو كان فقط كان بيعلن عن نفسه كالمسياه المُنتظر، لكن رفض اليهود له، كان لعدم تطابق المواصفات المُفترضه بالنسبالهم للمسيح يسوع، مع مواصفات و صفات المسياه المُنتظر.

بحسب العقيده المسيحيه، فالمسيح مات كفادى للبشريه كُلها بعد صلبه، ثم قام من الأموات، و مكث لفتره غير مؤكدة المده مع تلاميذه، لأن فى أنجيل لوقا ذُكرت هذه الفتره على أنها يوم واحد، بينما فى سفر أعمال الرسل ذُكرت على أنها كانت 40 يوم، لكن المُهم أنه لحد يوم صعوده للسماء، لم يكتُب أى كتاب أو نص مقدس، و الأهم أنه لم يؤسس أو يدعو لأى دين جديد على الإطلاق، لكن لمرحله أو عهد جديد.

بعد صعود المسيح للسماء، بدء تلاميذه و أتباعهم -و اللى سُموا بالرُسل- فى نشر دعوة المسيح، بدون أى كتب مقدسه، فى كافة أرجاء الأمبراطوريه الرومانيه، و اللى كانت وقتها بتُحكم جزء كبير جداً من العالم، و كان عددهم بحسب أنجيل لوقا، الإصحاح 10، الأعداد من 1 إلى 3، 70 رسول:

"1 وَ بَعْدَ ذلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضًا، وَ أَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَ مَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعًا أَنْ يَأْتِيَ. 2 فَقَالَ لَهُمْ:«إِنَّ الْحَصَادَ كَثِيرٌ، وَ لكِنَّ الْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ. 3 اِذْهَبُوا! هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ حُمْلاَنٍ بَيْنَ ذِئَابٍ."

كان أول من بدأ الدعوه للمسيح هو بولس الطرطوسى، أو شاول كما كان أسمه فى اليهوديه، و اللى لم يكُن من بين الرُسل السبعين، فى نفس الوقت كان هُناك الكثيرين اللى بدأوا يكتبوا سيرة و أقوال المسيح فيما يسمى "أنجيل" باليونانيه أو "البشاره الساره" بالعربيه.

كُتبت عشرات الأناجيل اللى بدء الرُسل يبشروا أو يكرزوا بيها، و بدء كتير من رعايا الدوله الرومانيه يقبلوا الأيمان بالمسيح، و بدء عددهم يزيد بشكل كبير جداً، لكن بدون كتاب موحد أو نظام عبادات موحد، يربط بين كُل هؤلاء اللى قبلوا المسيح، فى كافة أرجاء الأمبراطوريه الرومانيه.

لمدة ما يقرُب من 300 سنه، أستمرت المسيحيه بهذا الشكل، لأن -زى ما ذكرت- عشرات الأناجيل و الكتابات المسيحيه ظهرت خلال هذه الفتره، و كانت كُل مجموعه من المؤمنين بتتبع أناجيل بعينها، و خلال هذه الفتره الطويله جداً، كانت المسيحيه واحده من الديانات السريه الغير معترف بيها داخل الأمبراطوريه الرومانيه، و بسبب بعض فترات الأضطهاد من الأمبراطوريه الرومانيه للمسيحيين خلال هذه السنين، ظهرت فكرة الهروب للصحارى للتعبد، و كانت النواه لظهور الرهبنه فى الديانه المسيحيه فيما بعد.

الأمبراطور قنسطنطين الأول أو قسطنطين العظيم، و اللى تولى حكم الأمبراطوريه الرومانيه من 272 ميلادياً إلى 337 ميلادياً، كان التحول الحقيقى فى الديانه المسيحيه، لأنه كان أول أمبراطور رومانى يؤمن بالمسيح و يعتنق المسيحيه، و قرر إعتمادها الديانه الرسميه للأمبراطوريه الرومانيه ككُل.

الأمبراطور قسطنطين العظيم لاحظ وجود أكتر من نسخه للعقيده المسيحيه خلال هذه الفتره، و من أشهر هذه النسخ كانت العقيده "الأريوسيه". قنسطنطين دعى لمجمع برئاسته، ضم 1800 أب مسيحى من كافة أنحاء الأمبراطوريه الرومانيه،

المجمع أقيم فى مدينة "نيقيا" -اللى بتقع حالياً فى تركيا- سنة 325 ميلادياً، فتم تسميته مجمع "نيقيا"، و كان الهدف منه توحيد العقيده المسيحيه. أستمر المجمع فى الأنعقاد لمدة 3 أشهر كامله، من شهر مايو لشهر أغسطس.

و بالفعل تم خلال المجمع إعتماد قانون الأيمان المسيحى، و تم رفض كُل ما سُمى من خلال المجمع "هرطقات"، و على رأسها "الأريوسيه"، بالإضافه لإعتماد كُل الأسفار اللى أصبح بيتضمنها الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد، فتم رفض عشرات الأناجيل، أهمها أناجيل الطفوله، و تم رفض رؤيا بطرس، و إعتماد رؤيا يوحنا اللاهوتى، و تم رفض بعض الرسائل، و من وقتها بتُسمى كُل الأناجيل المرفوضه ب "الأناجيل المنحوله" أو "Apocrypha". فى نفس الوقت تم إعتماد الكتاب المقدس بشكله النهائى الموجود حتى يومنا هذا، و بالمُناسبه فأقدم ما كُتب فى العهد الجديد هى رسائل بولس الرسول، و المُعتقد أن أول رساله كُتبت، كانت رسالة تسالونيكى الأولى -زى ما سبق و ذكرت-.

كل الإناجيل و الأسفار اللى تم إعتمادها، تم إختيارها بُناء على موافقتها لقانون الإيمان المسيحى، أو للتاريخ المتفق عليه الخاص بحياة المسيح، و لهذا السبب تم

رفض مجموعه من الأناجيل سُميت بأناجيل الطفوله، لعدم موافقتها التاريخ المُعتمد و المتوافق عليه.

****

كُل ما سبق كان مُجرد مقدمه للكلام عن سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى، و غير مؤكد حتى يومنا هذا، هل هو نفس يوحنا اللى كتب إنجيل يوحنا أو لا، لأن سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى هو سفر متفرد عن كُل أسفار العهدين القديم و الجديد، لأنه بيُمثل رؤيه طويله جداً لنهاية العالم، بكم كبير جداً من التفاصيل الدقيقه. السفر كما سبق و ذكرت، هو سفر أبوكاليبسى بالكامل، و زى ما ذكرت برضه، هو ملئ بالتفاصيل، لكن أنا أخترت منه بعض النبؤات فقط، لأنها بتُمثل النبؤات اللى ساهمت بشكل كبير جداً فى تشكيل كتير من التصورات عن نهاية العالم، و ما زالت مؤثره فى العقل الجمعى البشرى -سواء للمسيحيين و غير المسيحيين-، حأذكر أتنين منهم، أما النبؤه التالته فحتؤجل لنهاية الفصل، لأن حيتم ربطها بموضوع أخر فى غاية الأهميه.

1. أول نقطه و أهم نقطه، كانت تحديد المكان اللى حتقع فيه حرب نهاية العالم، و حنجد فى سفر الرؤيا، الإصحاح 16، الأعداد من 13 إلى 16:
"13 وَ رَأَيْتُ مِنْ فَمِ التِّنِّينِ، وَ مِنْ فَمِ الْوَحْشِ، وَ مِنْ فَمِ النَّبِيِّ الْكَذَّابِ، ثَلاَثَةَ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ شِبْهَ ضَفَادِعَ، 14 فَإِنَّهُمْ أَرْوَاحُ شَيَاطِينَ صَانِعَةٌ آيَاتٍ، تَخْرُجُ عَلَى مُلُوكِ الْعَالَمِ وَ كُلِّ الْمَسْكُونَةِ، لِتَجْمَعَهُمْ لِقِتَالِ ذلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يَوْمِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. 15 «هَا أَنَا آتِي كَلِصٍّ! طُوبَى لِمَنْ يَسْهَرُ وَ يَحْفَظُ ثِيَابَهُ لِئَلاَّ يَمْشِيَ عُرْيَانًا فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ». 16 فَجَمَعَهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ «هَرْمَجَدُّونَ».

الموقع هو مدينه مجدو أو مجدون فى فلسطين، و هرمجدون مكونه من كلمتين، كلمة هر و معناها تل أو جبل، و مجدون أو مجدو هى مدينه فلسطينيه، و موقعها فى مرج ابن عامر، بالقرب من مدينة جنين. إذن فمعركه نهاية العالم المذكوره، هى معركة تل مجدون أو "هرمجدون"، و هى بتُسمى برضه الملحمه الكبرى، و حتدور وقائعها فى فلسطين

بالطبع. هذا التصور بيتماشى تماماً مع التصور اليهودى، فيما يخُص موقعة نهاية العالم.

نفس الموقع تمت فيه من قبل موقعة "مجدو" الشهيره فى التاريخ المصرى القديم، و كانت ما بين الجيش المصرى بقيادة الفرعون تحتمس الثالث، و إئتلاف من المتمردين الكنعانيين بقيادة ملك قادش. و هى أول معركة تم تسجيلها فى الوثائق التاريخيه.

2. تانى نقطه هى نقطة عدد الوحش، و هو الرقم اللى أرتبط حتى يومنا هذا بالشيطان، و هو رقم 666، و حنجده فى سفر الرؤيا الإصحاح 13، العدد 18: **"18 هُنَا الْحِكْمَةُ! مَنْ لَهُ فَهْمٌ فَلْيَحْسُبْ عَدَدَ الْوَحْشِ، فَإِنَّهُ عَدَدُ إِنْسَانٍ، وَ عَدَدُهُ: سِتُّمِئَةٍ وَ سِتَّةٌ وَ سِتُّونَ."**

الرقم 666 أصبح هو الرقم المرادف للشيطان فى جميع المعتقدات، و أصبح رقم مقدس فى جميع كنائس عبادة الشيطان، و اللى ظهرت من بدايات القرن ال20 ميلادياً، و أعتقد أن مُنشئيها تأثروا بشكل كبير بسفر الرؤيا، و تحول الرقم 666 فى المُعتقد الجمعى لرقم مخيف، مربوط بالشيطان و بالمسيخ الدجال، للدرجه اللى وصلت بعض الناس لأنها تعتقد، أنه رقم تليفون الشيطان.

التفاصيل فى سفر يوحنا اللاهوتى كتير جداً، بس أنا أكتفيت بالنبؤتين السابقتين فقط، لِما أصبح لهم من تأثير حتى يومنا هذا، و لما بُنى عليهم فيما بعد، لكن السفر بشكل عام ملئ بالتفاصيل الغريبه الغامضه، اللى عجز كُل من حاول تفسير السفر عن فهمها، رُبما لشدة رمزيتها، لكن كان المُلاحظ أن فيما عدا رقم 666، فكُل الأرقام المذكوره فى السفر هى إما 7 أو 12، و الرقمين هما أكتر رقمين مقدسين فى الديانه اليهوديه.

و من الجمله الأخيره حأختم كلامى عن نبؤات نهاية العالم فى الديانه المسيحيه. المسيحيه فى البدايه كانت أمتداد لليهوديه، و كان كُل كلام المسيح بيؤكد أنه لم يأتى لينقض الناموس، و الناموس يعنى الشريعه، فمن هنا تطابقت أغلب نبؤات نهاية

العالم اليهوديه و المسيحيه بشكل كبير، و خاصةً فى جزئية حرب نهاية العالم و أنها حتكون فى فلسطين، و هذه النقطه بالطبع هى أهم جزء فى النبؤه.

طائفه مسيحيه أسمها "Evangelicals" أو الإنجيليين، كنت أتكلمت عنها فى الفصل الأول، و هى أحدى طوائف البروتوستانت، بتؤمن إيمان كامل بالعقائد اليهوديه، خاصةً فيما يخص نهاية العالم، و تحديداً نبوءة عودة اليهود لأرض الميعاد فى نهاية الأيام، و هى من أهم عقائد الإنجيليين، و بيعتبروا تحقيق هذه النبؤة هو الخط الفاصل لحدوث باقى نبؤات نهاية الأيام.

****

المُعتقد الإسلامى عن علامات قيام الساعه كان له 3 مستويات، المستوى الأعلى بالطبع كان المستوى القرآنى، و هو مستوى الكليات دون الدخول فى تفاصيل دقيقه. المستوى المتوسط بيُمثل الأحاديث، و تفاصيل ما ذكرته الأحاديث عن علامات قيام الساعه كان شديد التنوع، و فيه جزئيات كتير بتُماثل بعض أقوال المسيح. أما المستوى الأخير فهو المرويات، و هنا الكلام وصل لمستوى عالى جداً من التفاصيل، و كُل إمام أو عالم، أضاف بصمته الشخصيه عليه، فأصبح عندنا مئات المرويات المُتضاربه عن تفاصيل نهاية العالم.

المستوى الأول و الأهم بالطبع، هو المستوى القرآنى، و اللى ذكر نهاية العالم بمُسمى "يوم القيامه"، و لو فسرنا الكلمه حنجد أن معناها هو قيامة الأموات من الموت و العوده للحياه، و هنا حيظهر سؤال مهم جداً لا توجد له إجابه فى القرآن و هو: هل ستكون تلك القيامه على الأرض أم فى السماء مباشرةً؟ خاصة و أن من مُسميات يوم القيامه "يوم الحساب"، فهل معنى ذلك أن حساب البشر حيتم بشكل مباشر فى يوم القيامه، فالأقرب للتصور هو أن قيامة الموتى حتكون بشكل مباشر فى السماء.

أغلب ذكر يوم القيامه بكافة مسمياته المذكوره قرآنياً، زى "يوم الحشر"، "الواقعه"، "التغابن"، "الحاقه"، "القارعه"، "الغاشيه"، "الزلزله"، " يوم الحسره"، " يَوْمُ الْخُرُوجِ "، و "الساعه"، كان بالحديث عن تفاصيل الأهوال الطبيعيه و الكونيه اللى حتُصاحب هذا اليوم.

من الأمثله الداله من القرآن، من سورة الواقعه، الأيات من 1 إلى 6: **" إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (3) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (4) وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (6)"**

مثال أخر من سورة الزلزله، الأيات 1 و 2:
" إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2)"

أخر مثال حيكون من سورة القارعه، الأيات من 1 إلى 5:
" الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (5)"

المُلاحظ فى كُل الأمثله السابقه و كُل ما يُشابهها من أمثله فى القرآن، أن أيات وصف يوم القيامه بتكون غالباً فى بداية السور، و بالمُناسبه فالتعبير الإسلامى الأكثر إستخداماً كان "قيام الساعه"، و أعتقد أن قيام الساعه مفهومه أرضى، و يوم القيامه مفهومه سماوى، و أن السور نفسها بتحمل واحد من أسماء يوم القيامه أو قيام الساعه، و ده بالطبع بيُمثل نوع من التحذير شديد اللهجه لبعض أهوال قيام الساعه-و هو التعبير اللى حنستخدمه-، فوجوده فى بدايه السوره بهذا الشكل، و خاصة أن أغلب هذه السور من قصار السور، و عدد كلمات أياتها قليل جداً، فبيكون وقعها على المستمع أقوى بكتير من الأيات الطويله، بس هذا لا يمنع من أن أهوال يوم القيامه ذُكرت فى بعض السور الطويله، لكن العالق فى العقل الجمعى المُسلم بشكل أكبر هو السور القصيره، و خاصة أن الغالبيه العظمى من المُسلمين بتصلى بالسور القصيره فقط، فده طبعاً ساعد على ترسيخ السور القصيره بشكل أكبر فى العقليه الجمعيه.

أيات وصف أهوال قيام الساعه من الناحية الجغرافيه و الجيولوجيه و الكونيه، هى الأكتر عدداً و تفصيلاً عن باقى الأيات اللى ذُكرت فيها أحداث قيام الساعه.

تانى تفصيله من تفاصيل وصف قيام الساعه على الأرض، و أنا بركز هنا على أحداث ما سيحدث فى الأرض، مش فى السماء، كان وصف لحالة البشر و سلوكياتهم فى هذا اليوم، و هنا حنلاقى فى القرآن عشرات الأيات اللى بتوصف هذه السلوكيات، من أهمها ما ذُكر فى سورة عبس، من الأيه 33 إلى الأيه 42:

" فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَ أُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (39) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَـئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42)"

تالت تفصيله من تفاصيل قيام الساعه فى القرآن كان عن موعد قيامها، و من أهم الأيات اللى ذكرت هذه التفصيله كانت فى سورة طه الأيه 15:

"إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (15)"

باقى تفاصيل ذكر قيام الساعه كان بدون تفاصيل، لكن كان الكلام عن أحداث حتُصاحب هذا اليوم، و كان أغلبها بشكل تحذيرى، و من أهم الأمثله كانت سورة الأنعام الأيه 22:

"وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (22)"

مثال تانى برضه من سورة الأنعام، الأيه 31:
"قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (31)"

مثال تالت من سورة مريم، الأيه 39:
"وَ أَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39)"

مثال رابع و أخير من سورة ق، الأيه 42:
"يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42)"

كُل الأمثله السابقه بتؤكد على أن القرآن لم يذكر أى تفاصيل عن قيام الساعه أكتر من التفاصيل العامه، اللى بتوصف غالباً أهوال طبيعيه و كونيه، أو بتوصف حالة البشر وقت قيام الساعه، أو أيات تحذيريه بتنبه البشر، لكن فيما عدا ذلك، فالقرآن لم يذكر أبداً أى تفاصيل عن الأحداث المُصاحبه لقيام الساعه، أو عن نبؤات

حتحدث قبله، مفيش أى ذكر لمسيخ دجال أو أى تفاصيل أخرى، إنما أكتفى القرآن بالكليات و التحذير، و كانت أياته شديده الوضوح فى الأتجاهين.

****

المستوى التانى طبعاً هو مستوى الأحاديث، و اللى ضمتها كتب الصحاح، و خاصةً البُخارى و مسلم، و هنا حنجد أن هذه الأحاديث أتكلمت فى أكتر من إتجاه، حأبدأ بأولها و هو الكلام عن موعد قيام الساعه، و أخترت أشهر حديث بيتكلم عن هذا الموضوع، و اللى كان و -مازال- عليه كتير جداً من اللغط فى محاولات تفسيره، كمثال لهذا النوع من الأحاديث:

"مَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ، وَكانَ مِن أَقْرَانِي، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه و سلَّمَ: إنْ يُؤَخَّرْ هذا، فَلَنْ يُدْرِكَهُ الهَرَمُ حتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ."
الراوى : أنس بن مالك | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحه أو الرقم : 2953 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] | التخريج : أخرجه البُخارى (6167)، ومسلم (2953).

صيغه أخرى للحديث موجوده برضه فى صحيح مسلم:
"أنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ وَ عِنْدَهُ غُلَامٌ مِنَ الأنْصَارِ، يُقَالُ له: مُحَمَّدٌ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: إنْ يَعِشْ هذا الغُلَامُ، فَعَسَى أَنْ لا يُدْرِكَهُ الهَرَمُ حتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ."
الراوى : أنس بن مالك | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحه أو الرقم: 2953 |

صيغه تالته للحديث من صحيح البُخارى، لكن بنسخته الأطول:
"أنَّ رَجُلًا مِن أهْلِ البَادِيَةِ أتَى النَّبِى صلَّى اللهُ عليه و سلَّم فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قالَ: ويْلَكَ! و ما أعْدَدْتَ لَهَا؟ قالَ: ما أعْدَدْتُ لَهَا إلَّا أنِّي أُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، قالَ: إنَّكَ مع مَن أحْبَبْتَ. فَقُلْنَا: و نَحْنُ كَذلكَ؟ قالَ: نَعَمْ. فَفَرِحْنَا يَومَئذٍ فَرَحًا شَدِيدًا، فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ -وكانَ مِن أقْرَانِى- فَقالَ: إنْ أُخِّرَ هذا، فَلَنْ يُدْرِكَهُ الهَرَمُ حتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ."
الراوى : أنس بن مالك | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البُخارى

الصفحه أو الرقم : 6167

الحديث شديد الوضوح، بيؤكد فيه الرسول أن الساعه حتقوم، قبل ما هذا الغلام اللى مر أمامهم يكبر و يشيخ. و هنا حنفتكر أقوال المسيح لتلاميذه الموجوده فى الأناجيل، و اللى ذكرناها فى بداية هذا الفصل، و كانت بتحمل نفس الفكره بالضبط، و هى أن نهاية العالم شديدة القرب، و أن كُل مستمعى المسيح من التلاميذ حيشهدوها و حيعايشوها.

الإتجاه التانى فى الأحاديث عن قيام الساعه، كان نوع من الوصف الغير محدد المعالم، لبعض علامات و مظاهر قيام الساعه، و هنا كان المقصود بيها هو السلوك البشرى، مش تفاصيل الأهوال الطبيعيه و الكونيه، و أخترت من بين الأحاديث حديث طويل نوعاً ما من صحيح مسلم، لكن حأكتفى منه بالجزء الخاص بعلامات يوم القيامه أو قيام الساعه:

"قالَ: يا رَسولَ اللهِ، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قالَ: ما المَسْؤُولُ عَنْها بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، و سَأُحَدِّثُكَ عن أشْراطِها: إذا رَأَيْتَ المَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّها، فَذاكَ مِن أشْراطِها، و إذا رَأَيْتَ الحُفاةَ العُراةَ الصُّمَّ البُكْمَ مُلُوكَ الأرْضِ، فَذاكَ مِن أشْراطِها، و إذا رَأَيْتَ رِعاءَ البَهْمِ يَتَطاوَلُونَ في البُنْيانِ، فَذاكَ مِن أشْراطِها في خَمْسٍ مِنَ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهُنَّ إلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَرَأَ: {إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ و يُنَزِّلُ الغَيْثَ و يَعْلَمُ ما في الأرْحامِ و ما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَدًا و ما تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أرْضٍ تَمُوتُ إنَّ اللهِ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}."

الراوى : أبو هريره | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحه أو الرقم : 10

الحديث له عشرات النسخ، بالضبط زى الحديث السابق، و تقريباً زى كُل الأحاديث النبويه، و هو موجود فى الصحيحين. الحديث بيُمثل نموذج من الأحاديث اللى بتتكلم عن بعض العلامات المُبهمه لما سيحدث فى العالم قبل قيام الساعه. الأشراط أو الشروط الموجوده فى الحديث، أُعتُبرت من علامات الساعه الكُبرى، لأن العلامات الصُغرى عددها عند العلماء و الفقهاء بالمئات، و كتير منهم وقع بالفعل،

و فيه حديث أخر حنذكره أخر الفصل، مذكور فيه مجموعه أُخرى من علامات الساعه الكُبرى.

الغريب بالنسبالى فى الحديث كان نقطتين. أبدأ بالنقطه الأولى و هى جملة: " إذا رَأَيْتَ المَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّها"، و الأغرب أنها موجوده فى النسخ التانيه من الأحاديث بأشكال مختلفه زى "و ولدت الإماءُ ربَّاتِهنَّ"، أو " إذَا ولَدَتِ المَرْأَةُ رَبَّتَهَا". أبن باز فسر هذه النقطه بأن فى أخر الزمان حتكثر السرارى، و السرارى طبعاً معناها النساء من العبيد اللى بيتسرى بيهم السيد صاحب أو مالك العبده، فطبعاً لو أنجبت منه حيكون الأبناء أسياد أو سيدات و مش عبيد.

النقطه التانيه و هى الأهم، أن بسؤال الرسول فى هذا الحديث "مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟"، و هو نفس السؤال بالضبط فى الحديث الأول، أجاب " ما المَسْؤُولُ عَنْها بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ"، و المسؤول هنا معناها الرسول نفسه، لأن هو اللى تم سؤاله، بالرغم من أن فى الحديث الأول الرسول أجاب بأن " فَلَنْ يُدْرِكَهُ الهَرَمُ حتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ".

كتير من المواقع حاولت تحل هذه المعضله عن طريق أنها فسرت الساعه فى الحديث الأول بأنها تعنى الموت، بمعنى أن الرجل اللى سأل الرسول سأله أمتى حاموت، و ده طبعاً مش منطقى على الأطلاق، لا كسؤال، و لا الأجابه، لأن الموت من أهم الأسرار الألهيه الكُبرى اللى علمها فى كُل الأديان عند الله فقط، أضف لذلك أن الحديثين أستُخدم فيهم نفس المُسمى و هو "الساعه"، فلا يُعقل أن قيام الساعه فى الحديث الأول يكون لها معنى، يختلف عن قيام الساعه فى الحديث التانى.

الأتجاه التالت فى الأحاديث عن يوم القيامه، بيُعتبر هو الأتجاه الأكثر تفصيلاً فى العمليه الوصفيه، و أخترت من بين أحاديثه، مجموعه من الأحاديث اللى أتكلمت عن قوم أو شعب يأجوج و مأجوج، و اللى تم ذكرهم فى القرآن و فى الأحاديث، و حأحلل تفاصيل ذكرهم من كِلا المصدرين، لكن قبل ما أبدأ رحلة البحث فى القرآن و الأحاديث عن يأجوج و مأجوج، حنرجع للتناخ، و اللى ذُكر فيه يأجوج و مأجوج بأسم "جوج و ماجوج". و حنرجع كمان لسفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى، اللى برضه جاء ذكرهم فيه.

أختيارى للأيات و الأحاديث اللى أتكلمت عن قوم يأجوج و مأجوج، كنموذج لعشرات الأيات و الأحاديث اللى ذكرت بعض تفاصيل علامات قيام الساعه، كان لسببين. السبب الأول، أنهم من التفاصيل القليله اللى تم ذكرها فى الديانات التلاته لعلامات نهاية الأيام أو قيام الساعه، و هذه نقطه مهمه جداً، يجب أن تؤخذ فى الإعتبار.

أما السبب التانى، و هو أحد أسباب كتابة هذا الكتاب، لكن حأخر ذكره لبداية الفصل القادم، لأرتباط قصة يأجوج و مأجوج بموضوع الفصل القادم و تداخل تفاصيلهم، لكن يبقى أن يأجوج و مأجوج بيُعتبروا من أهم علامات قيام الساعه إسلامياً، و من أهم علامات نهاية الأيام فى اليهوديه و المسيحيه.

****

قبل ما أبدأ السرديات الإسلاميه، لازم نتكلم عن كُل ما ذُكر عن يأجوج و مأجوج فى اليهوديه و المسيحيه، و طبعاً البدايه حتكون من اليهوديه، و حأبدأ من سفر حزقيال، أحد أسفار التناخ اللى لا تشملها التوراه، بمعنى أن هذا السفر مش من أسفار موسى الخمسه. هذا السفر كنت أتكلمت عنه سريعاً جداً فى الفصل السابق، و هو بيضُم إصحاحين كاملين بيتكلموا عن الحرب العالميه، اللى حيقودها الملك يأجوج من أرض تُسمى مأجوج، و حتكون أعظم حرب فى تاريخ البشريه، و هى الحرب الأخيره و الفاصله بين الخير و الشر، و الإصحاحين هما 38، 39، لكن حأكتفى بأنى أذكر أول 3 إعداد من الإصحاح 38، من 1 إلى 3، و اللى تم ذكر جوج على أنه ملك بيحكم فى أرض أسمها ماجوج:

"1 وَ كَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: 2 «يَا ابْنَ آدَمَ، إجْعَلْ وَجْهَكَ عَلَى جُوجٍ، أَرْضِ مَاجُوجَ رَئِيسِ رُوشٍ مَاشِكَ وَ تُوبَالَ، وَ تَنَبَّأْ عَلَيْهِ 3 وَ قُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكَ يَا جُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ."

تفسير من هو جوج حنشرحه كما هو مشروح فى موقع سان تكلا، أشهر موقع مسيحى باللغه العربيه، و حأنقل التفسير عن من هو جوج من الموقع مباشرة:
"أصل الكلمة في اللغة الأكادية Gagu يعنى زينة ثمينة مصنوعة من الذهب.

كان جوج من أرض ماجوج، رئيس ماشك و توبال، رمزًا للوثنية بكُل طاقاتها المقاومة لملكوت الله. ربما أُخُذ الاسم عن جيجس Guges رئيس عائلة ملكيه ليديه تُدعى ميرمنادى Mermnadae، دعاه الملك الآشوري أشورينبال "جوجو Gugu". كان جيجس فى الحرس الملكى و موضع ثقة الملك، و فى حوالي عام 685 ق.م. قتل سيدة من البيت المنافس للأسرة الهرقلية، و إغتصب عرش مملكة ليديه."

أما أسم ماجوج فكان تفسيره من نفس الموقع:
"اسم شعب متسلل من ماجوج ثانى أبناء يافث (سفر التكوين 10: 2) أو اسم البلاد التى سكنوها، يبدو أنها كانت فى أقصى الشمال. إذ ذُكر هنا إن جوج رئيس ماشك و توبال يملك على ماجوج، و أنه قاد حملة عنيفة ضد إسرائيل بعد عودتها، جاء بها من الشمال متحالفًا مع جومر و بيت توجرمه، لهذا يُرى إن ماجوج هى شعب (أو بلاد) فى شمال فلسطين ليست بعيدة عن ماشك وتوبال وطنهم فى شمال شرق سيليسيا أو كيليكيا Cilicia كما جاء فى الوثائق الآشورية."

حأختصر سريعاً التفسير عن من هم جوج و ماجوج من التناخ. ماجوج هو أحد أبناء يافث -أحد أبناء نوح التلاته المذكورين فى التناخ-، إنحدر من نسله شعب سُمى بأسمه "شعب ماجوج"، و هو الشعب المذكور فى سفر حزقيال، و كُل التفاسير بتقول أنهم حالياً سكان بعض بلاد شرق أوروبا، زى رومانيا و أوكرانيا، و من بين مُلوكهم كان الملك جوج، اللى قاد حمله عنيفه ضد مملكة أسرائيل فى حدود القرن السابع قبل الميلاد.

سفر حزقيال بيقول أن الملك جوج حيكون هو القائد اللى حيقود شعوب العالم فى الحرب الأخيره ضد المسياه و شعب أسرائيل. باقى القصه كنت سردتها فى الفصل السابق، لكن اللى يهمنى فى هذا الفصل، هو تحديد من هم جوج و ماجوج، و أرجع مره تانيه و أوضح أن جوج و ماجوج لهم تحديد تاريخى فى العهد القديم، و لهم برضه نبؤه مستقبليه. التحديد التاريخى، أن ماجوج هو أسم شعب أو منطقه يسكنها شعب ينتمى لماجوج، تانى أبناء يافث بن نوح، و أن هذا الشعب موجود فى منطقة شرق أوروبا، أما جوج فهو ملك حكم هذا الشعب، فى وقت ما من الزمان.

أما النبؤه المُستقبليه فبتتمثل فى أن جوج حيكون القائد اللى حيقود شعوب العالم فى الحرب الأخيره ضد المسایاه و شعب أسرائيل فى نهاية الأيام. تفاصيل هوية جوج و ماجوج فى اليهوديه شبه محدده، حتى لو كانت بدون أى أثر تاريخى، و ده طبعاً زى كتير من القصص التناخيه، لكن فى النهايه فالتناخ حدد توصيف مُحدد لجوج كملك، و ماجوج كشعب بيحكمه هذا الملك.

أما فى سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى الإصحاح 20، الأعداد من 7 إلى 10:

"7 ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، 8 وَ يَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَ مَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ. 9 فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَ أَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَ أَكَلَتْهُمْ. 10 وَ إِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَ الْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَ النَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَ سَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَ لَيْلاً إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ."

من نفس الموقع سان تكلا حأنقل تفسير الأعداد السابقه:

" التفسير الأول:إن قبائل معينة خاضعة لأحد المُلوك العشره التى تعاصر ضد المسيح، يجتمعون بمدينة أورشليم لمقاتلة إيليا و أخنوخ و الباقين من الكنيسة فى أورشليم، و لكن الله يرسل نارًا ليحرقهم. و يرى البعض إن "جوج و ماجوج" لا تعني قبائل معينه، بل كُل الشعوب المنحرفة التى يجتمع جنودها لمقاومة الكنيسه لكن الله يؤدبهم بنار سماويه.

التفسير الثانى: للقديس أغسطينوس. يرى إن الحرب هنا حرب روحية و ليست مادية. يستخدم ضد المسيح و أنصاره "جوج وماجوج" كُل طرق القسوة و العنف و الخداع و التضليل للفتك بالقديسين لكى ينحرفوا عن الإيمان، لكن الله يسند الشاهدين الأمينين إيليا و أخنوخ بنار الروح القدس السماويه، التى تحرق الأضاليل و تنزع الخوف و تسند الإيمان.

بهذه النار يثبت المؤمنون فى أيام الشاهدين، و بالأكثر بعد استشهادهما، و قتل ضد المسيح، إذ يبكت الروح القدس كثيرين من الأمم واليهود الذين انحرفوا وراء ضد المسيح، و قاوموا الكنيسة، لكى يتوبوا و يرجعوا عن شرهم. أما بالنسبة

لإبليس فإن نهايته ستكون مع الوحش و النبى الكذاب، إذ يُلقى الأشرار فى البحيرة المتقدة بالنار."

بدايةً، فبما أن الكتاب المقدس المسيحى "The Bible"، بيضم التناخ بداخله تحت أسم العهد القديم، فمعنى ذلك أنه متفق تماماً على كُل ما هو مكتوب فيه، فهذا يعنى أن الكتاب المقدس المسيحى بيضُم نبؤتين عن نهاية الأيام مذكور فيهم جوج و ماجوج، الأولى المذكوره فى سفر حزقيال -العهد القديم- 38، 39، و التانيه فى سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى -العهد الجديد-، فهل كانت النبؤتين متطابقين؟

أعتقد أن النبؤتين مختلفين عن بعض بشكل كبير، أو ربما كانوا روايتين مختلفتين لحدثين حيحصلوا فى نهاية الأيام، لكن مش هى دى النقطه المهمه بالنسبالى، النقطه الأهم هى التفاسير المسيحيه لمن هم جوج و ماجوج فى كِلا السفرين.

فى التفاسير المسيحيه لسفر حزقيال أو سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى، لا يوجد رأى قاطع هل جوج و ماجوج أخر الزمان هما نفس جوج و ماجوج العهد القديم، أو هما مجرد تشبيه رمزى لكُل قوى الشر اللى حتحارب لإفساد كُل شئ، و لتضليل البشريه للإنحراف عن الطريق القويم. فى أغلب الأراء و التفسيرات، الكُل بيذهب إلى أن جوج و ماجوج نهاية العالم، بيُمثلوا أى قوى شر موجوده فى العالم، مش الملك جوج و شعب ماجوج، و ده زى كُل نبؤات سفر الرؤيا الغامضه جداً و المبهمه جداً، و اللى كُل تفسيراتها مش محدده التفاصيل، و ده بالنسبالى تفسير غريب جداً، أن الكلام يذكُر شخصيات و شعوب يُفترض أنها تاريخيه بالأسم، لكن فى نفس الوقت يكون الكلام عنها ككيانات رمزيه!

فى النهايه، و أياً كان التفسير، فسفر الرؤيا بيقول إن ظهور جوج و ماجوج، حيكون من أهم علامات نهاية الأيام، اللى حتسبق المجئ التانى للمسيح على الأرض، و أن هذا المجئ مرتبط بظهورهم، سواء كانوا هما جوج و ماجوج بصفتهم الحقيقيه المذكوره فى العهد القديم، أو مجرد تمثيل لقوى الشر.

****

نرجع للإسلام، و حأبدأ بذكر يأجوج و مأجوج فى القرآن، و حنجد أنهم تم ذكرهم مرتين فقط فى القرآن كُله، المره الأولى كانت فى سورة الكهف، الأيات من 93 إلى 95:

"حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95)"

بدايةً، و قبل تفسير الأيات، لازم أقول من هم يأجوج و مأجوج فى الإسلام؟ الإجابات أغلبها كانت فى إتجاه أنهم إما أتنين من أبناء يافث بن نوح، و سُمى نسلهم على أسمهم، فأصبح هناك شعب يأجوج و شعب مأجوج، أو أنهم من أبناء أدم مباشرةً، و برضه سُمى نسلهم على أسمهم. طبعاً فيه بعض الإجابات التانيه، لكن الإجابتين السابقتين هما الأكثر شيوعاً، و برضه بيتم ترجيح أنهم فى منطقة شرق أوروبا و تركيا، لكن هُناك أراء أُخرى بتقول أنهم شعب الصين.

تفسير الأيات السابقه بيشير إلى أن ذو القرنين -اللى أغلب التفاسير بتقول أنه هو الأسكندر الأكبر- وصل لأرض يأجوج و مأجوج، و حأذكرلك أكثر تفسير وضوحاً و هو تفسير السعدى: **"حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ، قال المفسرون: ذهب متوجها من المشرق، قاصدا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، و هما سدان كانا سلاسل جبال معروفين فى ذلك الزمان، سدا بين يأجوج و مأجوج و بين الناس، وجد من دون السدين قوما، لا يكادون يفقهون قولا، لعجمة ألسنتهم، و إستعجام أذهانهم و قلوبهم، و قد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلميه، ما فقه به ألسنة أولئك القوم و فقههم، و راجعهم، و راجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج و مأجوج، و هما أمتان عظيمتان من بنى آدم"**

هنا الأيات بتؤكد على أن شعب يأجوج و مأجوج بيسكنوا منطقه بيحدها سدين كبيرين بيفصلوهم نوعاً ما عن الناس، لكن مش بشكل نهائى، و أنهم أفسدوا فى الأرض، و أن الشعوب المجاوره كانت بتُعانى منهم، و أشتكت منهم لذو القرنين، و أن الله أعطى ذو القرنين من العلم، ما أستطاع بيه أنه يفهم كلامهم، و أنه بنى عليه سد أخر، منع بيه نهائياً أذاهم عن الناس.

الذكر التانى ليأجوج و مأجوج فى القرآن كان فى سورة الأنبياء، الأيات 95 و 96:

" وَ حَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (95) حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (96)".

ذكر يأجوج و مأجوج هنا عكس تماماً ذكرهم فى الأيات السابقه، لأن أيات سورة الأنبياء بتتكلم فى المُستقبل، بتحكى عن واحده من تفاصيل يوم القيامه، بينما أيات سورة الكهف بتتكلم عن تفاصيل تمت فى الماضى، و الأيات هنا بتؤكد على إن يأجوج و مأجوج بيمثلوا واحده من أهم علامات أحداث ما قبل يوم القيامه أو قيام الساعه فى القرآن.

تفسير الأيتين، و برضه حيكون من تفسير السعدى**"وَ حَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، تعنى يمتنع على القرى المهلكة المعذبه الرجوع إلى الدنيا ليستدركوا ما فرطوا فيه، فلا سبيل إلى الرجوع لمن أهلك و عذب، حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ، هذا تحذير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، و أنه قد قرب إنفتاح يأجوج ومأجوج، و هما قبيلتان عظيمتان من بنى أدم، و قد سد عليهم ذو القرنين، لما شكى إليه إفسادهم في الأرض، و فى آخر الزمان، ينفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس فى هذه الحالة و الوصف"**

أختصرت جزء كبير من التفسير علشان أكتفى بالجزء المهم، و هو أن من علامات قيام الساعه المذكوره قرآنياً، هو خروج شعبى يأجوج و مأجوج من خلف سدودهم بأعداد كبيره جداً. أغلب التفاسير الإسلاميه بتُشير إلى أنهم شعوب منطقة الشرق الأقصى، و خاصة الصين -زى ما سبق و ذكرت، و أنهم حينتشروا فى الأرض بأعداد كبيره و بشكل مخيف، و حيُفسدوا فى الأرض، و حيكون ظهورهم بعد ظهور المسيخ أو المسيح الدجال، و كِلا التعبيرين صح، و بعد نزول المسيح عيسى أبن مريم فى المجئ التانى له على الأرض.

أرجع مره تانيه للأحاديث، و نبدأ رحلة البحث فى الأحاديث اللى تم ذكر يأجوج و مأجوج فيها، و كيف تم تفسيرها. أول حديث بيؤكد ما سبق و كُتب فى سفر الرؤيا،

من أن ظهور يأجوج و مأجوج هو أحد علامات نهاية الأيام، و حأبدأ بجزء من حديث من الأحاديث الكتير اللى بتذكر العلامات العشره لقيام الساعه:

"كانَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَ سَلَّمَ فى غُرْفَةٍ وَ نَحْنُ أَسْفَلَ منه، فَاطَّلَعَ إلَيْنَا، فَقالَ: ما تَذْكُرُونَ؟ قُلْنَا: السَّاعَةَ، قالَ: إنَّ السَّاعَةَ لا تَكُونُ حتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وَ خَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وَ خَسْفٌ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَ الدُّخَانُ، وَ الدَّجَّالُ، وَ دَابَّةُ الأَرْضِ، وَ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ، وَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا، وَ نَارٌ تَخْرُجُ مِن قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ".

الراوى : حذيفه بن أسيد الغفاري | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحه أو الرقم: 2901 |

حديث تانى أكثر تفصيلاً عن يأجوج و مأجوج و أحداث ما قبل النهايه، حأكتفى بجزء منه فقط لطول الحديث، و الجزء اللى أخترته فيه تفاصيل كتير عن بعض اللى حيحدث من قوم أو شعب يأجوج و مأجوج قبل قيام الساعه:

"يُفتَحُ يأْجوجُ و مأْجوجُ ، يخرجون على الناسِ كما قال اللهُ عزَّ و جلَّ : من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلون فيغْشَون الأرضَ، و ينحازُ المسلمون عنهم إلى مدائنِهم و حصونِهم، و يضُمُّون إليهم مواشِيهم، و يشربون مياهَ الأرضِ، حتى إنَّ بعضَهم لَيَمُرُّ بالنهرِ فيشربون ما فيه حتى يتركوه يَبَسًا، حتى إنَّ من بعدِهم لَيَمُرُّ بذلك النهرِ فيقول : قد كان ها هنا ماءٌ مرةً ! حتى إذا لم يَبقَ من الناس إلا أحدٌ فى حصنٍ أو مدينةٍ قال قائلُهم : هؤلاءِ أهلُ الأرضِ قد فرَغْنا منهم، بَقِيَ أهلُ السماءِ ! قال : ثم يَهُزُّ أحدُهم حَرْبَتَه ، ثم يرمى بها إلى السماءِ، فترجعُ مُختَضِبَةً دمًا للبلاءِ و الفتنةِ فبينا هم على ذلك إذ بعَث اللهُ دُودًا فى أعناقِهم كنَغَفِ الجرادِ الذى يخرج في أعناقِهم، فيُصبِحون مَوْتى لا يُسمَعُ لهم حِسٌّ"

الراوى : أبو سعيد الخدرى | المحدث : الألبانى | المصدر : السلسله الصحيحه | الصفحه أو الرقم : 1793

الحديث طويل و صعب جداً، لكن هو ببساطه بيشرح خروج يأجوج و مأجوج على الناس قبل قيام الساعه، و تأثيرهم، و الخراب اللى حيُحدثوه فى الأرض، و ده اللى حيهمنا من هذا الحديث.

أخر حديث حأذكره، و أنا حأكتفى بالأحاديث التلاته اللى ذكرتها، من بين عشرات الأحاديث اللى ذكرت يأجوج و مأجوج، لأن الأحاديث التلاته كانت كافيه جداً لتوضيح صورة يأجوج و مأجوج فى الأحاديث النبويه.

"إنَّ يأجوجَ و مأجوجَ يحفُرونَ كُلَّ يومٍ حتَّى إذا كادوا يَرونَ شُعاعَ الشَّمسِ قالَ الَّذى عليهم ارجِعوا فسنَحفرُهُ غدًا، فيعيدُهُ اللَّهُ أشدَّ ما كانَ، حتَّى إذا بلَغت مُدَّتُهم و أرادَ اللَّهُ أن يبعثَهُم علَى النَّاسِ حفروا حتَّى إذا كادوا يَرونَ شعاعَ الشَّمسِ قالَ الَّذى عليهِم ارجِعوا فستحفُرونَهُ غدًا إن شاءَ اللَّهُ تعالى، و إستَثنَوا فيعودونَ إليهِ وَ هوَ كَهَيئَتِهِ حينَ تَرَكوهُ فيحفُرونَهُ و يخرجونَ علَى النَّاسِ، فيُنشِفونَ الماءَ و يتحصَّنُ النَّاسُ منهم فى حصونِهِم، فيرمونَ بسِهامِهِم إلى السَّماءِ، فترجِعُ عليها الدَّمُ الَّذى أجفَظَّ فيقولونَ قَهَرنا أهْلَ الأرضِ، و علَونا أهْلَ السَّماءِ، فيبعثُ اللَّهُ نَغَفًا فِي أقفائِهِم فيقتلُهُم بِها، قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ و الَّذى نفسي بيدِهِ إنَّ دوابَّ الأرضِ لتَسمنُ وتَشكَرُ شَكَرًا من لحومِهِم"

الراوى : أبو هريره | المحدث : الألبانى | المصدر : صحيح إبن ماجه | الصفحه أو الرقم : 3314

تفسير الحديث هنا مهم جداً، لأنه بيتكلم عن واحد من أهم المعتقدات الإسلاميه عن قوم أو شعب يأجوج و مأجوج، و هو أنهم كُل يوم بيحاولوا يهدموا السد (أو السدود) اللى تم بناءه أو بناءهم حول أراضيهم، و كُل يوم بينجحوا فى أنهم يهدموا جزء كبير منه، و أول ما الشمس بتبدأ تظهرلهم من خلال الجزء اللى تم هدمه، بيُطلب منهم كبيرهم التوقف و إستكمال العمل فى اليوم التالى. لما بيعودوا للعمل فى اليوم التالى، بيُفاجئوا أن السد رجع تانى زى ما كان، فبيدأوا مره تانيه فى محاولة هدمه من البدايه، و بيستمر الحال على كده كُل يوم، إلى أن يتمكنوا فى أخر الزمان من إجتيازه. طبعاً باقى الحديث واضح، لأنه بيتكلم عن بعض الكوارث اللى حيقوم بيها قوم يأجوج و مأجوج بعد خروجهم من خلف السد.

****

فى نهاية كلامى عن يأجوج و مأجوج، حنكتشف أن الأديان التلاته أتفقت فى ذكرهم، و أن الأديان التلاته ذكرت لهم وجود تفاصيل تاريخيه، و برضه الأديان التلاته أكدت

أنهم من علامات نهاية الأيام أو قيام الساعه، و أنهم حيُمثلوا قوى الشر اللى حتحارب قوى الخير، و دى كانت أهم نقاط الإتفاق فى قصة جوج و ماجوج، أو يأجوج و مأجوج، بين الأديان التلاته.

نقاط الخلاف بتتمثل فى تعريف من هم جوج و ماجوج، أو يأجوج و مأجوج. فى اليهوديه جوج هو ملك على أرض أو شعب أسمه ماجوج، المسيحيه طبعاً قبلت هذا الكلام عن الجزء التاريخى الخاص بجوج، لكنها إختلفت مع اليهوديه فى الجزء المُستقبلى. بالنسبه للإسلام، فيأجوج و مأجوج هما قوم أو شعب محبوسين خلف سد بناه عليهم ذو القرنين، و مفيش فكرة أن يأجوج هو ملك على هذا الشعب.

تانى نقطه خلافيه هى ظهورهم المُستقبلى. اليهوديه بتذكُر أن الملك جوج حيكون هو قائد جميع قوى الشر فى العالم اللى حتحارب المساياه (المسيح)، و طبعاً حيكون من بين الشعوب اللى حيقودها الملك جوج، شعبه الأصلى المُسمى ماجوج، و أن ظهورهم حيسبق ظهور المساياه، لأن المساياه حيظهر، بعد ما الفساد فى الأرض يكون وصل لأقصى مداه.

بتتفق المسيحيه مع اليهوديه فى نقطة ظهور المسيح بعد فساد الأرض على يد الملك جوج و كُل القوى التابعه له، لكنها بتختلف معاها فى نقطتين. الأولى، هى أن اللى حيظهر حيكون المسيح يسوع، فى المجئ التانى له على الأرض، مش المساياه اليهودى المُنتظر. أما النقطه التانيه، فهى أن جوج و ماجوج هما رمز لأى قوى شر حتحارب قوى الخير فى أخر الزمان، مش الملك جوج التاريخى و شعب ماجوج.

الإسلام بيشترك فى بعض النقاط مع سابقيه و بيختلف فى نقاط. أول نقطه تشابه مع اليهوديه و المسيحيه، أن قوم أو شعب يأجوج و مأجوج هما جزء من قوى الشر اللى حتُفسد فى الأرض فى أخر الزمان، و هنا الأسلام بيتفق مع اليهوديه و المسيحيه.

أول نقطه خلافيه، أن خروج شعب يأجوج و مأجوج حيكون بعد المسيخ أو المسيح الدجال، و مصاحب للمجئ التانى للمسيح على الأرض، و مش قبله. تانى نقطه خلافيه، أن الفساد اللى حيُحدثه قوم أو شعب يأجوج و مأجوج حيكون دمار و خراب و حروب، و لا يتضمن فساد أخلاقى، لأن اللى حيقوم بالفساد الأخلاقى حيكون المسيخ الدجال.

الأديان التلاته أتفقت فى الأسم، و حتى فى هذه النقطه لم يكُن هُناك أتفاق كامل، أتفقت فى تاريخيتهم، و أن إختلفت الوقائع و الأحداث، أتفقت فى ظهورهم فى نهاية الأيام أو قبل قيام الساعه، و أن أختلفت فى كتير من التفاصيل بشكل كبير، لكن يفضل الأسمين "جوج و ماجوج: أو "يأجوج و مأجوج" طول الوقت، رمز لشرور و كوارث و أهوال نهاية الأيام، أو لبعض علامات قيام الساعه الكُبرى.

****

جزء أخير كُنت ذكرته فى بداية الحديث عن الأسلام و علامات قيام الساعه، و هو وجود مستوى تالت للحديث عن تلك العلامات فى الإسلام، و هو المرويات المتواتره اللى خارج إطار القرآن و الأحاديث، و تفاصيل العلامات الصُغرى و العلامات الكُبرى لقيام الساعه، و اللى كنا ذكرناها حديثين بيتكلموا عن بعض العلامات الكُبرى لقيامها.

تفاصيل المرويات كتيره و متضاربه جداً، و مش حأحتاج أنى أدخل فيها، لكن كُل اللى حأقوله أنها بدأت كنوع من تفسير الأحاديث الخاصه بعلامات قيام الساعه، لكن بدأ كُل مُفسر يضع لمساته، و يُضيف من عنده، فأصبح عندنا عشرات التفاصيل المُتضاربه عن نفس الشئ، و حأكتفى بتفصيله صغيره جداً عن يأجوج و مأجوج، أن فيه مرويات بتقول أن طولهم لا يتعدى ال30 سنتيمتر، و مرويات تانيه بتقول أنهم أطول من شجر الأرز فى لبنان.

ألاف المرويات اللى تفتقت عنها أذهان كتير من مُفسرى الأحاديث، كتير منها أصبح بيُمثل جزء من عقيدة علامات قيام الساعه عند بعض الفرق الإسلاميه، و كُل فرقه مُتمسكه بالمُعتقدات الخاصه بيها، و بدأت تفسر بُناءً عليها، كتير من أحداثنا الحياتيه، و بناءً على هذه التفسيرات بدأت عملية التحريم و التحليل لكتير من مُستجدات الحياه، التحريم و التحليل الغير مبنى على أساس، و اللى أتبنى على مرويات لا يُعرف أصلها، أصبح أحياناً بيوصل لحروب و سفك دماء، كُل ده علشان فيه ناس صدقت مرويات، مفيش عليها أى دليل أو سند.

10 مايو 2024

" فيَقولُ الدَّجَّالُ: أرَأَيْتَ إنْ قَتَلْتُ هذا ثُمَّ أحْيَيْتُهُ، هلْ تَشُكُّونَ فى الأمْرِ؟ فيَقولونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فيَقولُ حِينَ يُحْيِيهِ: و اللَّهِ ما كُنْتُ قَطُّ أشَدَّ بَصِيرَةً مِنّى اليَومَ، فيَقولُ الدَّجَّالُ: أقْتُلُهُ فلا أُسَلَّطُ عليه" حديث نبوى

المُخادع و المُخلص

إستمراراً للفصول السابقه، حأكمل معاك رحله بدايات تشكيل العقل الجمعى البشرى، و التأثير عليه من خلال الدين، و عايز أوضح كلامى مره تانيه، أنى لا أقصُد أن المشكله فى الدين على الأطلاق، لكن المشكله على طول التاريخ البشرى -حتى من قبل الأديان الإبراهيميه- فى من نصبوا أنفسهم حراس على الدين، فى من أعلنوا أنهم هما بس اللى فاهمين، و أنهم مصدر العلم الوحيد، فى كُل من صادر حق الأخرين فى محاولة الفهم خارج الأطار الكهنوتى الخاص بيهم، و كهنوتى هنا تشمل كُل الأديان، فى كُل من أضاف مرويات للأديان، مصدرها الوحيد مُعتقداته الشخصيه، و أدعى أنها جزء لا يتجزء من الدين، فى كُل من حلل و حرم بأسم الدين بدون أى سند من النصوص الأصليه، كُل دول هما اللى شكلوا هذا العقل البشرى المرتعش المرتجف على مدار التاريخ، بدايةً من كهنة المعابد فى مصر القديمه، لكتير من رجال الدين فى عصرنا الحالى.

بدايةً من الفصل القادم، حتبدأ عملية الربط الفعلى بين التاريخ و الدين، و اللى كانوا محور المواضيع الرئيسيه للفصول السته فى هذه المحطه من الكتاب، و بين المحطه التانيه و الأهم من هذا الكتاب، و هو تأثير كُل ما فات، على العالم اللى أحنا عايشين فيه، حيكون الكلام عن الناس، عن حياتها و مدى أرتباطها بكُل المُعتقدات اللى ذكرتها على مدار الفصول السته، عن مدى تأثيرها على سلوك الناس و أفكارها، و الأهم من كُل ما سبق، و اللى حيكون الكلام عنه فى الكتاب التانى القادم، عن مستقبلنا أو مستقبل البشريه بشكل عام.

كُل الديانات ذات النمط الخطى للحياه و نهاية العالم -سواء كانت ديانات إبراهيميه أو غير إبراهيميه-، أتفقت على صراع نهاية العالم بين قوتى الخير و الشر، سواء كانت حرب فعليه، و ده الأتجاه اللى بتتبناه اليهوديه و تتبعها المسيحيه، أو هى حروب رمزيه أخلاقيه، و ده الأتجاه اللى بيتبناه الإسلام، و مع ذلك فالإسلام بيتبنى جزء من الأتجاه اليهودى، بفكرة علو دولة اليهود أو أسرائيل، للمره التانيه تاريخياً، لكن فى الإسلام بتحدث خطوه زياده، و هى إنهيار دولة إسرائيل فى النهايه

بشكل تام، و هنا بتتفق كافه الديانات على أن هُناك شئ ما حيحدث فى هذا المكان (فلسطين)، و أنه حيشهد نهاية اليهود، لكن من وجهة النظر اليهوديه، أن دى بتُمثل الخطوه ما قبل الأخيره، لأن الأخيره هى قيام مملكة أسرائيل على أيد المسایاه، و ده أنا ذكرته أكتر من مره عبر الكتاب، لكن فى الإسلام، حتكون نهايه فعليه نهائيه و بائنه.

إتكلمت فى الفصل السابق بشكل كبير عن جوج و ماجوج أو يأجوج و مأجوج، الأسمين الغامضين سواء تاريخياً و مستقبلياً، لكن المعلومه المؤكده، هى أنهم أحد رموز الشر فى الماضى و المُستقبل، لكن كالعاده أنا اللى يهمنى هو المُستقبل، و كيف أثر مُعتقد ظهور جوج و ماجوج أو يأجوج فى مأجوج، و باقى المُعتقدات اللى حيتم ذكرها فى هذا الفصل، على عقلية أغلب أتباع الديانات الإبراهيميه، و خاصةً فى الفتره الأخيره، و ده السبب التانى اللى كنت أرجأته من الفصل السابق، عن سبب أهتمامى و تركيزى على هذا المُعتقد، كواحد من أهم علامات نهاية الأيام أو قيام الساعه.

كُل الديانات أتفقت على أن ظهور الشر حيسبق ظهور الخير، و أن الشر حيوصل لدرجات غير مسبوقه فى كافة الأتجاهات، و خاصةً الأخلاقيه، و أن الناس حتنقسم لفئتين، فئه حتبعد تماماً عن تعاليم أديانها، و ممكن توصل للكفر أو الشرك بيها، أما الفئه الأخرى و هى الأهم، فهى الفئه اللى حتستغل الدين لتبرير الخطأ، بمعنى أنها حتحاول تطلع فتوى لكُل خطأ بتعمله، أو على الأقل حتقدر تبرره، و حتجدله سند و حجه من الدين، و هنا حييجى أول سؤال حأجاوب عليه -من وجهة نظرى- فى أحد الفصول القادمه من هذا الكتاب، و هو السؤال المعنى بفهم ليه باقى الناس، و اللى هما لا يتبعوا الفئه الأولى و لا التانيه، حيصمتوا عن كُل ما سيحدُث؟ هل لمُجرد بس أنهم غير قادرين على فعل أى شئ، و لا هُناك أسباب أُخرى؟

****

الشر فى نهاية العالم فى العقيده اليهوديه -زى ما سبق و ذكرت فى فصل سابق- مُنقسم لقسمين. القسم الأول هو الشر الأخلاقى، و ده ليس له قائد أو شخصيه مُسببه له مذكوره فى التناخ، إنما حيكون حاله عامه حتوصل لها البشريه من الإنفلات الأخلاقى، و اللى حيكون مُصاحب لحاله من الكوارث الأقتصاديه و التمرد الأجتماعى، بجانب أهم نقطه من وجهة نظرى "حاله عامه من اليأس".

نوصل للقسم التانى من الشر، و هو الدمار الفعلى اللى حيحصل للعالم، الحرب اللى يُفترض أنها حتدمر العالم كُله، و زى ما سبق و ذكرت فى نفس الفصل، أن دول العالم كُلها حتحارب ضد اليهود بقيادة الملك جوج من أرض ماجوج، و أن اليهود حيُهزموا هزيمه ساحقه و حيُقتادوا للأسر. و حيتم إعلان كذب التوراه.

و زى برضه ما سبق و قلت، فالAntichrist أو المسيح الدجال، غير مُحدد بشكل واضح فى التناخ على الإطلاق، و أن إعتبار شخصية شخصية "أرميلوس"، الشخصيه المدراشيه اللى بتظهر فى سفر زيربابل، اللى كُتب فى القرن السابع ميلادياً، و مدراش فايوشا، و اللى كُتب فى القرن ال11 ميلادياً، هى الشخصيه اللى حتكون ضد المسياه، هى فكره مش مؤسسه، لأنها كُتبت بعد التوراه بأكتر من 8 قرون، و مش صادره من الكتاب المُقدس، لكن بعض اليهود بيعتقدوا بظهور المسيح الدجال، و هناك وجهات نظر كثيره بتتجه أنه حيكون من سبط دان.

و برضه كنت ذكرت فى نفس الفصل أن فى هذا الوقت، و بعد أن يعتقد العالم أن الموضوع حُسم و أنتهى تماماً، حيظهر المسياه "المسيح"، و حيقود عملية الفداء اليهودى، و حيتمكن من إقناع كُل شعوب العالم بإتباع الله، و حيتمكن من أنه يُعيد كُل اليهود المنفيين خارج وطنهم الأم، و إعادة تأسيس السنهيدريم "هيكل سليمان".

إذن فقوى الشر فى اليهوديه التناخيه حيمثلها جوج، مع وجود بعض أراء بتؤكد بوجود المسيح الدجال، و قوى الخير حيمثلها المسياه بمفهومه اليهودى، المسياه اللى لسه مظهرش على الأرض.

نقطه مهمه جداً تعمدت أنى أأجلها لهذا الفصل، حأتكلم عنها من مصادر الكتب المُقدسه، و هو تعريف ما هو "المسيح" فى العهد القديم بالنسبه للمسيحيه، أو التناخ بالنسبه لليهوديه. كلمة المسيح تعنى "الممسوح بالزيت"، و هى كانت لقب سابق لبعض مُلوك العهد القديم، و بالمُناسبه فبعض الأنبياء بالنسبه للمسلمين، كانوا فقط مُلوك بالنسبه لليهوديه و المسيحيه، زى داود و سليمان.

كلمة "مسيح" بدون ألف و لام ذُكرت 11 مره فى العهد القديم، و كان المقصود بيها بعض مُلوك بنى أسرائيل، 8 مرات كانت عن الملك شاول، و مرتين عن الملك داود، و مره واحده عن الملك صدقيا.

كلمة "المسيح" بالألف و اللام ذُكرت مرتين فى العهد القديم، و المرتين كانوا فى سفر دانيال، و كانوا ضمن نبؤه شديدة الغموض عن نهاية الأيام، حأستعرضهم للأهميه القصوى لهذه النقطه، لأنها حتكون مدخلنا للدخول فى الجزء المسيحى، و هو الجزء الأهم و الأخطر من كُل الزوايا. فى سفر دانيال، و هو سفر تناخى خارج أسفار موسى الخمسه، الإصحاح 9، الأعداد من 24 إلى 27:

"24 سَبْعُونَ أُسْبُوعًا قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَ عَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمَعْصِيَةِ وَ تَتْمِيمِ الْخَطَايَا، وَ لِكَفَّارَةِ الإِثْمِ، وَ لِيُؤْتَى بِالْبِرِّ الأَبَدِىِّ، وَ لِخَتْمِ الرُّؤْيَا وَ النُّبُوَّةِ، وَ لِمَسْحِ قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ. 25 فَاعْلَمْ وَ أَفْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَ بِنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةُ أَسَابِيعَ وَ إِثْنَانِ وَ سِتُّونَ أُسْبُوعًا، يَعُودُ وَ يُبْنَى سُوقٌ وَ خَلِيجٌ فِى ضِيقِ الأَزْمِنَةِ. 26 وَ بَعْدَ إِثْنَيْنِ وَ سِتِّينَ أُسْبُوعًا يُقْطَعُ الْمَسِيحُ وَ لَيْسَ لَهُ، وَ شَعْبُ رَئِيسٍ آتٍ يُخْرِبُ الْمَدِينَةَ وَالْقُدْسَ، وَ إِنْتِهَاؤُهُ بِغَمَارَةٍ، وَ إِلَى النِّهَايَةِ حَرْبٌ وَ خِرَبٌ قُضِيَ بِهَا. 27 وَ يُثَبِّتُ عَهْدًا مَعَ كَثِيرِينَ فِى أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَ فِى وَسَطِ الأُسْبُوعِ يُبَطِّلُ الذَّبِيحَةَ وَ التَّقْدِمَةَ، وَ عَلَى جَنَاحِ الأَرْجَاسِ مُخَرِّبٌ حَتَّى يَتِمَّ وَ يُصَبَّ الْمَقْضِىُّ عَلَى الْمُخَرِّبِ»."

الأعداد السابقه هى الذكر الوحيد لكلمة المسيح مُعرفه ب"ال" فى التناخ اليهودى، أو العهد القديم بالنسبه للمسيحيه، و هنا كان إستخدام اللقب فى واحده من نبؤات ظهور المساياه فى أخر الأيام، فهى بالنسبه لليهود لا تعنى المسيح يسوع أو عيسى بن مريم على الأطلاق، لكن بالنسبه للمسيحيين، فهى أحدى نبؤات المجئ التانى للمسيح، و بالرغم من أنه نفس السفر، و أنه مشترك فى الديانتين، لكن كُل ديانه كان لها تفسيرها المختلف تماماً عن الديانه الأُخرى.

كُل تفاسير الأربع أعداد السابقه، كانت أكثر غموضاً من الأعداد نفسها، لكنها كُل التفاسير المسيحيه أجمعت على نقاط تلاته. أولاً، تسمية الأعداد السابقه ب**"رؤيا السبعين أسبوع"**. ثانياً، أعتبار سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى، هو نوع من الشرح المُفصل لأحداث السبعين أسبوع. ثالثاً، كُل التفاسير بتؤكد أنه حيكون فيه فترة حتُسمى "فتره المحنه"، و حتكون أسوأ فتره فى تاريخ البشريه، و خاصة من أمنوا بالمسيح، حتسبق المجئ التانى له فى نهاية الأيام.

تفسير الأعداد نفسه مش هو الجزء المهم، لكن الأهم هو جزئية أن اليهود إعتبروا هذه الرؤيا الأپوكاليبسيه تخُص المساياه، بينما إعتبر المسيحيين اللى ضموا التناخ لكتابهم و أسموه العهد القديم، أن هذه نبؤه للمسيح، بالأضافه إلى إعتبار أن ذكر كلمة "المسيح" هى نوع من التأكيد أن المسيح يسوع مذكور فى العهد القديم.

زى ما سبق و قلت، أن المسيحيه طوعت نبؤات التناخ، و اللى أصبح العهد القديم بالنسبه للمسيحين، علشان تتوافق مع عقيدة المجئ التانى للمسيح على الأرض، لكن الحقيقى أن ما يُمثل العقيده المسيحيه بشكل أصيل هو العهد الجديد، و اللى إختلف فى كتير من التفاصيل عن التناخ أو العهد القديم.

المسيحيه -و يُمثلها العهد الجديد- بشكل عام، أغلب نبؤاتها كان لها شكل رمزى، و المسيح كان أغلب حواراته أو تشبيهاته بالأمثال، لكن حواره اللى ذكرناه فى أحد الفصول السابقه، و المُسمى " الحوار على جبل الزيتون"، كان إلى حد كبير بيتضمن بعض التفاصيل الملموسه عن أحداث نهاية الأيام، و اللى توافقت بشكل كبير مع بعض تفاصيل النبؤات اليهوديه. النبؤات كان أغلبها أحداث مش أشخاص، فيما عدا مقولته بظهور أنبياء كذبه، و أخرين حيدعوا أنهم المسيح، لكن ما عدا ذلك، فلا يوجد ذكر لأى قائد مُحدد لقوى الشر فى كلام المسيح على الأطلاق، بينما حتُصبح عودته للمره التانيه على الأرض، تُمثل قيادة قوة الخير ضد جميع قوى الشر فى العالم بشكل عام.

سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى بيُمثل دايماً السفر الأپوكاليبسى الأعظم، و طبعاً لربط التناخ أو العهد القديم بالعهد الجديد، أُعتبر كثير مما جاء فى هذا السفر، هو وصف دقيق مُفصل للأربع أعداد الخاصه ب"رؤيا السبعين أسبوع"، و برضه بأكد أننا مش حنحتاج ندخل فى التفاصيل، لكن اللى يهمنا هنا هو كائن تم ذكره فى هذا السفر و هو "الوحش"، و لو تفتكر معايا كنا أتكلمنا عن رقم "666" كرقم يُمثل الوحش، و الوحش هنا بيُمثل الشيطان، و هذا الشيطان حيكون هو القائد لكُل قوى الشر فى نهاية الأيام.

طيب هل هُناك الAntichrist أو المسيح الدجال فى المسيحيه؟ الإجابه نعم. و حأبدأ من أقوال المسيح نفسه، و اللى فسرها البعض بأنه بيقصد بيها المسيح

الدجال، من إنجيل متى، الإصحاح 24، الأعداد من 4 إلى 9، و اللى سبق و ذكرناها فى فصل سفر الرؤيا و قيام الساعه:

"4 فَأَجَابَ يَسُوعُ وَ قَالَ لَهُمْ:«إِنْظُرُوا! لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. 5 فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَ يُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. 6 وسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوب وَ أَخْبَارِ حُرُوبٍ. إِنْظُرُوا، لاَ تَرْتَاعُوا. لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ هذِهِ كُلُّهَا، وَ لكِنْ لَيْسَ الْمُنْتَهَى بَعْدُ. 7 لأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَ مَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَ تَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَ أَوْبِئَةٌ وَ زَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ. 8 وَ لكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ. 9 حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضِيق وَ يَقْتُلُونَكُمْ، وَ تَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ لأَجْلِ اسْمِي."

هنا النص واضح فيه أن المسيح بيؤكد، أن هُناك أشخاص حتنتحل أسمه، و حتقوم بخراب و دمار فى الأرض، كتير من كتب التفاسير المسيحيه بتفسر المقصود فى النص بأنه هو "المسيح الدجال"، الرغم من أن المسيح فى كلامه ذكر أنهم كتير، مش شخص واحد، لكن فى النهايه، سواء كان شخص واحد أو أشخاص، فالكلام فى النص ينطبق على المسيح الدجال.

نفس النص تقريباً موجود فى إنجيل مرقس، و هو الحوار الموجود فى الأناجيل التلاته (متى، مرقس، لوقا)، و المعروف بأسم حوار على جبل الزيتون، و سبق و أتكلمت عنه فى فصل سفر الرؤيا و قيام الساعه، و برضه النص فى إنجيل مرقس بيذكر عدد من الأشخاص، مش شخص واحد.

أول إستخدام للفظ "Antichrist" أو ضد المسيح، أو المسيح الدجال، حيكون من "رِسالَةُ يوحَنا الرَّسولِ الأولَى"، الإصحاح 2، العدد 18، و أحب أوضح أن الكلام هنا على لسان يوحنا:

"18 أَيُّهَا الأَوْلاَدُ هِيَ السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ. وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ ضِدَّ الْمَسِيحِ يَأْتِي، قَدْ صَارَ الآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ. مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهَا السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ. "

هنا حنجد أن يوحنا ذكر مره كلمة "ضد المسيح"، و مره "أضداد المسيح"، لكن من خلال النص نفسه، حنقدر نفهم أنه على مدار الزمان، حيظهر أضداد كتير للمسيح، لكن حيكون فيه ضد المسيح الأخير، المسيح الدجال اللى حيظهر فى أخر

الأيام، أو كما هو التعبير فى النص "الساعه الأخيره"، و أن ظهور هذا ال"ضد المسيح"، حيكون أول علامه تأكيديه لوصول العالم لنهاية الأيام. حنجد تأكيد لهذا الكلام فى نفس الإصحاح، العدد 22:

"22 مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلاَّ الَّذِى يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟ هذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِى يُنْكِرُ الآبَ وَالابْنَ."

النص هنا أوضح بصوره قاطعه، أن فى أخر الأيام حيظهر Antichrist أو ضد المسيح أو المسيح الدجال، لكن التأكيد التالت و الأهم و الأخطر فى نفس الرساله، كان فى الإصحاح 4، الأعداد 2، 3:

"2 بِهذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِى الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ، 3 وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِى الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَ هذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِى سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِى، وَالآنَ هُوَ فِى الْعَالَمِ."

العددين السابقين مش بس بيؤكدوا ظهور شخصية ضد المسيح، لكن الأهم و الأغرب، هو التأكيد على أنه ظهر بالفعل فى وقت كتابة الرساله، و ده بيرجعنا تانى لفكرة أن المُعتقد الرئيسى لنهاية الأيام فى بداية المسيحيه، هى أن المجئ التانى للمسيح و نهاية الأيام، حيحدُثوا فى حياة هذا الجيل، و أنهم حيشهدوا نهاية الأيام، و ده واضح تقريباً فى كُل النصوص اللى أخترتها على مدار الفصول السابقه.

أخر نص حأختاره حيكون برضه من يوحنا، لكن من "رِسالَةُ يوحَنا الرَّسولِ الثّانيَةُ"، و هى كُلها إصحاح واحد، العدد 7:

"7 لأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ إِلَى الْعَالَمِ مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ، لاَ يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِيًا فِى الْجَسَدِ. هذَا هُوَ الْمُضِلُّ، وَ الضِّدُّ لِلْمَسِيحِ."

إهتمامى بأختيار أكتر من نص من رسائل يوحنا، لأن يوحنا نفسه يُفترض أن كاتب أنجيل يوحنا، و اللى هو أخر أنجيل كُتب من حيث التاريخ، بالإضافه لأحتمالية كونه كاتب سفر الرؤيا، لكن هذه النقطه مفيش عليها تأكيد قاطع، و أخيراً و هو الأهم،

فهو أحد تلاميذ المسيح المُقربين، فكان مهم جداً أنى أركز على كلامه، من خلال رسائله التلاته، و اللى كانت أوضح ذكر للمسيح الدجال فى العهد الجديد.

فهنا، و قبل ما أختم الجزء المسيحى، فالشر فى نهاية الأيام حيتمثل فى المسيح الدجال أو "ضد المسيح"، و جوج و ماجوج -بالرغم من عدم وضوح الرؤيه عن طبيعة جوج و ماجوج فى المسيحيه-، و حيجابه هذا الشر، المجئ التانى للمسيح فى نهاية الأيام.

****

مع الإسلام بتظهر لنا شخصيه جديده، حتكون أحد أهم علامات قيام الساعه، شخصيه لم يسبق الكلام عنها فى أى دين سابق، لكن الأغرب، أنه لا يوجد أى ذكر على الأطلاق لهذه الشخصيه فى القرآن، و الأكثر غرابه هو أختلاف هذه الشخصيه ما بين السنه و الشيعه بشكل جذرى.

بدايةً، هُناك أتفاق فى العقيده الإسلاميه مع المسيحيه، و يُفترض كمان مع اليهوديه، فى وجود شخصيه حتظهر و حتكون من علامات ما قبل قيام الساعه، و هى شخصية المسيح عيسى بن مريم، لكن برضه نزول المسيح قبل قيام الساعه، غير مذكور إطلاقاً فى القرآن، لكن سواءً المسيح أو كِلتا الشخصيتين الأخريين، فالمصدر الرئيسى لذكرهم كانت الأحاديث، و من بعد الأحاديث طبعاً حتكون المرويات، من أهم الأحاديث اللى ذكرت نزول المسيح:

"و الَّذى نفسى بيدِه ليوشِكنَّ أن ينزلَ فيكم إبنُ مريمَ حَكمًا مقسطًا فيَكسرُ الصَّليبَ و يقتلُ الخنزيرَ و يضعُ الجزيةَ و يفيضُ المالُ حتَّى لا يقبلَه أحدٌ"
الراوى : أبو هريره | المحدث : الألبانى | المصدر : صحيح الترمذى | الصفحة أو الرقم : 2233 | التخريج : أخرجه البُخارى (2222)

حديث تانى بيؤكد على نفس الموضوع:

"لا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّتى يقاتِلونَ على الحقِّ، ظاهرينَ إلى يومِ القيامةِ، فيَنْزِلُ عيسى إبنُ مريمَ، فيقولُ أميرُهم: تَعَالَ صَلِّ لنا ، فيقولُ: لا ، إنَّ بعضَكم على بعضٍ أميرٌ، تَكْرِمَةُ اللهِ لهذه الأُمَّةِ

الراوى : جابر بن عبدالله | المحدث : الألبانى | المصدر : صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم : 7293| التخريج : أخرجه مسلم (156)

تفسير الحديث الأخير حيكون جزء من التفاصيل الكامله لأحداث ما قبل قيام الساعه، علشان كده حأجل تفسيره شويه، بعد ما نتكلم عن باقى الشخصيات، لأن التفاصيل مُتشابكه و مُرتبطه ببعض، فحأحتاج أرتبها معاك ترتيب منطقى.

تانى شخصيه بتظهر معانا، و هى برضه من علامات ما قبل قيام الساعه، حتكون المسيخ أو المسيح الدجال، بالرغم من عدم ذكرها فى القرآن، لكن الشخصيه ذُكرت فى عشرات الأحاديث، و مئات المرويات، و من بين الأحاديث، أخترت أهمهم و أكثرهم دلاله، و حأبدأ بحديث مهم جداً، لوجود نقطتين فى غاية الأهميه داخل متنه، و نص الحديث:

" ما من نبيٍّ إلَّا و قد أنذر قومَه المسيخَ الدَّجَّالَ، لقد أنذر نوحٌ قَومَه و لعَلَّه سيُدرِكُه بعضُ من رأى أو سَمِعَ كلامى. قالوا: يا رَسولَ اللهِ، فكيف قلوبُنا يومَئذٍ. قال: مِثلُها -يعني اليومَ- أو خَيرٌ، و لكِنْ سأقولُ لكم فيه قولًا لم يقُلْه نبيٌّ لقَومِه: تعلَمونَ أنَّه أعوَرُ، و إنَّ رَبَّكم ليس بأعوَرَ، و تعلَمونَ أنَّه لن يرى أحدٌ منكم ربَّه حتى يموتَ، و أنَّه مكتوبٌ بين عينيه كافِرٌ، يقرؤُه مَن كَرِهَ عَمَلَه.
الراوى : عبدالله بن عمر | المحدث : إبن العربي | المصدر : عارضة الأحوذى الصفحة أو الرقم : 75/5 | التخريج : أخرجه البخاري (3057)، ومسلم (169)

الحديث هُنا فيه أكتر من تفصيله لافته للنظر. أولاً، ذكر الرسول أن كُل الأنبياء السابقين بداية من نوح، أنذروا و حذروا أقوامهم من المسيخ الدجال، و هذا يدُل على أن توقُّع قيام الساعه فى المفهوم الإسلامى، كان موجود حتى قبل الرسول، فى كُل الأمم اللى سبقت ظهور الإسلام.

ثانياً، قول الرسول: سيُدرِكُه بعضُ من رأى أو سَمِعَ كلامى، بيؤكد مره تانيه أن الرسول كان بيتوقع قيام الساعه فى حياة مستمعيه. ثالثاً، فى الحديث وصف للدجال، جزء منه رمزى و جزء منه جسدى، و هذا الحديث هو اللى أتبنت عليه كُل تفاصيل شكل و ملامح الدجال.

حديث تانى مهم جداً عن الدجال، ذُكرت فيه بعض التفاصيل اللى بتتكلم عن بعض ما سيحدث بعد ظهور الدجال:

"ليسَ مِن بَلَدٍ إلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إلَّا مَكَّةَ و الْمَدِينَةَ، و ليسَ نَقْبٌ مِن أنْقابِها إلَّا عليه المَلائِكَةُ صافِّينَ تَحْرُسُها، فَيَنْزِلُ بالسِّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلاثَ رَجَفاتٍ، يَخْرُجُ إلَيْهِ مِنْها كُلُّ كافِرٍ ومُنافِقٍ. و فى روايةٍ : أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه و سلَّمَ قالَ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ، غيرَ أنَّه قالَ: فَيَأْتى سِبْخَةَ الجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِواقَهُ و قالَ: فَيَخْرُجُ إلَيْهِ كُلُّ مُنافِقٍ و مُنافِقَةٍ."

الراوي : أنس بن مالك | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم
الصفحة أو الرقم : 2943

الحديث بيؤكد أن الدجال حيتمكن من دخول كُل مكان فى العالم و السيطره عليه، ما عدا مكه و المدينه، و تعريف كلمة سبخه معناها "أرض تُغمر موسمياً بالمياه".

حأذكر حديث تالت و أخير، و أهميته كانت فى أن الحديث جمع الدجال و المسيح عيسى بن مريم مع بعض، و فيه بعض التفاصيل الغير مذكوره فى الحديث السابق:

"إنَّ الأعورَ الدَّجَّالَ مَسيحَ الضَّلالهِ يخرُجُ مِن قِبَلِ المَشرِقِ فى زمانِ إختلافٍ مِن النَّاسِ و فُرْقةٍ، فيبلُغُ ما شاء اللهُ مِن الأرضِ فى أربعينَ يومًا اللهُ أعلَمُ ما مِقدارُها اللهُ أعلَمُ ما مِقدارُها - مرَّتَيْنِ – و يُنزِلُ اللهُ عيسى إبنَ مَريمَ فيؤُمُّهم، فإذا رفَع رأسَه مِن الرَّكعةِ قال: سمِع اللهُ لِمَن حمِده قتَل اللهُ الدَّجَّالَ و أظهَر المُؤمِنينَ"

الراوى : أبو هريره | المحدث : إبن حبان | المصدر : صحيح إبن حبان | الصفحة أو الرقم : 6812 الراوى : حذيفه بن اليمان و أبو مسعود | المحدث : الألبانى | المصدر : صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم : 5051

أوصل معاك للشخصيه التالته، و اللى كنت أقصدها فى بداية كلامى، الشخصيه الموجوده فى المُعتقد الإسلامى فقط، و برضه لم تُذكر على الإطلاق فى القرآن، لكن برضه كان ذكرها من خلال الأحاديث و المرويات، و هى شخصية المهدى المُنتظر، و أبدأ بأول حديث عن المهدى:

"لو لم يبقَ منَ الدُّنيا إلَّا يومٌ، لطوَّلَ اللَّهُ ذلِكَ اليومَ حتَّى يَبعثَ فيهِ رجلًا منِّي -أو من أَهْلِ بيتي- يواطئُ اسمُهُ اسمي، و أسمُ أبيهِ اسمُ أبي، يملأُ الأرضَ قِسطًا و عدلًا، كما ملئت ظُلمًا و جَورًا . و في لفظٍ لا تذهبُ -أو لا تَنقضي- الدُّنيا حتَّى يملِكَ العربَ رجلٌ من أَهْلِ بيتي، يواطئُ أسمُهُ أسمي."
الراوى : عبدالله بن مسعود | المحدث : الألبانى | المصدر : صحيح أبى داود الصفحة أو الرقم: 4282

من خلال هذا الحديث نقدر نفهم، أن الله حيُرسل مُباشرةً قبل قيام الساعه، رجل من نسل الرسول، حيُطابق أسمه أسم الرسول، بمعنى أن أسمه حيكون محمد بن عبدالله، و دى نقطة فى غاية الأهميه، لأن فيه واقعه شهيره جداً، أعتمدت على هذا الحديث، حأذكرها فى الفصل القادم. هذا الرجل أو المهدى، حيحكم العرب بالعدل، بعد فترة الظلم و الجور اللى كانت قبله. فى الحديث كلمة المهدى لم تُذكر، لكن عرفنا من خلاله، أن أسمه الحقيقى حيكون محمد بن عبد الله.

أول حديث كنت ذكرته للدلاله على نزول المسيح، هو نفسه حيكون الحديث التانى عن المهدى، و هو حديث **"لا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يقاتِلونَ على الحقِّ، ظاهرينَ إلى يومِ القيامةِ، فيَنْزِلُ عيسى إبنُ مريمَ، فيقولُ أميرُهم: تَعَالَ صَلِّ لنا ، فيقولُ: لا ، إنَّ بعضَكم على بعضٍ أميرٌ، تَكْرِمَةُ اللهِ لهذه الأُمَّةِ"**.

هنا أميرهم فى كُل تفسيرات الحديث، بتُشير إلى المهدى المنتظر، بس أنا أخرت التفسير علشان أربطه مع الكلام عن المهدى، و من خلال الحديث حنفهم أن المهدى حيسبق المسيح فى الظهور على الأرض، و بيؤكد الحديث على أن المهدى بعد نزوله حيقود العرب و المسلمين.

الحديث التالت فى غاية الأهميه، و لأول مره حيكون الكلام عن هذا الشخص بأسم "المهدى"، و نص الحديث:

"المَهديُّ منِّي، أجْلَى الجبهةِ، أقْنى الأنفِ، يملأُ الأرضَ قِسطًا و عدلًا كما مُلئتْ ظلمًا و جورًا، يملِك سبعَ سنينَ."
الراوى : أبو سعيد الخدرى | المحدث : إبن حجر العسقلانى | المصدر : هداية الرواه | الصفحة أو الرقم : 120/5 | التخريج : أخرجه أبو داود (4285)

الحديث هنا فيه إضافتين، الأولى، ذكر كلمة "المهدى"، و التانيه تحديد فترة حكمه بسبع سنين، و هنا حنفتكر الفتره اللى حتسبق نهاية الأيام فى المسيحيه، و اللى سُميت ب"فترة المحنه"، الفتره حُددت برضه ب7 سنين، لكن فى المسيحيه كانت فترة محنه، أما فى الإسلام فهى تُمثل فترة ما بعد المحنه.

من الأحاديث اللى حيبدأ يظهر فيها بعض التفاصيل، عن بعض الأحداث اللى حتُصاحب ظهور المهدى، حديث فى غاية الأهميه، و نصه:

"يَقتَتِلُ عندَ كنزِكُمْ هذا ثلاثةٌ كلُّهم إبنُ خليفةٍ، ثمَّ لا يصِلُ إلى واحدٍ منهُم، ثمَّ تُقبِلُ الرَّاياتُ السودُ من قِبَلِ المشرِقِ، فيَقتلونَكُم قتلًا لَم يقتلْهُ قومٌ، ثمَّ ذكرَ شيئًا فإذا رأيتُموه فبايِعوه و لَو حَبْوًا على الثَّلجِ ، فإنَّه خليفةُ اللهِ المَهْدىُّ"
الراوى : ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم | المحدث : البزار | المصدر : البحر الزخار | الصفحة أو الرقم : 100/10

لفت نظرى فى الحديث السابق كلمة "خليفة الله"، و هو تعبير لم يُستخدم إسلامياً غير مع خلق أدم، و كان فى سورة البقره الأيه 30، من خلال حوار الله مع الملائكه، **"إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً"**، و ده يوضح حجم دور المهدى، و اللى وصل لتلقيبه ب"خليفة الله".

المرويات بتحكى عشرات القصص و التفاصيل عن المهدى، و بالرغم من أنها هى الرافد الأساسى للصوره الذهنيه المُتصوره فى العقل الجمعى عن الدجال و المهدى، إلا أنى مش حأذكرها، لأنها لا تُعتبر مصدر، و حأكتفى بالأحاديث السابقه، سواء عن المسيح أو الدجال أو المهدى، اللى ذكرت بعض تفاصيل دور و وصف كُل شخصيه منهم، و حددت بشكل ما ترتيب الأحداث.

المهدى المُنتظر عند الشيعه، يختلف تماماً عن المهدى المُنتظر عند السُنه، لكن حأجل شرح من هو المهدى المُنتظر الشيعى، بعد ما أشرح تفاصيل مرحلة ما قبل قيام الساعه، و الربط بين ظهور الدجال و المهدى المُنتظر، و عودة المسيح عيسى بن مريم التانيه للأرض.

****

ترتيب الأحداث تبعاً للمُعتقد الإسلامى بتقول أن المهدى المُنتظر، و اللى حيكون أسمه محمد بن عبدالله، و حيكون من نسل الرسول -من أحفاد الحسن بن على بن أبى طالب- و بيحمل نفس أسمه، هو أول من سيظهر قبل قيام الساعه. المهدى حيكون خليفه للمسلمين، و ظهوره حيكون بعد فساد الأرض تماماً من كافة النواحى، أخلاقياً و أجتماعياً و مناخياً و أقتصادياً، و حتكون فترة حكمه 7 سنين، زى ما سبق و ذكرت، و حيعاصر الدجال و المجئ التانى للمسيح.

المهدى حيغزو جزيرة العرب و حينتصر، يعقُبها بلاد فارس (أيران) و حينتصر، يعقُبها بلاد الروم، و طبعاً بلاد الروم كانت أيام الرسول، بتشمل جزء كبير من أوروبا و تركيا، و لما حتوصل الفتوحات للقسطنطينيه (أسطانبول حالياً) حيظهر الدجال، و حتكون مدة ظهوره على الأرض 40 يوم.

و أخيراً و بعد ظهور الدجال، حيعود المسيح عيسى بن مريم للأرض، و هو اللى حيقوم بقتل الدجال، بعدها حيُصلى المسيح خلف المهدى. أغلب المصادر بتقول أن المسيح هو اللى حيتولى الخلافه من بعد المهدى، و حتكون فترة حكمه مدتها 40 سنه، لكن لايوجد أى مصدر بيقول أيه هى نهاية المهدى، و ليه المسيح عيسى بن مريم حيحكم و يكون هو الخليفه مكانه.

فى عصر المسيح حيخرج قوم أو شعب يأجوج و مأجوج، و حيقوموا بقتل كُل من يصادفهم، لكن الله حيُهلهكم، و حيتبقى فقط المسيح عيسى عليه السلام و أصحابه على الأرض، و حينشأ جيل جديد، حيكون فيه مره أخرى مؤمنين و كفار، لحد ما حتأتى "الريح الطيب"، فحتأخذ أرواح المؤمنين، و حيتبقى الكفار لحد ما حتقوم عليهم الساعة.

فيه تفاصيل كتير كانت غريبه و غير مقنعه، و بالتأكيد أن ليس لها أى مصدر أو مرجع، تخُص معارك بين المسلمين و المسيحيين بعد حُكم المسيح، و تحول كتير من المسيحيين بعدها للإسلام، و فى النهايه هى غير مُهمه فيما يخص الهدف من سردى للفرضيات المُتوقعه من كُل دين، لتفاصيل أحداث نهاية العالم، المهم عندى كانت الشخصيات و ترتيب الأحداث.

دى كانت بإختصار شديد جداً، ترتيب أحداث ما قبل قيام الساعه الإسلاميه، و ده بناءً على المرويات اللى يُفترض أنها بُنيت على الأحاديث، لكن مما لا شك فيه، أنها بتُناقض بشكل كبير جداً القرآن، لأنها بتفترض إن الكفار فقط هم اللى حيكونوا موجودين على الأرض وقت قيام الساعه، و ده بيُخالف القرآن بشكل تام.

****

أوصل معاك لأخر موضوع فى هذه المحطه التاريخيه الدينيه من الكتاب، و حأتكلم عن المهدى المُنتظر عند الشيعه، و أختلافه عن المهدى المُنتظر عند السُنه. الشيعه أختلف نظام حكمهم منذ بداية ظهورهم عن السُنه، من خلال ما يُسمى بالأئمه المعصومين.

أعتبر الشيعه الأمام على بن أبى طالب هو أول الأئمه المعصومين، و من بعده أبنيه الأمام الحسن بن على، و الأمام الحسين بن على. بعد كده كانت الأئمه اللى حكمت فعلياً، كُلهم من نسل الحسين، فكان الأمام الرابع هو على زين العابدين بن الحسين، ثم الأمام محمد الباقر بن الأمام على زين العابدين، و هكذا، وصولا للأمام الحادى عشر، و هو الأمام الحسن العسكرى.

من نسل الأمام حسن العسكرى، وُلد الأمام محمد بن حسن، سنة 869 ميلادياً، و اللى أحاط والده -الأمام حسن العسكرى- ولادته بكثير من السريه، و حاول إخفاءه عن الناس، خوفاً عليه من سطوة الدولة العباسيه.

لما تُوفى الأمام الحسن العسكرى، أعلن أخوه جعفر بن على الهادى الأمامه بعد وفاته مباشرة، لأنه لم يكُن يعلم بوجود أبن للأمام الحسن العسكرى. لكن لما أُخبر بعد وفاته بوجود أبن له، تنازل عن الخلافه لهذا الأبن. بعد تولى الأمام محمد بن حسن العسكرى الأمامه، و كان الأمام ال12، و بعده قيامه بالصلاه على والده، بدأت الدوله العباسيه تطارده، و أختفى تماماً، و لم يظهر من بعدها مُطلقاً.

من وقتها توقفت الأمامه عند الشيعه، و جزء من أسباب توقف الأمامه، كان حديث منسوب للرسول، موجود فقط عند الشيعه، بأن الأمامه من بعده حتكون ل12 أمام فقط، و أولهم الأمام على بن أبى طالب.

إعتقد الشيعه، و اللى إنقسموا بعد أختفاء الأمام محمد بن الحسن العسكرى لفرق كتير جداً، لكن من المُسلمات -بالنسبالهم- اللى لم يتم الخلاف عليها، هى أن الأمام محمد بن الحسن العسكرى لم يمُت، و أنه موجود فيما يسمى "الغيبه"، و أنه حيظهر أخر الزمان، علشان يكون هو المهدى المُنتظر.

17 مايو 2024

المحطة الثانية:

في إنتظار المُخلص

" أيها المسلمون، نبشركم فى هذا اليوم المبارك بخروج الرجل الصالح المهدى، الذى سوف يملأ أرض الله عدلاً و قسطاً، كما ملئت ظلماً و جوراً، سوف تنتهى" من خطبة خالد اليامى فى حرم الكعبه

المُنتَظر

فى الفصول السابقه من الكتاب، و اللى مثلت المحطة الأولى منه، خلصنا القسم الأول من المواضيع التلاته اللى بيشملها الكتاب بجزئيه. فى القسم الأول أو المحطه الأولى، أتكلمت معاك عن 3 مفاهيم أو عقائد رئيسيه، سيطرت على العقل الجمعى البشرى على مر التاريخ.

المفهوم الأول كان مفهوم الموت، و تم إستعراضه من بداية مرحلة الإدراك البشرى لمفهوم الموت من خلال الأديان. المفهوم التانى كان عن ربط العقل الجمعى البشرى للكوارث اللى بتحل على البشريه، بالغضب الإلهى، و أن نهاية العالم و فناء البشريه، حيكون بسبب الفساد فى الأرض، و البعد عن طاعة الله. المفهوم التانى أخدنا للمفهوم التالت، و هو عقيده نهاية العالم، و أزاى أتشكل مُعتقد نهاية العالم و ما بعده، من بداية التاريخ البشرى، من قبل حتى ظهور الأديان، و أزاى أصبحت البشريه فى إنتظار نهاية العالم طول الوقت، سواء قبل أو بعد ظهور الأديان.

هذا المفهوم أو العقيده، أوصلنا لتفصيله مهمه جداً من قلب الموضوع، و هى الأحداث و الشخصيات المُرتبطه بهذه النهايه، و أزاى هذا المفهوم أرتبط بما يُسمى النمط الخطى للحياه و نهاية العالم، و اللى الأديان الإبراهيميه مثلت أقوى نموذج لهذا النمط، و أزاى أن لكُل دين من الأديان التلاته رؤيته الخاصه بأحداث نهاية العالم بمسمييها، "نهاية الأيام" فى اليهوديه و المسيحيه، أو "قيام الساعه" فى الأسلام.

تشابهت الأحداث بين الأديان التلاته فى بعض الأحداث و التفاصيل، و أختلفت فى الغالبيه العظمى منها، لكن فضلت الفكره اللى أتكلمت عنها فى الفصلين السابقين، و هى صراع المُخلص و المُخادع، بغض النظر عن أختلاف من يُمثل الشخصتين فى كُل دين، لكن فى النهايه، فالشخصيتين موجودين فى الديانات التلاته.

فكرة "المُخلص" هى أهم علامه من علامات النهايه اللى شغلت العقل البشرى على مدار التاريخ، لأن -و للأسف الشديد- العقل الجمعى البشرى طول الوقت،

بيبحث عن قوى خارجيه علشان تحلله كُل مشاكله، دايماً الناس مُنتظره أن الحل يكون من براها، خاصةً لما تكون فيه محاولة إحداث أى تغيير جمعى، الناس بالفعل بتدور طول الوقت على قائد يحمل صفة "الزعيم"، لأن القياده شئ و الزعامه شئ أخر مختلف تماماً، الزعامه محتاجه لنوع من الكاريزما مش بتتوفر فى أى قائد، فالناس طول الوقت منُتظره اللى ييجى يقودها و يحللها مشاكلها، و دى واحده من أكتر التأثيرات السلبيه اللى نتجت من الفكر الجمعى البشرى، حتى من قبل مرحلة الأديان، لكن و للأسف، جزء كبير من رجال الدين فى كافة الأديان على مر العصور، عرفوا يلعبوا على هذه النقطه بشكل كبير، و حأوضح هذه النقطه بشكل أكبر، فى أحد فصول الكتاب القادمه.

أسمحلى أكلمك عن هذه الفكره، من خلال فيلم مصرى مهم جداً، و هو بالنسبالى واحد من أهم الأفلام فى تاريخ السينما المصريه، و أهم فيلم للمخرج الكبير و العظيم يوسف شاهين. الفيلم كان أسمه "عودة الأبن الضال"، و اللى أخرجه سنة 1976 ميلادياً، و بالمُناسبه فالشئ بالشئ يُذكر، فيوسف شاهين و صلاح چاهين و فريق الكتابه معاهم، أقتبسوا جزء من فكرة الفيلم و أسمه، من إنجيل لوقا الإصحاح 15، من خلال قصه رواها المسيح لتلاميذه، معروفه مسيحياً بأسم "قصة الأبن الضال".

الفيلم بتدور أحداثه من خلال مدينه صغيره جداً فى مصر أسمها "ميت شابوره"، بتسيطر عليها عيله كبيره أسمها عيلة المدبولى. الأب محمد المدبولى (محمود المليجى)، اللى ضيع جزء كبير من فلوس العيله فى تجارب فاشله لإستصلاح الصحراء، و على الحفلات، كبر جداً فى السن، و أصبح عايش فى عالمه الخاص، و إنفصل تماماً عن الواقع اللى حواليه.

الأم رتيبه (هدى سلطان)، هى المسيطره و المُحركه لكُل لأحداث، من غير ما تكون ظاهره فى الصوره، مبادئها بتستبيح كُل حاجه و أى حاجه، فى سبيل الحفاظ على السيطره، و الفلوس، و أسم العيله.

الأبن الأكبر طُلبه (شكرى سرحان)، اللى أجبرته أُمه على عدم الإستمرار فى الدراسه فى الكُليه الحربيه، لإدارة مُمتلكات الأسره، هو الطاغيه المُسيطر تقريباً على المدينه كُلها، رمز السُلطه و الأستبداد، سيطر على كُل حاجه تخُص العيله، و بالتالى على

المدينه كُلها، فقرر الأخ الأصغر على (أحمد محرز) المُهندس، و اللى كان بيُمثل أمل أهل المدينه فى حُكم عادل، أنه يسافر و يسيب المدينه، فبتزداد سيطرة طلبه على كُل شئ فى البلد، بما فيهم فاطمه (سهير المرشدى) خطيبة أخوه على اللى سافر.

12 سنه بتمُر على سفر على، بينتظره أثناءها كُل أهل المدينه -بنكتشف كُمشاهدين أنه تم سجنه، لكن الأسره لا تعلم-، علشان يرجع يحل لهم كُل مشاكلهم، سواء المشاكل الجماعيه أو الشخصيه، لأن و لا واحد فيهم، عنده القُدره على حل مشاكله لواحده، فبيكون إنتظار على، أشبه بإنتظار المجئ التانى للمسيح على الأرض، اللى حيتم معاه الخلاص للبشريه كُلها.

بيرجع على بعد الغياب الطويل علشان يخذلهم، لأن على -زيه زيهم- ليس لديه أى حلول، بدليل أنه هو شخصياً سافر كنوع من الهروب، من حل مشاكله مع طلبه أخوه -رمز الفساد و الطُغيان-، فرجوع على مش بيحل أى مُشكله فى البدايه، لكن بيبدأ شيئاً فشيئاً يحدُث نوع من الحراك الجمعى. الفيلم فى النهايه بيوصل لنا بارقة أمل فى الجيل الجديد، و اللى كان بيُمثله (إبراهيم) هشام سليم، أبن طلبه، و تفيده (ماجده الرومى).

الفيلم بالرغم من أن كُل الناس كانت شايفاه كإسقاط سياسى لمصر فترة السيتينيات، لكن أنا شفت فيه بعد دينى إنسانى، و إستخدام لفكرة المجئ التانى للمسيح، أو حتى نزول المهدى المُنتظر، و فكرة إنتظار الناس لشخص حييجى فى يوم من الأيام، علشان يغيير حياتهم للأحسن، بدون بذل أى محاوله لإحداث التغيير من جواهم أو بأيديهم.

أكمل معاك فى شخصية المُنتظر أياً كان هو مين، و من خلال شخصية "المُخلص" أو المُنتظر، حيبدأ الجزء التانى من الكتاب، و اللى حأربط فيه معاك كُل اللى فات، ببعض التفاصيل فى واقعنا الحالى، و أزاى أن كُل المُعتقدات أثرت و بتأثر فى كتير من الناس بشكل سلبى، و أنا هنا و مره تانيه بأكد أنى مش بأنقُد المُعتقد، لكن بأنقد أستغلال المُعتقد بشكل خاطئ، و فيه رأى عندى بقوله طول الوقت، أن الخطأ فى التطبيق لا يعنى على الإطلاق أن هُناك خطأ فى الفكره، و دايماً بشبه فكرتى دى بالمُدرس أو المُدرب. المدرس أو المدرب بيشرحوا الفكره أو الخطه المثاليه، لكن

مُمكن فى الملعب اللاعبين يُسيئوا التنفيذ، فهذا لا يعنى أن خطة المُدرب كانت غلط من الأساس.

الشخصيات المُنتظره أو "المُخلص"، و اللى حييجى يحرر العالم و يخلصه من كُل الشرور، هى من أهم علامات نهاية الأيام أو قيام الساعه، و هى طول الوقت فى مُخيلة كُل شخص مؤمن بعقيده ما، و أغلب المؤمنين من كافة الديانات، بتتمنى أنها تكون حاضره ظهور هذه الشخصيه ، و أنها تكون فى صحبتها، لكن فيه أشخاص كتير أمالها تعدت فكرة الصُحبه، علشان توصل لفكرة أنه هو نفسه ممكن يكون المُنتظر.

فكرة أن شخص يدّعى أن هو المُنتظر لها شكلين فى التاريخ. الشكل الأول أن الشخص نفسه هو اللى بيدّعى أن هو المُنتظر، و هذا الشكل هو الأكثر إنتشاراً، و اللى فى أغلب الأحيان كتير مِن مَن أدعوه، الناس عمرها ما صدقتهم.

أما الشكل التانى و هو الأقوى و الأكثر تأثيراً، فبيتمثل فى أن الناس المُحيطين بهذا الشخص، هى اللى تُعلنه ك"المنتظر"، و لو كنت شفت سلسلة أفلام " The Matrix"، ف"نيو" أو كيانو ريفز فوجئ بأن المجموعه المُحيطه بيه، هى اللى أختارته ك"المختار" اللى العالم مُنتظره، و ده بالفعل حصل مع ناس كتير جداً، على مدار التاريخ البشرى.

فى هذا الفصل و اللى بعده، حنكون فى رحله مع بعض الحالات الحقيقيه اللى غيرت التاريخ بشكل فعلى، الحالات اللى فعلاً صدقها كتير من الناس، و كان لها تأثيرها السلبى، و اللى أمتد أحياناً لقرون بعدها.

****

كان يوم 20 نوفمبر سنة 1979 ميلادياً، الموافق يوم 1 من شهر المحرم سنة 1400 هجرياً، يعنى كان اليوم الأول فى القرن الهجرى الجديد، و بعد موسم الحج بأقل 3 أسابيع، و فى هذا الوقت كان أغلب الحجاج بيسافروا أما عن طريق البر أو البحر، و كانوا بيستمروا فتره طويله جداً بعد موسم الحج، فى المملكه العربيه السعوديه.

فى هذا اليوم أجتمع داخل الحرم المكى أكتر من 50 ألف مُصلى لأداء صلاة الفجر، و كان فيه أكتر من مجموعه من الناس أدخلوا نعوش ، لإقامة صلاة الجنازه على موتاهم بعد صلاة الفجر مباشرةً. بعد إنتهاء الأمام من الصلاه، و قبل إقامة صلاة الجنازه، فوجئ المُصلين ببعض الرجال من اللى كانوا مصاحبين للنعوش، بيدفعوا إمام الحرم بعيد، و بيمسك قائدهم أو رئيسهم المايكروفون، علشان يسلمه لأحد رجاله، فى نفس الوقت قام باقى الرجال، و اللى وصل عددهم لأكتر من 200 رجل، بفتح النعوش، و إخراج كم من الأسلحه و البنادق، و اللى تمكنوا عن طريقها من السيطره تماماً على الحرم، بينما عجزت القوه اللى كان بيُفترض أنها بتحمى الحرم، من فعل أى شئ، يمكن لعنصر المفاجئه، أو يمكن لأنهم برضه كانوا لسه قليلى الخبره، و متدربوش على موقف زى كده، المهم أن فى النهايه، سيطر رجال "جهيمان العتيبى"، و ده كان أسم قائدهم، على الموقف بشكل تام .

الرجل اللى سلمه جهيمان المايكروفون، كان أسمه "خالد اليامى"، خالد بدأ يُلقى خُطبه للمُصلين المُحتشدين فى الحرم عن "المهدى المُنتظر" اللى حيُحكم و حيكون خليفه للمُسلمين و العرب، و حيقود المُسلمين للأنتصار و السيطره على العالم كُله، بعد كُل ما حل بالأرض من ظلم و فساد و قمع، و أستند خالد طبعاً على كُل الأحاديث و المرويات اللى تحدثت عن المهدى المُنتظر، و تحول خالد فى خطبته للبشاره بأن المهدى المُنتظر ظهر بالفعل.

الخطبه تضمنت برضه التنديد بسوء الأوضاع و الإنفلات الأخلاقى فى السعوديه، و تحميل المسئوليه كاملةً للأسره الحاكمه، و خاصةً الملك أو عاهل الحرمين وقتها، الملك خالد بن عبد العزيز أل سعود.

طبعاً حيعتقد البعض إن خالد اليامى كان بيتكلم عن جهيمان العتيبى، لكن لأ، لأن المهدى فى الأحاديث كُلها كان أسمه محمد بن عبدالله، زى ما سبق و ذكرت، فمين هو المهدى اللى كان بيدعوله خالد، و أيه علاقة جهيمان العتيبى بهذا المهدى؟

حأرجع بيك "Flashback" علشان نعرف القصه من أولها، لكن بعد ما أقتبس مقطع من خُطبة خالد اليامى" فى الحرم، و أكملك باقى أحداث هذا اليوم:

"إن الذى سنبايعه اليوم أسمه محمد بن عبدالله، و هو من قريش و أبوه من الأشراف، و أمه من نسل الحسين بن على ولد فاطمة رضى الله عنهما، و جميع الصفات المذكورة فى الأحاديث منطبقة عليه و لله الحمد، و من أراد التثبت من أى شىء من هذا، فالمجال مفتوح و نحن إخوانكم، لا نبخل عليكم بشىء إلا أن نقول "فضل الله يؤتيه من يشاء، و الله ذو الفضل العظيم"

أيها المسلمون، نبشركم فى هذا اليوم المبارك بخروج الرجل الصالح المهدى، الذى سوف يملأ أرض الله عدلاً و قسطاً، كما ملئت ظلماً و جوراً، سوف تنتهى."

خالد كمل فى خُطبته و قال إن مُسلمين كتير شافوا المهدى فى رؤى، و أن ظهوره بالنسبالهم حقيقه لا جدال فيها، و كان هذا الرجل اللى بيتكلم عنه خالد موجود ما بينهم، و كان أسمه بالكامل محمد بن عبدالله القحطانى.

أثناء الخُطبه، و اللى تم تسجيلها صوتياً، كان جهيمان العتيبى بيُقاطع خالد اليامى و بيمسك الميكروفون، علشان يأمر رجاله بإغلاق أبواب الحرم، و القناصه يتمركزوا فوق المآذن اللى كاشفه مكه كُلها.

بعد انتهاء الخُطبه مباشرةً، بدأ جهيمان و رجاله، بإجبار المُصلين على التقدم نحو الكعبه، بين الركن و المقام، لمُبايعة محمد بن عبد الله القحطانى، بصفته المهدى المُنتظر، و كان جهيمان أول من بايعه، و كانت أصوات أتباعه بتكبر طول الوقت "الله أكبر، الله أكبر".

كتير من المُصلين اللى كانوا من دول غير عربيه، كانوا مش فاهمين أيه اللى بيحصل، و أكيد أغلب اللى كانوا موجودين حاولوا الهرب، لكن رجال جهيمان العتيبى سيطروا تماماً على الموقف، و قفلوا كُل أبواب و مداخل الحرم، لمنع دخول أو خروج أى شخص، من و إلى حرم الكعبه.

قبل ما نكمل باقى الأحداث، نرجع ال"Flashback"، علشان نفهم أيه اللى حصل من البدايه، و مين هو جهيمان العتيبى، و مين محمد بن عبد الله القحطانى، و أيه العلاقه بينهم.

القصه بتبدأ من عند جهيمان، الشاب اللى كان بعيد عن الدين، و كان بيتاجر فى تجارات كتير غير شرعيه من بينها المخدرات، لحد ما -زى ما كان بيقول- وجد ملاذه فى الدين، و بدأ مع أخرين فى تأسيس جماعه دينيه لها فكرها الخاص أسمها "السلفيه المُحتسبه."

خلال هذه الفتره، و أقصد بيها فتره السبعينيات من القرن العشرين ميلادياً، بدأت السعوديه مع ظهور البترول فى التحول للنمط المدنى، و بالمُناسبه فالسيدات كان مسموح لهم بقيادة السيارات فى هذه الفتره، بالإضافه للأختلاط بين الرجال و النساء فى المولات و المطاعم، و تحول المجتمع ككُل، لمظاهر المدنيه الحديثه، اللى أعتبرها جهيمان و جماعته من أشكال إنهيار القيم الدينيه والاجتماعيه، و من علامات قيام الساعه.

جهيمان كان جندى فى الحرس الوطنى السعودى، و ده ساعده بشكل كبير فى تدريب رجاله على عملية مهاجمة الحرم و السيطره عليه، لكن أثناء وجوده فى الحرس الجمهورى، بدأت صيت السلفيه المُحتسبه ينتشر، خاصةً بعد دخولهم فى خلافات و جدالات مع كبار مشايخ المملكه العربيه السعوديه، بسبب طبعاً الأوضاع فى السعوديه، فبدأت السلطات تُطاردهم، فهرب جهيمان و رجاله للصحراء و عاشوا هناك لفتره.

خلال فترة الأقامه فى الصحراء، و بحسب إعترافات جهيمان، اللى قال فيها أنه عثر على المهدى المنتظر، و هو محمد بن عبدالله القحطانى، و اللى كان داعيه شاب، مشهور بحسن الخُلق والالتزام، بالإضافه لأن مواصفاته الشكليه، تكاد تُطابق

الأحاديث اللى بتوصف المهدى، من جبهه عريضه، أنف نحيف و مدبب، إلخ من مواصفات المهدى المُنتظر الشكليه.

لما فاجئ جهيمان محمد بن عبدالله القحطانى بهذه الفرضيه، ذُهل القحطانى طبعاً للفكره، و بدأ يصلى بهدف أن ربنا يهديه لرد، إذا كان هو بالفعل المهدى المُنتظر و لا لأ.

بعد فتره خرج القحطانى من عزلته و هو مُقتنع تماماً بالفكره، و بدأ فى التصرف على أنه بالفعل المهدى المُنتظر، و زاد من قوة تحالف الرجلين، لما تزوج جهيمان أخت محمد بن عبدالله الكُبرى، و أصبحت زوجته التانيه.

بدأت فكرة ظهور المهدى فى الإنتشار، و خاصةً فى مكه، و بدأت الشائعات تنتشر بأن كتير من أهل مكه أو الحجاج، زارهم المهدى محمد بن عبد الله القحطانى فى رؤى فى مناهم، و كانوا بيشوفوه و هو واقف بشموخ فى قلب الحرم المكى.

بدأ جهيمان و رجاله فى التدريب فى الصحراء، إستعداداً للسيطره على الحرم المكى، و إعلان محمد بن عبد الله القحطانى كخليفة المسلمين، و الأمام المهدى، اللى الأمه الإسلاميه كُلها فى أنتظاره.

الشرطه السعوديه، و اللى كانت قليلة الخبره فى هذا الوقت -زى ما ذكرت-، تعاملت مع الموقف بشكل غير أحترافى، بأنها أرسلت عربيتين نجده يستطلعوا

الوضع، بس قبل ما رجال الشرطه يخرجوا من العربيتين، كان رجال جهيمان الموجودين فوق المآذن، أمطروا العربيتين بوابل من الرصاص.

إختصاراً لهذا الجزء، فالحصار و الأشتباكات مع الشرطه السعوديه أستمر لمدة 15 يوم كامله، إضطرت خلالها الحكومه السعوديه لطلب المساعده من السفاره الفرنسيه فى المملكه العربيه السعوديه، و طبعاً خلال هذه الفتره، بدأ الأكل و الذخيره اللى مع جهيمان و رجاله فى النفاذ.

الرئيس الفرنسى أرسل 3 مستشارين من وحدة مكافحة الأرهاب، و بالمُناسبه فالسعوديه و فرنسا أستمروا فى إخفاء هذا السر، و هو تعاون فرنسا و دورها فى فض العمليه، لمدة 40 سنه كامله، و كانت الخطه الفرنسيه بعمل فتحات توصل للسراديب اللى أختبأ فيها جهيمان و رجاله داخل الحرم، و ضخ الغاز من خلالها، و اللى أنتشر بالفعل فى كُل الأماكن اللى تمركز فيها جهيمان و رجاله.

أتقبض على جهيمان و رجاله، و تم إعدام جهيمان و 62 رجل من أتباعه علناً فى 8 مدن من مدن المملكه العربيه السعوديه، و بالمُناسبه، يُقال أن رجال جهيمان كانوا من 15 دوله، و الأغرب أنه برضه يُقال أن من بين هذه الدول الولايات المُتحده الأمريكيه.

محمد بن سلمان -ولى العهد السعودى- أكد فى حوار صحفى له فى مارس 2018، مدى تأثير حادثة جهيمان العتيبى على المملكه العربيه السعوديه، لأنه قال أن المملكه حتى فترة ما قبل حادثة جهيمان، كان نمط الحياه فيها زى باقى دول الخليج، فيها سينمات و مولات، و النساء كانوا بيقودوا السيارات، مفيش منع للأختلاط بالشكل القوى جداً اللى حصل بعد كده، لكنه أعتبر أن هذه الحادثه عملت رده حضاريه للمملكه العربيه السعوديه، و بدأ التأثير الوهابى يظهر مره تانيه على السطح،

بشكل كبير و مؤثر جداً، و هو ده التأثير اللى أنا قصدته، بأن هذه التجارب لها تأثيرها السلبى طول الوقت، فحادثه واحده -حتى لو كانت بهذه الضخامه-، قدرت تأثر على نمط الحياه فى المملكه العربيه السعوديه، لمده قاربت على 4 عقود، تقريباً 40 سنه، و كان ممكن بالفعل تستمر لأكتر من كده.

و بالمُناسبه و قبل ما أنهى قصة إحتلال الحرم المكى، فسنة 1979 ميلادياً كانت من السنوات الفاصله فى تاريخ منطقة الشرق الأوسط كُلها، السنه اللى غيرت شكل المنطقه حتى يومنا هذا، لأن خلال سنة 1979 ميلادياً وقعت حادثة جهيمان العتيبى و إحتلال الحرم المكى و توابعه، و فى نفس السنه قامت الثوره الإسلاميه الأيرانيه، و تحولت أيران من دوله علمانيه فى عهد الشاه، لدوله شيعيه إسلاميه، بعد الثوره اللى قامت بقيادة أيه الله الخومينى.

كمان فى نفس السنه تم توقيع إتفاقية كامب ديڤيد، و اللى كانت بين مصر و أسرائيل و الولايات المُتحده الأمريكيه، فى كامب ديڤيد فى أمريكا، و كانت من أهم توابعها عودة دور الجماعات الإسلاميه فى مصر، و إغتيالهم للرئيس أنور السادات بعدها بأقل من سنتين فى 1981 ميلادياً ، و القطيعه اللى وقعت بين دول عربيه كتير و مصر.

المهم و فى النهايه، فحادثة إحتلال الحرم المكى، كانت واحده من أهم عوامل حالة التغيير اللى حدثت فى العالم العربى و الإسلامى، بدايةً من 1979 ميلادياً، السنه الفاصله فى تاريخ المنطقه كُلها.

****

القصه التانيه اللى حأسردها، هى أشد خطوره و أكثر أهميه من القصه الأولى، و مصدر خطورتها أن بالرغم من حدوثها من 180 سنه بالضبط، إلا أن أثارها و نتائجها موجوده إلى يومنا هذا، خاصةً أن من أهم أثارها كان ظهور دين جديد، و كلمة دين تُطلق على جميع العقائد، لأنها ما يدين به الإنسان، سواء كانت عقيده سماويه أو غير سماويه، هذا الدين وصل أتباعه حالياً لحوالى 7.3 مليون إنسان، و الأهم و الأغرب أنهم موجودين فى أكتر من 221 دوله على مستوى العالم.

الغريب فى القصه أنها مبدأتش بهدف ظهور دين جديد على الأطلاق، بالعكس القصه وُلدت من رحم الإسلام الشيعى، و أن الجزء الأساسى و المُرتبط بموضوعنا فيما يخص "المخلص"، كان قبل ظهور هذا الدين، لكنه كان السبب المباشر و الأساسى لظهوره ، و اللى حأتكلم سريعاً عنه، فى إطار أنى أكمل الحكايه ككُل، لكن الجزء الأساسى من القصه -زى ما قلت- كان قبل ظهور الدين.

القصه التانيه بتُماثل القصه الأولى، فى كون الشخص نفسه مش هو اللى أدعى أنه المهدى المُنتظر، لكن برضه قيل له أنك أنت المهدى فصدق نفسه، و القصه هذه المره من الجانب الأخر من الإسلام، من الجانب الشيعى -زى ما سبق و ذكرت-، و هى قصه فى تفاصيلها و المرويات اللى أُضيفت ليها، أشد غرابه بمراحل من القصه الأولى.

فى منتصف القرن ال19 ميلادياً تقريباً، بدأت فكرة إقتراب ظهور المهدى المُنتظر، و أقصد بيه الأمام الغائب عند الشيعة، فى الإنتشار بقوة، خاصةً مع أقتراب ما يُسمى عند الشيعة ب"العصر الألفى السعيد"، أو مرور ألف سنة على أختفاء الأمام ال12 أو محمد بن حسن العسكرى، و اللى كنا أتكلمنا عنه فى فصل سابق، و ده كان حيوافق سنة 1260 هجرياً و 1844 ميلادياً.

و حسب المُعتقد الشيعى -زى برضه ما سبق و ذكرت فى فصل سابق- أن والده الأمام الحسن العسكرى -الأمام رقم 11 للشيعه-، أخفاه عن العباسيين اللى كانوا عايزين يقتلوه، و أنه هو الأمام ال12 اللى حيظهر، و يكون الأمام الغائب و المهدى المُنتظر، و كانت سنة 1844 ميلادياً، هى السنة الموافقة لألف سنة على أختفائه.

فى الفترة دى ظهرت فرقه دينيه أسمها "الفرقه الشيخيه"، و اللى أسسها الشيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الإحسائى فى كربلاء بالعراق، و اللى كان طبعاً شيعى، لكنه أهتم بتعديل بعض المعتقدات الشيعية، و كان من بينها و من أهمها، أن الأمام الغائب مش حيظهر من الخفاء، لكنه حيعود للولاده مره ثانيه، فى صورة إنسان عادى من بين الناس.

بعد وفاة الشيخ الأحسائى سنة 1826 ميلادياً، كمل تلميذه الشيخ كاظم الرشتى من بعده، و اللى أكد أن العالم خلاص، أصبح مُهيئ لظهور الأمام الغائب و المهدى

المُنتظر، و طالب تلاميذه بالإنتشار فى البلاد، للبحث عن هذا الشخص، اللى الأمام الغائب حيعود فيه.

الشيخ كاظم الرشتى يُعتبر هو المُبشر الأول بكُل اللى حصل من بعده، لأن زى ما الديانه الجديده لم تظهر فجأةً، لكنها تمت على أكثر من مرحله، فالبدايه كانت على أيد الأمام الرشتى، اللى مهد للناس من خلال كلامه، لظهور المهدى المُنتظر و الأمام الغائب .

من بين تلاميذ الأمام الرشتى كان المُلا حسين بشروئي، و اللى كانت رحلته فى البحث عن الأمام الغائب و المهدى المُنتظر فى بلاد فارس أو أيران حالياً. حسين بشروئي وصل لمدينة شيراز فى 22 مايو سنة 1844 ميلادياً، و هناك ألتقى بشاب، شعر من أول ما قابله أنه هو المُنتظر، فدعاه لزيارة بيته.

هذا الشاب كان شاب من أسرة غنية جداً أسمه على محمد الشيرازى، مولود سنة 1819 ميلادياً، أسرته كُلها كانت بتعمل بالتجاره، والده توفى بعد ولادته بفتره قصيره. على محمد الشيرازى كان بيعمل بالتجاره مع خاله، اللى تولاه و رباه من صغره، و كان مُتزوج من خديجه، بنت هذا الخال.

بعد حوار طويل مابينهم، أستمر لأكثر من ساعتين، تأكد حسين بشروئى أن على محمد الشيرازى هو الشخص المُنتظر. طبعاً أحب أوضح نقطه مهمه، أن للشيعه أحاديث نبويه تختلف تماماً عن أحاديث السنه، لهذا السبب كان الحديث الخاص بأن أسم المهدى المُنتظر لازم يكون محمد بن عبدالله، غير موجود عند الشيعه.

فى نفس الليله أعطى على محمد الشيرازى لنفسه لقب خاص جداً و هو "الباب"، و لم يعلن وقتها على الإطلاق أنه "المهدى المُنتظر"، و الباب هنا أسم له معنى مهم جداً، حأشرحه فى وقته. على محمد الشيرازى قال أنه بيحمل رسالة روحانية لخير العالم، و بأن "البشرية تقف على أعتاب عصر جديد".

بعد هذا اللقاء، كتب على محمد الشيرازى أو "الباب"، نص أسماه "قيوم الأسماء"، و هو عباره هن تفسير لسورة يوسف، أُعتبر فيما بعد أول نصوص الديانه الجديده، اللى ظهرت أصلاً بعد موت "الباب" أو بالأصح إعدامه، لكن أُعتبر "الباب"

هو مؤسس الديانه الجديده، و حنعرف ليه فيما بعد، و أُعتبر هذا التاريخ -برضه فيما بعد- أول يوم فى التقويم الخاص بهذه الديانه.

بدأ الباب نوع من الدعوه اللى مش بتؤسس لدين جديد، أطلق عليها "الدعوة البابيه"، يبدو أنها كانت نوع من الفكر الفلسفى لتطوير الدين، أو ما يُشبه الطريقه، و دعوته تزامنت مع العصر الألفى السعيد، اللى زى ما قلنا من شوية، هو مرور ألف سنة على أختفاء الأمام ال12 الأمام محمد بن الحسن العسكرى.

بدأت الدعوه سنة 260 هجرياً أو 1844 ميلادياً، و كانت -زى ما ذكرت- دعوه مش ديانه، و كان كُل عدد تلاميذه فى هذا الوقت 18 تلميذ بس، و دول اللى أسماهم أتباع الديانه الجديده فيما بعد "حروف الحى"، و كان أولهم حسين بشروئى، و اللى تم إطلاق لقب "باب الباب" عليه، لأنه هو الباب الأول اللى مهد الطريق لظهور الباب، و بدأ ال18 تلميذ ينشُروا الدعوه فى عدد من المناطق الإيرانية و العراقيه.

طبعاً الدعوه قُوبلت بالرفض التام من رجال الدين و من السلطات، و بدأت تتم عمليه مطارده و إضطهاد للدعوه من كُل الجهات.

فى البدايه أعلن الباب أنه بتربطة بالأمام الغائب أو المهدى المُنتظر علاقة أستثنائية، و أنه حيكون الباب المؤدى لظهور الأمام، و من هنا كان أسم "الباب"، و ربما هو عمل الخطوه دى كخطوه أولى إستباقيه، علشان الناس مترفضش دعوته من البدايه، أو منعاً من أنه يواجه أى نوع من السخريه أو الرفض.

فى 22 مايو 1844 ميلادياً، و ده تاريخ مُؤسس فى الديانه الجديده، كشف الباب عن نفسه بشكل مختلف، و رجع و قال أنه هو نفسه الأمام الغائب، و المهدى المُنتظر، و أنه الباب أو المقدمة لمن يظهره الله بعده، ، و نركز على الكلمة دى كويس جداً، و هنا بيظهر المعنى الحقيقى لأختياره أسم الباب من البدايه. المُفترض حسب العقيده الإسلاميه، فالمسيح هو اللى حيظهر فى أخر الزمان بعد المهدى، فى المجئ التانى له على الأرض

أستمرت دعوة الباب و أتباعه لمدة 6 سنين، الغريب أن الدعوه لاقت إستجابه شعبيه، لكن أستمرت بالطبع مرفوضه تماماً من جهة كُل القيادات الدينية. دعوته و إنتشارها أزعجت السلطات السياسيه، اللى بدورها قامت بإعتقاله أكتر من مره.

الباب أباح كثير من المُحرمات وقتها، كان أهمها منح حريات أكبر للنساء، و فسر بعض العقائد بشكل مختلف، زى فكرة "البعث"، لكن أهم ما صرح بيه و أخطره، أنه أكد على أن الوحى الإلهى أرشده للكشف عن ظهور كتاب مُقدس جديد حينسخ القرآن، و هنا بدأت مرحلة تغيير العقيده الخاصه بنهاية الزمان فى الإسلام، من ظهور المسيح، لظهور رسول جديد بدين جديد، فهنا الباب بدأ فى عملية نسف للعقائد، بل و للدين الإسلامى ككُل.

طيب نقطة مهمة قبل ما نكمل، أزاى المسلمين -سواء كانوا سنه أو شيعه- ممكن يتقبلوا فكرة رسول و رساله جديده، خاصةً مع ما جاء فى القرآن فى الأيه 40 من سورة الأحزاب: **"مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَ لَـٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"؟**

اللى قيل وقتها من قِبل الدعوه البابيه و أتباعها، أن تفسير كلمة خاتم بمعنى "أخر" هو تفسير خاطئ، يعنى قيل أن الغلط فى التفسير، مش فى النص الأصلى.

على فكرة ما زال لحد النهارده فى ناس كتير بتُصر على تفسير كلمة خاتم بمنى الخاتم أو الحلقه، و البعض بيفسرها على أنه الختم، و فى رأى قرأته من فتره مش كبيره، بيقول خاتم النبيين مش معناه أنه خاتم المرسلين، لأن النبى غير الرسول، النبى بينبأ فقط لكن لا يحمل رساله، أما المُرسل أو الرسول، فلابد من أنه يحمل رساله، و الأيه قالت خاتم النبيين، و أنا طبعاً لا أعلم بأى تفسير منهم فسر الباب لأتباعه كلمة خاتم النبيين، لكن المُهم أنه تمكن من إقناعهم بخطأ التفسير بأن خاتم معناها أخر، و دى النُقطه اللى بدأت منها الدعوه البابيه فى التمهيد لظهور ديانه جديده و رسول جديد.

الدعوه البابيه حتى وفاة الباب، عمرها ما وصلت لدرجه الديانه، لكنها كانت تمهيد لظهور ديانه جديده، و كان أول أعلان لدعوته بشكل علنى خارج أيران أو بلاد فارس، و الغريب أن الباب بدأ هذه الدعوه من مكه، و فى قلب الحرم المكى.

بدأت هذه المرحله المهمه جداً فى الدعوه البابيه، مع سفر الباب و معاه أحد حروف الحى ال18، و هو محمد على البارفروشى صاحب لقب "القدوس"، لمكه المكرمه و المدينه المنوره فى شبه الجزيره العربيه، و فى يوم الجمعة 20 ديسمبر سنة 1844 ميلادياً، وقف الباب عند الكعبه، و قام بوضع أيديه الأتنين على حلقة بابها، و أعلن بشكل علنى: **"إنى أنا القائم الذى كنتم به تنتظرون"**، بالإضافه لأنه كتب رساله خاصه لشريف مكة وقتها، بيعلن فيها دعوته، و بيدعوه لقبولها.

طبعاً دعوة الباب لم تجد أى نوع من الترحيب هُناك، لكن فى نفس الوقت لم يتم التعامل معاه بشكل غير لائق. رجع الباب مرة أُخرى لبلاد فارس، و قرر البدء من هُناك فى نشر دعوته بشكل علنى، بعد ما كانت مُجرد دعوه سريه، و بين تلاميذه و من تبعهم فقط، طوال الفترة اللى سبقت سفره لمكه.

أفكار و دعوة الباب فى بلاد فارس، إنتشرت بشكل كبير جداً، بعد ما الباب جاهر بدعوته، و كان إنتشارها بشكل أكبر فى المُدن الصغيره، و دى نقطة مهمه جداً، و هى الفئه اللى رحبت بالدعوه الجديده. كان أغلب أتباع الباب -و اللى سموا نفسهم بالبابيين- من فئات معينة، أما تجار أو عمال و حرفيين، لدرجة وصول أتباعه بعد 5 سنين فقط، ل100 ألف تابع، و كان من أهم المبادئ اللى نادى بيها فى هذا الوقت، هى إلغاء حُكم الجهاد. خلال هذه الفترة أصدر الباب كتابه اللى كان بيحتوى على كل أحكامه و تعاليمه، و هو كتاب "البيان" سنة 1848 ميلادياً.

سنة 1849 ميلادياً، و كان مر 5 سنين على بداية دعوة الباب، بدءت السلطات الشيعية تشعُر بخطر الدعوه، و اللى أتباعها بدأوا يزيدوا بشكل كبير جداً، و علشان كده تم إعلانه من جانب الشيعه أنه من المهرطقين، و بدأت تحدُث أشتباكات واسعه بين الشيعه و أتباع الباب، فى كُل مكان هما متواجودين فيه.

لما الدوله نفسها شعرت بالخطر، و كان بيحكم بلاد فارس فى هذا الوقت الملك محمد شاه، فتم إتخاذ قرار بإعتقاله، و تم سجنه فى قلعة "ماه كوه" فى أقليم أذربيجان الفارسى، و ده غير دولة أذربيجان، و الغريب أن سجنه كان سبب فى أزدياد عدد أتباعه، خاصةً ما بين علماء الشيعه، و تم نقله من سجنه الأول، لسجنه التانى فى قلعة چهريق، و برضه كانت فى أقليم آذربيجان.

الأقليم وقتها، و طبعاً أقصد أقليم أذربيجان، كان سُنى المذهب، و كان أخر ما يتوقعه الملك فى أيران و كُل من شارك فى سجنه، أن وجوده فى السجن هُناك، حيكون له أى تأثير مُضاد، لكن حدث العكس تماماً. لما وصل الباب سجن أقليم أذربيجان، تم الترحيب بيه جداً، و أصبح سجنه مكان بيقصده الحُجاج. أثناء سجنه مات الملك محمد شاه، و تولى الأمير ناصر الدين، و كان عمره 16 سنه فقط، و كمان تولى مرزا (السيد) تقى خان الوزارة.

فى نفس الوقت اللى كان الباب مسجون فيه، قرر عدد كبير من أتباعه الأجتماع فى مدينة دشت، و كان من أهم المجتمعين، أشهر شخصية نسائية فى تاريخ الديانه الجديده، و هى السيده اللى كان أسمها فى حروف الحى"قُرة العين"، و أشتُهرت فى الديانه الجديده بأسم الطاهره، و فى نفس الوقت، كان السجن فرصه مُهمه جداً للباب، فى نشر دعوته و شرح أهدافها داخل السجن نفسه، و أعتكف على الكتابه داخل السجن، و خلال هذه الفترة وصلت الدعوه البابيه لقمتها.

جمع الباب كُل أوراقه، و أرسلها مع قلمه و الختم الخاص بيه، لمرزا (السيد) حسين على النورى، اللى كان أحد أتباعه من خارج حروف الحى ال18، و المُتواجد فى طهران، و مرزا (السيد) حسين على النورى كان أحد أتباع الباب المقربين جداً، و دى كانت إشاره من الباب لأتباعه، على قرب انتهاء مهمته و دوره فى الحياه.

بعدها بفتره قصيره، تم نقل الباب مع أربعه من أتباعه، لمدينة تبريز -برضه فى بلاد فارس-، و ده تجهيزاً لإعدامه، فى حالة لو صدرت الفتوى بذلك، و فى اليوم التالى مباشرةً لوصوله تبريز، أصدر العُلماء هناك فتواهم النهائية بإعدام الباب.

قصة إعدام الباب قصه أسطوريه جداً، نقلتها بالتفصيل من أحد المواقع البهائيه، لكن الأغرب أنى فوجئت بنفس التفاصيل مكتوبه فى ويكيبديا الإنجليزيه، و بدون تفاصيل فى ويكيبديا العربية، لكن كانت كُلها بتتكلم عن نفس الفكره، فقررت أكتبها زى ما قرأتها، بدون أى تعليق منى.

القصه بدأت يوم إعدامه، و اللى كان فى 9 يوليو 1850 ميلادياً، و بالمُناسبه، الباب كان عمره فى هذا الوقت 30 سنة فقط. الباب و أحد أتباعه من خارج حروف الحى أسمه محمد على الزنوزى، و كان مُلقب بالأنيس، و اللى أصر أنه يتم إعدامه مع

الباب، تم ربطهم على حائط ثكنه عسكريه، و قامت فرقه مكونه -كما هو مكتوب- من 750 جندى من الأرمن، أصطفوا علشان يُطلقوا النار على الباب و الأنيس، و أنا مش متخيل أزاى 750 شخص حيصطفوا علشان يطلقوا النار على شخصين بس.

قائد الفرقة، و اللى كان مسيحى زى باقى الفرقه، و كان أسمه سام خان، كان مُتردد فى تنفيذ الحكم، و ده بسبب خوفه من أحتمالية السُخط الألهى، لأنه كان خايف أن الباب يكون فعلاً هو المهدى المُنتظر أو مسيح أخر الزمان، فالباب قاله: **"اعمل بما أُمرت به، و إن كانت نيتك صادقه، فإنَّ الله العلى القدير قادر على إزالة حيرتك وارتباكك"**.

بعد أطلاق النار من ال750 جندى، طبعاً ظهرت شبوره من الدخان نتيجه هذا الكم من البارود، لكن بعد ما أنقشع الدخان، فوجئ جميع الحاضرين -سواء الجنود أو المشاهدين اللى أصطفوا علشان يحضروا إعدام الباب-، بشئ غريب جداً، أن الأنيس كان واقف جنب الحائط بدون أى إصابات، أما الباب فلم يكُن موجود نهائياً، و كانت كُل الحبال اللى أتربط بيها الأتنين مقطوعه تماماً.

بدأ البحث عن الباب فى كُل مكان، لكن عايزك تفكر معايا هما ممكن يكونوا عثروا عليه فين؟ وجدوه فى نفس زنزانته، كان قاعد جنب الشخص اللى كان بيكتبله وحيه، و كان الباب بيُمليه أخر كلماته، و هو فى حاله من الهدوء و السكينه. الناس هاجت فى الميدان اللى تمت فيه مُحاولة الإعدام، و أعتبروا أن ما حدث هو معجزه سماويه إلهيه، فى نفس الوقت رفض سام خان قائد الفرقه العسكريه الإستمرار، بعد ما تقرر إعادة مُحاولة إعدام الباب مره أُخرى.

أتغيرت تماماً الفرقه المكلفه بإعدامه، المره دى كانت الفرقه كُلها من المسلمين، و تم تنفيذ عملية الإعدام بنفس الطريقه، و فى هذه المره، أخترقت الرصاصات أجساد الباب و الأنيس و مات الأتنين، و كانت أخر كلماته للجمهور: **"أيها الجيل الملتوى، لو أمنتم بى، لإحتذى كُل واحد منكم حذو هذا الشاب الذى هو أعظم منكم شأناً، لأقبل راضياً مختاراً على التضحية بنفسه فى سبيلى، و سيأتى اليوم الذى فيه تؤمنون بى، و عند ذاك لن أكون معكم."**

لو ركزنا فى الكلمات المنسوبه للباب قبل إعدامه، حنجدها شديدة القرب من كلمات المسيح و طريقته، فربما تم نسب هذا الكلام له، أو ربما هو قاله بالفعل و كان مُتأثر بأقوال المسيح.

طبعاً أنتشرت أخبار قصة إعدام الباب، داخل بلاد فارس و خارجها، و كانت النتيجه زيادة عدد أتباعه بشكل كبير جداً، و طبعاً أنا نقلت القصه من أكثر من صفحه بهائيه و من الويكيبديا، بدون أى تعليق منى عليها.

قبل ما أنهى هذا الجزء، أحب أوضح أن قصة إعدام الباب، لم تكُن أخر قصه غريبه فى حكايته. بعد إعدامه، نُقلت رفاته و رفات الأنيس، لحافة خندق خارج مدينة تبريز، و فى الليلة التاليه لإعدامه، إستطاع بعض البابيين تخليص الجسدين فى مُنتصف الليل، و تم نقل و أخفاء الجسدين لمدة حوالى 60 سنة، فى أماكن سريه مُختلفة فى بلاد فارس، و فى النهايه، أستطاعوا مره تانيه الوصول بالجسدين بصعوبه بالغه و فى مخاطره كبيره جداً لفلسطين، و تم دفنُهم يوم 21 مارس 1909، على سفح جبل الكرمل فى مدينة حيفا، و أصبح فى هذا المكان مقام بيُسمى حالياً ب"ضريح الباب"، بالقرب من كهف إيليا النبى.

قصة أشهر من أعلن نفسه "المهدى المُنتظر" فى التاريخ الإسلامى الشيعى خلصت، و دى اللى كانت تهمنى فى هذا الفصل، لكن ما بعدها لم ينتهى، لأن مرزا

(السيد) حسين على النورى، و اللى قام الباب بإرسال قلمه و أوراقه أثناء وجوده فى السجن له، أعتبر أن إرسال الأوراق و القلم هى أشاره له بأنه هو الرسول الجديد، و اللى الباب كان بيمهد الطريق لظهوره، و بالفعل، بعد أقل من سنتين، أعلن مرزا (السيد) حسين على النورى رسالته، و أطلق على نفسه "بهاء الله"، و من هنا بدأت الديانه البهائيه، و دى لها قصه لا تقل غرابه عن قصة الباب.

****

عشرات الشخصيات على مر التاريخ أدعت المهداويه، كتير منهم مر تاريخياً بدون أى ذكر، و قليل جداً اللى كان لهم بصمه، حتى لو كانت بصمه سيئه، زى الحاله الأولى اللى ذكرتها، الخاصه بجهيمان العتيبى و محمد بن عبدالله القحطانى، أو كان تأثيرها غريب و غير متوقع، زى حالة الباب، لكن أن تأثيرها يكون إبجابى، فهو ده الشئ الغير متوقع، لكن ده حصل بالفعل، و دى قصة الحاله التالته من مُدعى المهداويه، و اللى بتدور كُل أحداثها فى السودان، و كانت أحداثها زى قصة الباب، بتدور خلال القرن ال19 ميلادياً.

وُلد محمد المهدى سنة 1258 هجرياً، الموافقه سنة 1843 ميلادياً، أسم الأب كان عبدالله، و أسم الأم كان زينب، و كان من الأشراف، من نسل الحسن بن على بن أبى طالب، و كانت ولادته فى دنقله بالسودان، و طبعاً جزئية الأسم "محمد" و أسم الأب "عبد الله"، مع كونه من نسل الحسن بن على، هى من أهم صفات المهدى بالنسبه للمُسلمين السُنه.

رحل عبد الله والد محمد المهدى من دنقله، بعد ما أصبحت جدباء تماماً، و طبعاً كان معاه زوجته و أولاده التلاته، من بينهم محمد المهدى بالطبع، لمدينة كررى فى شمال السودان. تُوفى عبدالله بعد فتره مش كبيره، و كانت الأم حامل فى طفل رابع، سُمى عبدالله على أسم والده.

أُسرة محمد المهدى كانت بتعمل فى صناعة المراكب، لكنه ميول محمد كانت تجاه الدين، و بدأ يسلُك طريق الزهد، و كان رافض للأوضاع السياسيه فى السودان، لدرجة رفضه الأكل مع شيخه "محمد الخير"، لأن الحكومه هى اللى كانت بتُرسله هذا الأكل.

بدأ محمد المهدى يسلُك طريق المُريدين، فأذن له شيخه محمد الخير فى التحرك كيفما شاء لنشر طريقته، فتحرك أولاً للخرطوم و هناك تزوج من بنت عمه سنة 1871 ميلادياً، بعدها إتجه مع أسرته كُلها لجزيرة أبا، و بجوار بيوت الأسره، قام محمد المهدى ببناء جامع هُناك فى الجزيره.

بدأ محمد المهدى فى نشر دعوته و طريقته بأسلوب أكثر عمليه، و بالفعل بدأ كتير من الناس هُناك يطلبوا العهد منه، و طلب العهد فى الطرق الصوفيه، هو طلب للإنضمام للطريقه، و الإلتزام التام بيها، و عدم إتباع أى طريقه غيرها. من بين من طلبوا العهد من أهالى لجزيره، كان على ود الحلو، اللى أصبح فيما بعد، الخليفه التانى لمحمد المهدى.

فى نفس الوقت كان محمد المهدى على تواصل مع أحد شيوخه القُدامى، و اللى لما عرف بنشره للدعوه المهديه، بدأ يكون أحد عيون الحكومه على الحركه أو الدعوه الوليده، لكن الحكومه فى البدايه لم تهتم، بإعتبار أن محمد المهدى هو مجرد درويش، زيه زى غيره، و بالمُناسبه، فالسودان فى هذه الفتره كانت عباره عن مجموعه من الممالك و التظيمات الساسيه المُستقله، لكن فى نفس الوقت كانت تحت حكم أسرة محمد على، اللى حكمت مصر و من بعدها السودان.

بدأت شُهرة محمد المهدى فى الذيوع، و بدأت دعوته فى الإنتشار، و فى جزيرة أبا حفر لنفسه غار تحت الأرض للتعبد، و ده طبعاً إقتداءاً بالرسول، و كان الغار هو مقر مُقابلاته مع مُريديه، لكن كان كُل فترة بيخرج فى رحلات لنشر دعوته فى أنحاء السودان، و بدأ الناس، اللى كانوا بيعانوا بالفعل من حالة ظُلم من حكومة محمد على، فى التظلم له، و إعتباره المُنقذ اللى حيُنقذهم من ظُلم و فساد الحكومه، و ضغطها الشديد على المُجتمع السودانى عن طريق الضرايب.

فى أحد الأيام وفد عليه شخص أسمه عبد الله التعايشى. عبد الله التعايشى أول ما شاف محمد المهدى، وقع على الأرض فى حالة إغماء، و أستمر لمدة ساعه فى هذه الحاله. لما فاق و شاف محمد المهدى مره تانيه، وقع و أغُمى للمره التانيه.

لما فاق عبدالله التعايشى، قام و قبّل يد محمد المهدى و هو بيبكى، فلما سأله محمد المهدى هو مين، جاوب عبدالله بعد تعريف نفسه، بأنه حضر لطلب العهد

من محمد المهدى، و أن أبوه كان أحد الصالحين من أهل الكشف، و كان أبوه قاله قبل وفاته أنه حيُقابل المهدى، و أنه حيكون وزيره، و أن هذا الأب بلغه بعلامات المهدى و صفاته، فلما شاف عبدالله محمد المهدى، وجد فيه كُل العلامات اللى بُلغ بيها من أبوه، و أنه لم يتمكن من تمالُك نفسه، لما شاف مهدى الله، و خليفة رسول الله.

طبعاً الكلام لقى صدى عند محمد المهدى، اللى كان مُعتقد فى نفسه المهداويه، لكن مكنش قادر يصرح عن نفسه بشكل علنى، و ده بيطابق تفاصيل قصة الباب بالضبط. بعد هذه الحادثه صرح محمد المهدى بأنه المهدى المُنتظر لأتباعه، و خرج معاهم فى إتجاه الغرب. فى البدايه بدأ فى نشر دعوته سراً، لكن بالتدريج بدأ فى الجهر بيها، و للمره التانيه أتبع نهج الرسول، عن طريق إرساله رسائل لمشايخ القبائل بيقول فيها:

" إننى رأيت النبي ﷺ بعينى رأسى يقظة، فأجلسني على كرسيه و قلَّدنى سيفه، فغسل قلبى بيده وملأه إيماناً وحكماً و معارف منيعه، و أخبرنى بأننى الخليفة الأكبر و المهدى المنتظر، و أن من شك فى مهديتى فقد كفر، و من حاربنى خُذل فى الدارين."

و من رسائله الأُخرى حأقتطع الجزء ده:

"و أخبرنى سيد الوجود ﷺ بأننى المهدى المنتظر، وخلفنى عليه الصلاه و السلام بالجلوس على كرسيه، مرارًا بحضرة الخلفاء الأربعه و الأقطاب و الخضر -عليه السلام- و أيدنى الله تعالى بالملائكة المقربين، و بالأولياء و الأحياء و الميتين، من لدن أدم إلى زماننا هذا، و كذلك المؤمنون من الجن، و فى ساعه الحرب يحضر معهم إمام جيشي سيد الوجود ﷺ بذاته الكريمه، و كذلك الخلفاء الأربعه و الأقطاب و الخضر -عليه السلام-، و أعطانى سيف النصر من حضرته ﷺ، و أُعلمت أنه لا ينصر علىَّ معه أحد، و لو كان الثقلين الأنس والجن.

ثم أخبرني سيد الوجود ﷺ بأن الله جعل لك على المهديه علامه، و هى الخال على الخد الأيمن، و كذلك جعل لى علامة أخرى، تخرج راية من نور، و تكون معى

فى حالة الحرب، يحملها عزرائيل -عليه السلام-، فيثبِّت الله بها أصحابى، و يُنزل الرعب فى قلوب أعدائى، فلا يلقانى أحد بعداوة إلا خذله الله."

قرر محمد المهدى نقل دعوته لمُستوى أكبر، فأرسل رساله لمحمد رؤوف باشا حكمدار السودان سنة 1881 ميلادياً، بيدعوه فيها هو و أتباعه بدعوته المهديه. محمد رؤوف باشا أرسل محمد أبو السعود بك لجزيرة أبا، لإقناع محمد المهدى بالعدول عن دعوته، و طبعاً محمد المهدى رفض تماماً، فقرر محمد رؤوف باشا إرسال قوات من الجنود مع محمد أبو السعود بك للقبض على محمد المهدى، و هنا بدأ محمد المهدى المرحله التانيه من حياته و دعوته، و هى المرحله العسكريه، لأنه أستطاع مع أتباعه هزيمة محمد أبو السعود بك و قواته، و دى كانت بداية دخول المهدى فى المرحله العسكريه.

ترك محمد المهدى بعدها مكانه فى جزيرة أبا، و توجه لمنطقه جبليه عند جبلى ماسه و قدير، فى منطقة فاشوده، و فى طريقه للإستقرار فى المنطقه، أنتصر عسكرياً على ملك أسمه المُختار، لأن -زى ما قلت-، السودان كانت عباره عن مجموعه كبيره من الممالك، تم حكمها من قِبَل أسرة محمد على، بنفس تكوينها الديموجرافى.

بنى المهدى هُناك مسجد، و أقام منطقه سكنيه له و لأتباعه، و خلال هذه الفتره، هاجم راشد بك مدير منطقة فاشوده، محمد المهدى و أنصاره، و برضه أنتصرت قوات محمد المهدى، بل و تمكنوا من الحصول على غنائم من قوات راشد بك، كانت فى صورة أسلحة و أموال.

بدأ محمد المهدى يتشبه تماماً بكُل أفعال الرسول، فعين لنفسه أربع خلفاء يخلُفوا من بعده، كُل واحد منهم أُعتبر خليفه لأحد خلفاء رسول الله الأربعه، و أنشأ بيت للمال، و بدأ فى تكوين مُجتمع مدنى عسكرى مُتكامل، فيه هيئه للقضاء، و كون جيش كامل من أتباعه، و قسمه ل3 أقسام، كُل قسم توجه لمنطقه من مناطق السودان، و كانت رايات جيشه مكتوب عليها **"بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، محمد المهدى خليفة رسول الله، يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام،"**.

بدأت دعوة المهدى تكبر و تنتشر فى سائر أنحاء السودان، و أعتقد عدد كبير جداً من السودانيين أنه بالفعل المهدى المُنتظر، و فى منطقة كُردفان بدأ عدد أتباعه فى الزياده بشكل كبير، و كان محمد سعيد باشا وقتها هو مدير منطقة كُردفان.

فى سنة 1882 ميلادياً، وصل المهدى بالقرب من مدينة الأُبيض فى منطقة كُردفان، و أرسل 2 من رجاله لمحمد سعيد باشا يطلبوا منه التسليم، فقرر محمد سعيد باشا قتلهم، و ده كان سبب فى بدء الأهالى فى مُبايعة المهدى سراً، فقام المهدى بحفر خندق حول مدينة الأُبيض، و قام بمحاصرتها بشكل كامل.

بسبب الحصار، وقعت مجاعه فى المدينه، كان من نتيجتها أنه فى يوم الجمعه 19 يناير 1883 ميلادياً، بايع محمد سعيد باشا و ضباطه محمد المهدى، لكن رفض تسليم أمواله له، فقام محمد المهدى بقتله هو و كبار ضباطه، و فى أغلب الظن أن قتل محمد المهدى لهم، كان رداً على قتل رُسله من قِبَل محمد سعيد باشا.

بريطانيا أحتلت مصر سنة 1882 ميلادياً، و من هنا بدأ ظهور البريطانيين فى السودان، لحد ما تم إحتلال السودان تماماً من قِبَل بريطانيا سنة 1899 ميلادياً. لكن فى سنة 1883 ميلادياً، عُين الجنرال هكس باشا البريطانى، كقائد عسكرى فى السودان مع علاء الدين باشا حاكم السودان الجديد، و فى 5 نوفمبر سنة 1883 ميلادياً كانت واقعة شيكان، اللى أنتصرت فيها جيوش محمد المهدى على جيوش هكس باشا، و قُتل فى المعركه، و دى كانت بدايه مرحله جديده من مراحل حياة محمد المهدى.

مش عايز أستفيض فى معارك محمد المهدى، لكن أوصل لأهمها على الإطلاق، و هى المعركه اللى خلدت محمد المهدى فى تاريخ السودان ليومنا هذا، و بتبدأ القصه بتعيين الخديوى فى مصر لجوردون باشا كحاكم عام على السودان سنة 1885 ميلادياً، و اللى كان بيمارس مهنة تجارة الرقيق من السودان لمصر، و كُنت أتكلمت عنها فى الكتاب السابق، و أستقر جوردون باشا فى العاصمه "الخرطوم"، و كانت قوات المهدى وصلت لدرجه من القوه، أنها تمكنت من حصار مدينة الخرطوم، بعد ما سيطرت على مدينة أم دُرمان المُلاصقه للخرطوم.

أرسل محمد المهدى لجوردون باشا لتسليم الخرطوم، و الحصار طال، و بدأت المجاعه تضرب المدينه، و كان للخرطوم خندق، هو أشبه بمدخل سرى، من الصعب الدخول منه غير فى حالة إنحسار مياه النيل الأبيض.

و بالفعل تمكن رجال محمد المهدى من الدخول وقت الإنحسار، و قتلوا تقريباً جميع قوات الجيش هناك، وصولاً لجوردون باشا، اللى تم قطع رأسه، و طبعاً دخل رجال محمد المهدى مدينة الخرطوم و سيطروا عليها، و تم الأستيلاء على كُل شئ هناك كغنائم، ده غير الأسرى اللى تم أسرهم.

بعد سقوط الخرطوم، أصبحت السودان كُلها تقريباً فى أيد محمد المهدى، و اللى تمركز فى أُم دُرمان، و قام بصك عمله سودانيه، و قام بجمع الزكاه من المسلمين، و العُشور من المسيحيين.

كانت خطوة محمد المهدى التاليه المُفترضه هى غزو مصر، فأرسل المهدى كتاب للخديوى كان من بين نصه:

" بسم الله الرحمن الرحيم، و بعد، فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدى بن عبد الله إلى والى مصر، لا يخفى على مَن نوَّر الله بصيرته و شرح صدره، أن الدين الذي يكون المتمسك به ناجيًا عند الله هو دين الإسلام، الذى جاءنا به نبينا محمد ﷺ.

و قد حررت إليك هذا الكتاب و أنا بالخرطوم، شفقةً عليك و حرصاً على هدايتك، فأرجو الله أن يشرح صدرك لقبوله، و يدلك على صلاحك و رشادك فى الدارين، و ها أنا قادم على جهتك بجنود الله عن قريب إن شاء الله تعالى، فإنّ أمر السودان قد إنتهى، فإن بادرتنى بالتسليم لأمر المهدية و الإنابة إلى الله رب البرية فقد حزت السعادة الأبدية، و أمنت على نفسك و مالك و أرضك، أنت و كافة من يجيب دعوتنا معك، و إن أبيت بعد هذا إلا الإعراض عن طريق الفلاح والرشاد، فإنما عليك إثمك و إثم من معك، و لا بد من وقوعك فى قبضتنا، و لو كنت فى بروج مشيدة، و هذا إنذار منى إليك، و فيه الكفاية لمن أدركته العناية، و السلام على من اتبع الهدى."

قبل تحقيق طموحه الجديد، أُصيب المهدى بنوع من الحمى تُعرف فى السودان ب"باب الدم"، و مات يوم الأتنين 9 رمضان 1302 هجرياً، الموافق 22 يونيو 1885 ميلادياً، و تم حفر قبره فى نفس مكان السرير اللى كان بينام عليه، و بدأ السودانيين فى مبايعة خلفاؤه من بعده، وهُناك إشاعه بتقول أن محمد المهدى تم تسميمه، زى كتير من الأشاعات الغير مؤكده عن موت كتير الزعماء و برضه من الأنبياء، عن طريق دس السُم فى الأكل.

قصة محمد المهدى بالرغم من كُل ما فيها من سلبيات، سواء بإدعاء المهداويه، أو بكمية القتل و المجازر اللى كانت فيها، لكنى قلت من البدايه أنها كانت المره الوحيده اللى كان إدعاء المهداويه فيها إيجابى، لأنها وحدت ممالك و قبائل السودان لأول مره من قرون، و لولاها لما توحدت السودان و أستقلت فيما بعد، و أستطاعت إخراج المُستعمر البريطانى بعد دخوله السودان سنة 1889 ميلادياً، و لولا تصديق الناس لمحمد المهدى على أنه المهدى المنتظر، لما كان وصل لهذه الدرجه من القوه و السيطره. السودانيين أتبعوه لأنه المهدى، مش لأنه حاكم عسكرى أو قائد، و بغض النظر عن خطأ الإعتقاد، لكنه فى النهايه وحد قبائل و ممالك السودان المتصارعه من قرون، عمل دوله أسمها السودان، و لهذا السبب، فالمهدى حتى يومنا هذا، هو أهم شخصيه سودانيه فى التاريخ الحديث، و واحد من أهم الشخصيات المؤثره عبر التاريخ السودانى ككُل

****

فى ختام هذا الفصل، أنا كنت عايز أوضح من خلال أشهر 3 نماذج أعلنوا أنفسهم ك"المهدى المُنتظر"، و التلاته كان لهم أثر تاريخى كبير جداً، منهم الممتد حتى يومنا هذا، و منهم اللى أحدث تغيير لعقود، أن ظهور هذه النماذج هو نتيجه طبيعيه لإيمان بعقيده تعدت الحدود المطلوبه، و الأغرب أن كُلاً من الشخصيات التلاته لم يدعى بنفسه أنه هو المهدى المُنتظر فى البدايه، لكن تم الأدعاء من خلال غيره، و درجة تصديق النفس هنا بتكون أعلى، لأن الشخص لو أدعى بنفسه، ممكن تكون عنده شكوك و وساوس، إنما أعتقاد الناس بيه، حتى لو هو نفسه لم يكُن عنده هذا الإدعاء من قبل، فده ممكن يوصل هذا الشخص لدرجه أعلى بكتير من تصديق النفس، و التصرف بأنه بالفعل هو المهدى المُنتظر.

و زى ما ذكرت فى قصة الباب، فالبدايه كانت بالفعل من رحم الأسلام، حتى لو كان بيدعى المهداويه، لكن كان إدعاءه من داخل الدين الأسلامى، لكن فى كتير من القصص عبر التاريخ، لما بيبدأ هذا الشخص فى النجاح فى إدعاءه، بيبدأ يكبر الموضوع معاه، فبيتحول لمرحله أكبر، بتخرج عن الأطار الأساسى المحدد للأدعاء الأول تماماً، و الدخول فى مرحله أعلى.

الباب و محمد المهدى و محمد عبد الله القحطانى، لم يكونوا الأوائل و لا الأواخر، و بالمُناسبه فهُناك قصه شبيهه بشكل كبير جداً بقصة الباب حدثت فى الهند، بعد قصة الباب بحوالى 45 سنه، من خلال مرزا (السيد) غلام أحمد، و اللى أدعى عن نفسه كُل حاجه، أدعى أنه المهدى المُنتظر، و الرسول الجديد، و المسيح المُنتظر أخر الزمان، كُل ده فى نفس الوقت، علشان تنشأ معاها ديانه جديده أُخرى من رحم الأسلام أسمها "الأحمديه القاديانيه".

طبعاً كُل ده ناتج من عشرات المرويات، اللى تعدت فى تفاصيلها كُل حدود العقل و المنطق، و بالرغم من أن أكتر من 99% من البشر بيكونوا فى الأغلب متلقى سلبى، و فى إنتظار الشخص الأسطورى اللى حييجى يحللهم كُل مشاكلهم، لكن الأقل من ال1% الباقيين، بيكون عندهم حلم البطوله، بيكون جواهم هذه النزعه لأنهم يكونوا أبطال و زعماء، حتى لو كانت بطوله أو زعامه زائفه، و طبعاً خارج الأمثله التلاته اللى تعمدت أنى أُسهب فى شرحها، كان فيه العشرات و يمكن المئات من الناس، اللى أدعت أنها المهدى المُنتظر، لكن حجم تأثيرهم أو تصديق الناس لهم، لم يكُن له أى تأثير، و حيفضل حلم إنقاذ العالم من شرور ما قبل النهايه، يراود عقل كتير من الناس، فى كُل أنحاء العالم.

قبل ما أختم الفصل ده، أحب أؤكد أن أيران حالياً فى إنتظار المهدى المُنتظر، الدوله مُتأكده من ظهوره خلال هذه الفتره، و فيه ناس كتير -

بعيداً عن الدوله- أعلنت عن ظهوره بالفعل، و فى الصوره لقطه من مدينة ياسوج بجنوب غرب إيران، الجموع فيها بتحمل شخص بتعتقد الناس أنه المهدى المُنتظر، هذه الصوره خلال شهر مايو 2024، و لا أعلم إذا كان المهدى اللى بتنتظره الدوله الأيرانيه، هو نفسه هذا المهدى و لا لأ، لأن أيران مش بتحضر فقط لظهوره، لكن الأهم أنها بتحضر لما بعد ظهوره.

25 مايو 2024

"نبوءة من كوكب كلاريون إلى المدينة: إهربوا من هذا الطوفان، سوف يغرقنا فى 21 ديسمبر" إعلان منشور فى جريدة Tribune ديسمبر 1954

رسائل من عوالم أُخرى

زى ما أتكلمت فى الفصل السابق عن نموذج من نماذج الإيمان بعقيدة "قيام الساعه"، و اللى وصّلت عدد كبير جداً من البشر لإنتظار حدوث هذه العقيده فى أى لحظه، و للأسف فقطاع كبير جداً من البشر، ما بين النموذجين البشرين اللى ذكرتهم فى الفصل اللى فات، نوع مُنتَظر حدث يغيرله حياته، فبيدور ما بين الأخرين على من يصلح، و النوع ده مثله جهيمان العتيبى و حسين بشروئى و عبد الله التعايشى، و للأسف هذا النوع من البشر هو اللى بيصنع النوع التانى من المُدّعين، اللى بعد كده بيصدقوا أنفسهم، و بيوصل بيهم التصديق لدرجات أعلى بكتير من المُتوقع، فبتكون النتائج -زى ما ذكرت فى الفصل السابق-، دائماً مليئه بالكوارث أو على الأقل المشاكل، اللى ممكن أثارها تستمر لعقود، و يمكن قرون.

فى هذا الفصل حنروح للجانب الأخر من كُل شئ، لأن هذا النوع من الأيمان المُتعصب ليس له دين، و لا وطن، و لا مستوى ثقافى، و لا جنس، لأن كُل هذه الأفكار البشريه ماهى إلا نتاج الحضارات و الثقافات البدائيه، فما زال هُناك فى كُل مكان فى العالم، هذه النماذج المتعصبه عقائدياً، و اللى لسه فيه ناس بتصدقهم، و يمكن أنا بالنسبالى النماذج اللى حأذكرها فى هذا الفصل، هى أشد غرابه بكتير جداً، من النماذج اللى ذكرتها فى الفصل السابق.

****

واحد من أشهر النماذج فى التاريخ البشرى، هو النموذج اللى حأتكلم عنه دلوقتى، هذا النموذج أتكتب فيه عدة كُتب، لكن أهم و أشهر كتاب كان اللى كتبه مجموعه من الأطباء النفسيين الأمريكيين اللى عايشوا التجربه و رصدوها. الأطباء التلاته كانوا فى الأساس بيعملوا دراسات على مدى تأثير عدم تحقق النبؤات على المؤمنين بيها، و أثناء أنشغال المجموعه، و اللى كانت مُكونه من الأطباء ليون فستينجر، هنرى رينكن، و ستانلى شاختر بتجاربهم على تأثير عدم تحقق النبؤات، وقعت أعينهم على مقال أشبه بإعلان فى منتهى الغرابه، كان فى أحدى الجرائد المحليه أسمها

"Chicago Daily Tribune"، و كان عنوانه **"نبوءة من كوكب كلاريون إلى المدينة: إهربوا من هذا الطوفان. سوف يغرقنا فى 21 ديسمبر"**.

فى البدايه و قبل ما أستمر فى القصه، أحب أنى ألفت نظرك لكلمة "الطوفان"، و اللى سبق و ذكرناه فى فصل سابق، الطوفان اللى كان فى جميع الحضارات و الأديان، بيُمثل نوع من الأنتقام و الغضب الآلهى، و أحد أهم أشكال نهاية العالم فى أغلب الحضارات الإنسانيه القديمه، بالإضافه لكونه واحد من أهم الأحداث الدينيه التاريخيه فى كافة الأديان، إبراهيميه أو غير إبراهيميه.

المقال أو الإعلان، كتبه طبيب من ميتشيجان أسمه تشارلز لافهيد، بُناءً على نبؤه من سيده تُدعى "دوروثى مارتين"، الكلام ده كان فى أواخر أغسطس 1954، و دوروثى كانت سيده بُتمارس نوع من "الكتابه التلقائيه"، و الكتابه التلقائيه مفهومها هو بالضبط "الوحى"، بمعنى أن الشخص بيكتب كلام بيُملى عليه من قوى خارجيه، و طبعاً و فى الأغلب غير مرئيه، و من الواضح من عنوان الخبر أن من يُملى عليها هذا الوحى، كانت قوه خارجيه من الفضاء، من كوكب أسمه "كلاريون".

أعتبر الأطباء الثلاثه أن هذا الموضوع يُعتبر فرصه لا يجب إنها تضيع منهم، لعمل دراسه ميدانيه و على أرض الواقع لدراسة نظريتهم، و خاصةً بعد ما أكتشفوا أن أعداد المؤمنين بكلام دوروثى مش قليلين، فقرر الأطباء التلاته أنهم يتسللوا من بين أتباع دوروثى، و يعيشوا معاهم تجربة 21 ديسمبر 1954 ميلادياً بنفسهم.

****

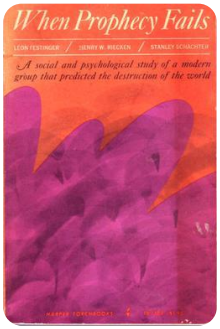

فى كتابهم "When Prophecy Fails" أو "عندما تفشل النبؤه"، اللى صدر سنة 1956 ميلادياً، كتب الأطباء التلاته تجربة دوروثى مارتين بشكل مفصل جداً، لكن أستخدموا أسم مُستعار لها و هو ماريان كيش. الكتاب حكى التجربه من قلب الحدث، لأن الأطباء النفسيين التلاته، قدروا يزرعوا أشخاص من بين المؤمنين بدوروثى، علشان يقدروا يوثقوا الحدث لحظه بلحظه.

القصه بتبدأ فى أحد أيام سنة 1954 ميلادياً، لما بتصحى دوروثى فى بيتها فى منطقة "أوك بارك"، و هى ضاحيه تابعه لمدينة شيكاغو بولاية إلينوى. قامت دوروثى من نومها و هى بتشعُر بألم، و شئ أقرب للى بنسميه التنميل فى أيدها، مكنتش فاهمه السبب، لكنها لقت نفسها بفعل قوه لا إراديه، بتمسك قلم رصاص كان على الكومود اللى جنب السرير، و بتكتب كلام هى مش عارفاه، حتى الخط نفسه لم يكُن خطها.

لما طلبت دوروثى من القوه الخفيه اللى فرضت عليها الكتابه تقولها هى مين، كانت الإجابه بأن القوه اللى أجبرتها على الكتابه كانت بتُمثل والدها المُتوفى، و اللى كتب من خلالها رساله لأم دوروثى بيوصيها فيها تهتم بالزرع الموجود فى بيتهم.

التجربه الغريبه اللى مرت أو شعرت بيها دوروثى، جعلتها تعتقد أنها ممكن تتواصل و تكون وسيط بين الأرض و بين كائنات من عوالم أخرى، و هذا الأحساس وصلها بسبب هوس دوروثى بهذا المجال من فتره غير قصيره، و برضه بسبب حالة التدين الشديده اللى كانت دوروثى عايشاها، و من هنا بدأت تشعُر أنها بتتواصل مع كائنات من كواكب تانيه، و أنهم بيملوها رسائل موجهه للبشريه جمعاء على كوكب الأرض.

بدأت دوروثى تُعلن أنها بتتلقى رسائل من المسيح اللى بيعيش حالياً فى كوكب أسمه كلاريون، و أن أسمه هناك ساناندا، اللى بلغها أنه هو و أتباعه حيتواصلوا معاها، بهدف نشر مبادئه و تعاليمه، اللى هدفها كان الأرتقاء بالجانب الروحى داخل كُل إنسان.

بدأت دوروثى، و اللى كان عندها وقتها 54 سنه، و كانت ربة منزل، تبلغ أصدقائها و جيرانها القريبين عن تجاربها، و بدأت شهرة دوروثى تنتشر بين أهالى المنطقه، و كان أكتر من أهتموا بيها، الشباب اللى كانوا فى مرحلة المراهقه، و اللى شدتهم فكرة العوالم الأخرى و سفن الفضاء.

بدأت مجموعه صغيره مُكونه من دوروثى و بعض السيدات من أصدقائها، و بعض الأخرين، و كان على رأسهم الطبيب تشارلز لافهيد و زوجته و أولاده، و اللى كانوا بيسافرولها مخصوص من ولاية ميتشيجان تتكون، المجموعه دى أطلقت على نفسها أسمين، الأول كان، "The Seekers" أو "الباحثين"، و التانى كان

"Brotherhood of the Seven Rays" أو "أخوية الأشعه السبعه"، و بدأو فى الأجتماع بشكل دورى و مستمر، و كانت دوروثى أثناء الأجتماعات، بتتلقى أوامر من الفضائيين، و اللى أطلقوا على أنفسهم أسم "The Guardians" أو "الحراس"، و كانت دوروثى بتقوم بعد تلقيها الأوامر أثناء الأجتماع، بمُهمة تبليغ باقى المجموعه بالأوامر دى.

المجموعه التانيه من أتباع دوروثى أُطلق عليهم أسم "The believers" أو "المؤمنين"، و دول كانوا المجموعه اللى بدأت تأمن بدوروثى من خارج دائرة "الباحثين"، و كان تقريباً إجمالى عدد المجموعتين لا يتعدى العشرات، لكن كان تأثيرهم كبير و قوى جداً خلال هذه الفتره القصيره من سنة 1954 ميلادياً.

دوروثى خلال هذه السنه، و اللى تقريباً دارت خلالها كُل الأحداث، أهتمت بشكل كبير بنقل خبراتها بشكل مُبسط للأطفال، فبدأت تجمع أطفال المنطقه، سواء بشكل جماعى أو فردى، و تحكيلهم عن الفضائيين، لدرجة أن كتير منهم بدأ يُطلب منها السفر للفضاء، و دى نقطه حأرجع لها مره تانيه، لأن كان لها دور مهم فى نهاية قصة دوروثى.

فى صباح يوم 23 يوليو 1954، وصلت رساله لدوروثى من "الحراس"، بيطلبوا منها ضرورة تجميع مجموعة "الباحثين"، لأن سفينة فضاء حتهبط خلال النهار علشان تُقلهم لكوكب كلاريون، و حيكون مكان الهبوط قريب جداً من بيت دوروثى.

دوروثى و مجموعة الباحثين، اللى كانت فى حدود ال12 شخص، أجتمعوا و توجهوا لقاعده جويه قريبه من بيت دوروثى، كانوا مُعتقدين أن هذه القاعده حتكون هى مكان هبوط سفينة الفضاء، لكن بالطبع، لم يحدُث أى شئ.

فى طريقهم كان ظهر لهم شخص غريب مُشرد بشكل مفاجئ، له نظراث ثاقبه، رافض أى أكل أو شرب تم تقديمه له، و أختفى بشكل مفاجئ زى ما ظهر، و بعد فتره، لكن خلال نفس اليوم، وصلت رساله لدوروثى بأن هذا الشخص كان ساناندا، لكنه كان مُتخفى علشان يتمكن من مراقبتهم، و ده بالنسبه لدوروثى كان خبر سعيد جداً، ضيع أى شعور بخيبة الأمل اللى أصابتهم جميعاً.

فى أواخر شهر أغسطس، رجع ساناندا مره تانيه للتواصل مع دوروثى، لكن كانت رسالته هذه المره قصيره و مقتضبه و حاسمه، و كانت عباره عن نوع من التحذير بأن طوفان ضخم على وشك تدمير العالم، و أن يوم قيامة الرب قريب جداً. الرساله تضمنت برضه أن الحراس من أتباع ساناندا، حينزلوا الأرض و يُنقذوا المختارين اللى أمنوا و صدقوا و عملوا بالتعليمات اللى كانت بتوصل لهم من خلال دوروثى، و حينقلوهم معاهم لكوكبهم "كلاريون"، عن طريق سفينة فضاء، قبل حدوث الطوفان مباشرة.

الطوفان كان مُحدد له يوم 21 ديسمبر، و من هنا كان سبب نشر الطبيب الطبيب تشارلز لافهيد الخبر فى الجريده المحليه. طُلب من مجموعة "الباحثين" أنهم يكونوا فى حالة إستعداد دائم لعملية إنقاذهم فى أى لحظه.

MRS. DOROTHY MARTIN
Tells of outer space messages.

DOCTOR WARNS OF DISASTERS IN WORLD TUESDAY

Worst to Come in 1955, He Declares

DR. LAUGHEAD
Expects only few survivors.

تشارلز لافهيد كتب المقال باعتباره المُتحدث الرسمى بأسم دوروثى مارتين و مجموعة "الباحثين"، و من خلال المقال بلغت دوروثى عن طريق تشارلز لافهيد، بأن سنة 1955 ميلادياً حتكون فيها خسائر كبيره فى أرواح البشر، يمكن البشريه كلها، و أن العالم أصبح فى حالة فوضى، لكن الكائن الأسمى و الأعظم حيقوم بتنظيف المنزل -طبعاً الجمله الأخيره مش محتاجه أى شرح-، و ده حيتم عن طريق إغراق كُل الأرض تقريباً تحت البحر، و رفع أرض أُخرى من قلب البحر.

نقطة توضيحيه أحب أقولها، بأن الطوفان المزعوم لم يكُن طوفان حيشمل الأرض كُلها، لكنه حيكون البدايه للعديد من الظواهر و الكوارث الطبيعيه، اللى حتُنهى على كوكب الأرض، خلال أقل من سنه.

الطبيب تشارلز لافهيد، كان من أشد المؤمنين بدوروثى، و كان مُعتقد بشده أنها بالفعل بتتلقى نوع من الوحى من كائنات من كوكب أخر، فبالتالى كان أكتر من ساعد

فى نشرو إنتشار نبؤة دوروثى، و أزدياد عدد المؤمنين بيها من خلال معارفه، خلال فتره زمنيه قصيره جداً.

الأطباء ليون فستينجر، هنرى رينكن، و ستانلى شاختر قرأوا الأعلان، و ده كان أثناء إنشغالهم بموضوع دراستهم الخاص ب"مدى تأثير عدم تحقق النبؤات عن المؤمنين بيها"، فطبعاً دى كانت بالنسبالهم فرصه لا تُعوض لدراسة حاله جماعيه، و على أرض الواقع. الموضوع أو الإعلان كان محدد الطوفان بيوم 21 ديسمبر 1954، فمجموعة الأطباء قررت دراسة حالة أتباع دوروثى، قبل و أثناء و بعد إنتهاء الحدث.

الأطباء التلاته قرروا يدرسوا السلوك النفسى الفردى لأتباع دوروثى، إنما دوروثى نفسها مش هى الموضوع الأهم بالنسبالهم، علشان كده دسوا بعض المراقبين التابعين لهم وسط أتباع دوروثى، علشان يراقبوا السلوك الشخصى النفسى لكُل فرد من أتباعها بشكل فردى.

****

أتباع دوروثى اللى أمنوا بنبؤتها، عملوا كُل حاجه ممكن تتخيلها، بعضهم أستقال من عمله، بعضهم أتبرع بكُل أمواله، بعضهم قاطع أصدقائه أو أقاربه اللى مصدقوش بنبؤة دوروثى، و طبعاً الطلبه منهم تركوا دراستهم، كُل حاجه ممكن تتخيلها أو لا تتخيلها عملوها، إيماناً و تصديقاً منهم بنبؤة دوروثى، لأن بالنسبالهم كُل التفاصيل الدنيويه لم يعد لها أى أهميه على الإطلاق، و ده بيُفسر تعريف لافهيد المذكور فى كُل المقالات المكتوبه عن الموضوع بأنه "طبيب سابق".

بعض الأتباع إنتقل بالفعل للعيش فى منزل دوروثى، بالرغم من أن الفيضان كان مُحدد له يوم 21 ديسمبر، لكن لأن من بين الرسائل اللى وصلت دوروثى بأن الجميع لازم يكون فى حالة إستعداد فى أى لحظه، فالكُل أستقال أو ترك دراسته، و بدأ يستعد لزيارة هؤلاء الفضائيين "الحراس"، و اللى حيهبطوا على كوكب الأرض علشان ينقذوهم فى أى لحظه قبل الكارثه، بالرغم من أن الميعاد المحدد للطوفان كان باقى عليه أكتر من 3 أشهر.

موقف زوج دوروثى كان غريب جداً، هو لم يكُن مؤمن باللى بتقوله دوروثى على الإطلاق، لكن فى نفس الوقت كان بيسمع كلامها، مكنش عايز يزعلها، فكان موقفه سلبى طول الوقت، بينفذ و بس.

نرجع لدوروثى، و نحاول نفهم مصدر هذه النبؤه الأصلى، فحنكتشف أنها كانت مُتأثره بكتاب صدر فى نفس السنه أسمه "Aboard a Flying Saucer" أو "على متن طبق طائر، لكاتب أسمه ترومان بيثوروم، و اللى كان بيدعى هو نفسه أنه على تواصل مع كائنات من الفضاء الخارجى. الكتاب تضمن رسائل بيثروم مع هذه الكائنات، و اللى بدورها تضمنت نبؤة غرق مدينة ليك سيتى و أجزاء كبيره من الولايات المتحدة و كندا و أمريكا الوسطى و أوروبا، و تدمير كُل هذه المناطق، بسبب فيضان حيحدُث قبل فجر يوم 21 ديسمبر 1954، بمعنى أن دوروثى أستقت نبؤتها حرفياً من هذا الكتاب.

بتمر شهور، و فى يوم الجمعه 17 ديسمبر 1954، و أثناء تجمع مجموعة "الباحثين" فى بيت دوروثى، بيرن جرس التليفون، و بتُفاجئ دوروثى بمُكالمه من شخص أسمه "كابتن فيديو" من كوكب كلاريون، بيبلغها فيها أن طبق طائر حيهبط فى الحديقه الخلفيه للمنزل، فى تمام الساعه 4 مساءً. الجميع صدق المكالمه، بالرغم من أنها كانت مقلب من شخص سمع عن قصة دوروثى.

كان من بين الأوامر اللى وصلت دوروثى فى فتره سابقه، أن كُل الأشخاص اللى حيصعدوا على متن سفينة الفضاء، لازم ميكنش معاهم أى نوع من المعادن، لأنها حتتفاعل مع مجال طاقة الكائنات الفضائيه، فبدأت عملية خلع الأحزمه، خلع أى زرار أو سوسته معدن، خلع كُل الخواتم و المجوهرات...إلخ. الغريب أن مفيش

شخص فى المجموعه أكتشف أن أسم "كابتن ڤيديو"، هو أسم لشخصيه فى مسلسل تليڤزيونى خيالى عن الفضاء كان بيُذاع فى هذه الفتره.

الساعة 4:00 مساءً إجتمعت كُل مجموعة الباحثين فى الحديقه الخلفيه لمنزل دوروثى، إنتظروا فتره طويله جداً، و فى تمام الساعه 5:30 دخلوا المنزل مره تانيه و هما جميعاً فى حاله من الصدمه و خيبة الأمل. فى أثناء وجودهم داخل المنزل، وصلت رساله من سناندا بتُشيد بيهم و بتفانيهم فى تنفيذ المطلوب، و بتبلغهم أن اللى حصل ده كان نوع من التدريب، للتأكُد من أن لما حتوصل سفينة الفضاء بالفعل، كُل الأمور حتمشى بسلاسه، و مش حيحدُث أى نوع من الأخطاء.

فى اليوم التالى، 18 ديسمبر 1954 ميلادياً، و صلت رساله لدوروثى -و مش مكالمة تليفون زى اليوم السابق- تم تبليغها من خلالها بأن "الحراس" حيوصلوا خلال هذا اليوم. بدأ الجميع مره تانيه فى عملية نزع أى نوع من المعادن، و لكن لليوم التانى على التوالى لم تصل سفينه الفضاء. بعض أعضاء مجموعة "الباحثين" شعروا بالذنب، و أنهم كانوا السبب فى عدم وصول "الحراس"، بس وقتها لم يُصرحوا بسبب هذا الشعور. السبب ببساطه أنهم كانوا عاملين حشو لبعض أسنانهم، و طبعاً الحشو بيكون فيه بعض المواد المعدنيه، فمن وجهة نظرهم، ده كان سبب كافى لعدم هبوط سفينة الفضاء.

خيبة الأمل اللى أصابت البعض الأخر، كان بيقابلها الأمل فى أن الميعاد الفعلى لهبوط سفينة الفضاء، يُفترض أنه يكون الساعه 12 منتصف الليل من يوم 21 ديسمبر 1954 ميلادياً، كما قيل فى النبؤه الأولى و الرئيسيه.

مجموعة "الباحثين" أستعدت مره تانيه يوم 20 ديسمبر، و كالعاده قاموا بنزع جميع المعادن، و جمعوا معاهم كُل الكتب المُقدسه فى أكياس، علشان تكون معاهم على متن سفينة الفضاء، و جمعوا كُل الرسائل اللى وصلت لدوروثى من سانداندا و أتباعه، و رجعوا مره تالته -فى حاله من الصمت الشديد- لإنتظار وصول "الحراس و سفينتهم الفضائيه.

مر الوقت، و أصبحت الساعه 12 و 5 دقائق بعد منتصف الليل، الجميع فى حالة وجوم و حزن و خيبة أمل، لكن فجأةً أعلن أحد أفراد المجموعه أن الساعه مقدمه

ربع ساعه، و إنها ما زالت 12 إلا 10. حاله من السعاده و التفائل منقطعة النظير سادت بين المجموعه.

و عدت الساعه 12 منتصف الليل -للمره التانيه-، بعدها أعلنت دوروثى أن فيه تأخير طفيف فى الخطه، و على الساعه 2:30 صباحاً، وصلت لدوروثى رساله بتقول أن المجموعه محتاجه أستراحه و Coffee break، أو أستراحه لتناول القهوه.

على الساعه 4:45 صباحاً، و المجموعه كالعاده مُجتمعه فى حاله من الصمت الشديد، وصلت أهم رساله على الإطلاق لدوروثى، و كان نص الرساله بيقول أن بسبب سلوك مجموعة الباحثين و تضحياتهم، قرر الله أنه ينقذ كوكب الأرض كُله من الدمار.

إنقاذهم للبشريه لم يكُن هو الخبر السعيد الوحيد، لكن كان فيه خبر تانى، هو صحيح خبر مُكرر، لكن كان كُل مره بيُعلن فيها، بيسبب حاله من السعاده. الخبر المُعتاد هو أن سفينة الفضاء اللى حتُقلهم من العالم الأرضى للعالم الجديد فى كوكب كلاريون، و يكونوا مع ساناندا "المسيح المُتجسد" و أتباعه، حتوصل أمام منزل دوروثى، يوم 24 ديسمبر الساعه 6 مساءً، فى الشارع أمام المنزل.

****

يوم 24 ديسمبر هو ليلة الكريسماس بالنسبه لجميع المسيحيين الكاثوليك، و الغالبيه العظمى من المسيحيين البروتوستانت، لكن بشكل عام، هو اليوم الأهم و الأشهر للإحتفال بالكريسماس فى العالم كُله، علشان كده الشوارع فى مدينة شيكاغو و ضواحيها كانت مُزدحمه بمئات الأشخاص -خاصة الأطفال- اللى خرجوا يحتفلوا بليلة الكريسماس.

مجموعتى "الباحثين" و "المؤمنين"، كانوا من بين جموع الناس المتواجده فى طريق كويلر فى "أوك بارك"، إنتظاراً لوصول سفينة الفضاء، و ده زى ما طُلب منهم. و كان من ضمن الطلبات اللى طُلبت منهم، أنهم يقفوا و يغنوا أغانى الكريسماس، و ده بالفعل اللى عمله كُل أتباع دوروثى من الباحثين و المؤمنين، لكن كان فى الشارع

برضه تجمهر لأكتر من 200 شخص كانوا سمعوا عن قصة دوروثى، وقفوا يتابعوا كُل اللى بيحصل و اللى حيحصل.

خلال اليومين ما بين 22 ديسمبر و 25 ديسمبر، سافر تشارلز لافهيد سريعاً لميتشيجان، لوقف محاولات أخته المُستمره، لأنها تُخضعه للعلاج النفسى، و رجع يوم 25 ديسمبر علشان يكون فى الميعاد المحدد، مع أسرته و دوروثى و باقى المجموعه، إنتظاراً لوصول سفينة الفضاء، اللى حتقلهم جميعاً للعالم الجديد فى كوكب كلاريون.

و بدأ الوقت يمر، و عدت الساعه 6 مساءً، و لم تصل سفينة الفضاء كالعاده. توماس بى كيرين، رئيس شرطة أوك بارك، قرر أنه يتهم دوروثى بتهمة التحريض على أعمال الشغب، و تشتيت فكر الأطفال تحت سن ال18 سنه، خاصةً أن كتير من أطفال الحى تأثروا بكلام دوروثى، و صدقوا و حلموا بفكرة السفر للفضاء، و بعض

الصغيرين سناً منهم، دخل فى حاله من التعب النفسى و الكوابيس و صعوبة النوم، لكن بموافقة هارولد -زوج دوروثى- على إخضاع دوروثى للعلاج النفسى خارج الولايه، وافق توماس بى كيرين أنه يوقف الموضوع عند هذا الحد.

الفحص الطبى و النفسى الدقيق، اللى خضعت له دوروثى و معاها الطبيب تشارلز لافهيد، كان نتيجته أنهم عاقلين تمام، فالتالى أُدينوا بس بشكل معنوى، لأن مفيش قضيه حقيقيه، و بعد الفحص و الإدانه المعنويه، أنتهت علاقتهم تماماً بأوك بارك و مجموعة الباحثين.

فى سنة 1955 ميلادياً، إنتقلت عائلة تشارلز لافهيد لولاية فلوريدا، و منها لولاية أريزونا، و أستقروا هناك، و غالباً أختيارهم لأريزونا كان علشان يكونوا بالقرب من دوروثى، اللى أستمرت بعد كده فى تقديم النبؤات لمن يرغب، لكن بعد ما غيرت أسمها ل"الأخت ثيدرا"، و أستمرت بهذا الأسم لحد وفاتها سنة 1992 ميلادياً.

****

الهدف اللى إستهدفته من الجزء ده من الكتاب، و اللى بيشمل الفصل السابق و الفصل ده، هو نفس الهدف اللى كُتب من خلاله كتاب " When prophecy fails"،أو "عندما تفشل النبؤه" للأطباء النفسيين التلاته ليون فستينجر، هنرى رينكن، و ستانلى شاختر من حوالى 68 سنه، و هو محاولة إستعراض إزاى ممكن توصل درجة الأيمان عند بعض الأشخاص، لدرجه تُمكن أخرين من السيطره عليهم عقلياً بشكل كامل، لدرجة تصديق عشرات الخُرافات الغير مبنيه على أى أساس أو دليل منطقى.

البدايه دائماً بتكون من خلال الدين، من نبؤات الكُتب المقدسه، أو حتى ممكن تكون من خلال مرويات الأديان. درجة الأيمان اللى بيوصلها بعض الناس، بتسهل جداً من عملية إختراق عقلهم بأفكار منبعها الدين، لكن بتبدأ تبعد شويه شويه عن الأصل، و بالتدريج بتنحرف عن الدين تماماً.

الشكل ده ما زال موجود فى كُل الأديان ليومنا هذا. بنجده فى الناس اللى بتصدق بقدرة أشخاص على إخراج الجن و فك الأعمال، بنلاقيه فى فكرة طرد الأرواح

الشريره، بنلاقيه فى التصديق بكرامات و معجزات الأولياء فى الفرق الصوفيه، و أنا إن كنت بتكلم عن الأديان الإبراهيميه فقط، لأن دى الديانات اللى أنا و أنتم عايشين وسطها و فاهمينها، لكن فى الديانات الشرق أسيويه خرافات أكبر بكتير، و فيه طقوس أغرب من كده شفتها فى الهند، لأن فى النهايه، هو ده العقل الجمعى البشرى، اللى فكره نشأ من أول مرحلة الكهوف.

حتى الأشخاص اللى راحوا للجهه الأخرى تماماً، و اللى توجهوا لعباده سموها "عبادة الشيطان"، هما مش بيختلفوا كتير عن أتباع أى دين، فى النهايه كُل جماعه منهم بتتطرف فى إتجاه، حتى لو الأتجاهات دى كانت ظاهرياً عكس بعض تماماً، لكن فعلياً الممارسات واحده، لأن حتى فكرة عبادة الشيطان هى من قلب الأديان، لأن الشيطان فى الأديان كُلها هو رمز قوة الشر، هو صاحب التأثير الأكبر على البشر، فمثلاً فى إنجيل يوحنا، الإصحاح 14، العدد 30، كان هذا الكلام على لسان المسيح:

"لاَ أَتَكَلَّمُ أَيْضًا مَعَكُمْ كَثِيرًا، لأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ"

رئيس هذا العالم اللى قصده المسيح فى كلامه هو الشيطان، و ده بحسب كُل التفاسير، بما فيهم التفسير اللى قاله البابا شنوده فى عظاته. صورة الشيطان فى المسيحيه صوره ضخمه و مُرعبه، و ذكره موجود بشكل كبير فى العهد الجديد، و يكفى أنه قام بتجربه المسيح فى 3 أختبارات، و ده مذكور فى أنجيل لوقا، الإصحاح 4، من العدد 3 إلى العدد 13:

"3 وَ قَالَ لَهُ إِبْلِيسُ:«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزًا». 4 فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: «مَكْتُوبٌ: أَنْ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ». 5 ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال وَ أَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ. 6 وَ قَالَ لَهُ إِبْلِيسُ:«لَكَ أُعْطِي هذَا السُّلْطَانَ كُلَّهُ وَ مَجْدَهُنَّ، لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ، وَ أَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ. 7 فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ». 8 فَأَجَابَهُ يَسُوعُ وَ قَالَ:«اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَ إِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». 9 ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَ أَقَامَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَ قَالَ لَهُ:«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلَى أَسْفَلُ، 10 لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ، 11 وَ أَنَّهُمْ عَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ

رِجْلَكَ». 12 فَأَجَابَ يَسُوعُ وَ قَالَ لَهُ:«إِنَّهُ قِيلَ: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ». 13 وَ لَمَّا أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ."

أما فى الأسلام، فمثلاً فى سورة ص، الأيات 82،83:

"قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83)"

و سورة الحجر، الأيات 39،40:

"قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40)"

الأيات اللى ذكرت قوة الشيطان برضه كتيره جداً، و الأهم كان قدرته على كُل شئ بإذن الله، فده كان دافع لكتير من الناس إنها تعتبره إله. إذن فحتى عبادة الشيطان كانت مُتأثره بخلفيه دينيه، تطرف فيها الناس للجهه الأخرى، لأن ذكر الشيطان هو فى الأساس منبعه الدين، فإستغلال البعض للدين كان طول الوقت هو مدخل، حتى للإنحراف عن الدين نفسه تماماً، و التأثير على كتير من الناس من خلاله، هو شئ موجود من بداية تاريخ الإنسان العاقل، و حيفضل موجود لنهاية وجود الإنسان على كوكب الأرض.

****

الشخصيه التانيه فى هذا الفصل، و الخامسه على مدار الفصلين، هى الأغرب بالنسبالى أنا شخصياً، لأنها شخصيه عملت كُل المتناقضات، و مع ذلك فعدد أتباعه كانوا بيزيدوا مع كُل تحول أو تناقض بيعمله، لأن الأيمان المُطلق بشخص ما -و كنت كتبت فصل كامل فى الكتاب السابق عن هذا الموضوع-، بيوصل الإنسان لحاله من التغييب، فبيتحول لكائن بيتبع هذا الشخص بشكل لا إرادى، و ده كان واضح جداً فى قصة دوروثى و أتباعها، لكن فى النهايه، فتجربة دوروثى كانت على نطاق صغير و ضيق جداً، لكن التجربه اللى حأحكيها، تأثيرها و ما نتجت عنه أصبح عالمى و مُستمر، لأكتر من 350 سنه، و حتى يومنا هذا، و أثر على شعب أخر بالكامل، كان بعيد كُل البعد عن أحداث هذه القصه.

فى يوم 9 آب، و آب ده شهر عبرى، لكن بالتاريخ الميلادى كان موافق 1 أغسطس سنة 1626 ميلادياً، وُلد شباتاى تسفى فى مدينة سميرنا بتركيا (إزمير حالياً). أسم شباتاى معناه "المولود يوم السبت"، و بالمُناسبه، فأسم منطقه السبتيه فى القاهره مُشتق من طائفه السبتيين اليهوديه، و اللى كانوا بيملُكوا محلات كتير فى هذه المنطقه. يوم 9 آب اللى وُلد فيه شباتاى، كان موافق لذكرى دمار الهيكل الثانى سنة 70 ميلادياً، و دى كانت أول علامه مهمه بالنسبه لشباتاى.

أسرة شباتاى كانوا من اليهود الإسبان اللى هاجروا من إسبانيا، وده كان بسبب الاضطهاد الدينى اللى كان اليهود بيتعرضوله هناك من الكنيسه الكاثوليكيه، و أستمر إضطهاد الكنيسه الكاثوليكيه لليهود فى إسبانيا بدايةً من العصور الوسطى، مروراً بمحاكم التفتيش اللى أقامتها الكنيسه الكاثوليكيه فى إسبانيا.

تركيا و أغلب الدول العربيه، كانت تحت الحكم الأسلامى التركى العثمانى فى هذا الوقت، و ده سبب أختيار أسرة شباتاى للدوله العثمانيه تحديداً، زيهم زى عشرات الأسر اليهوديه، اللى هربت من كافة أنحاء أوروبا، و إتجهت للإقامه فى أنحاء الدوله العثمانيه، للبعد تماماً عن أى مكان بتُسيطر عليه الكنيسه الكاثوليكيه.

أسرة شباتاى لما وصلت سميرنا كانت فى مُنتهى الفقر، أبوه بدء كتاجر دواجن، لكن نتيجه ظروف الحرب، نُقلت تجاره كتيره من أسطنبول لسميرنا، فتحول أبوه بسبب هذه النقله، لتاجر كبير و رجل غنى جداً، و دى ملحوظه مهمه رصدتها بين أغلب من نادوا بأى دعوه جديده، و هى أن أغلبهم كانوا من أسر غنيه، و أن أغلبهم بدأ دعوته فى سن مُبكر جداً، و حنلاقى فى قصة شاباتى، تشابه كبير جداً مع قصة "الباب". أول نقطه تشابه بينهم تمثلت فى الظروف الماديه المُيسره لأسرة كلُاً منهم. تانى نقطه أن الأتنين أخدوا قسط كبير من التعليم الدينى. تالت نقطه أن الأتنين بدأوا دعوتهم فى سن مُبكره جداً. طبعاً على مدار القصه حنجد أوجه تشابه أُخرى، لكن ال3 نقاط دول نقدر نعتبرهم كنقاط بدايه لأوجه التشابه.

والد شباتاى بعد ما أصبح رجل غنى، كان قادر على دفع تكاليف دراسة أبنه. شباتاى درس التلمود كاملاً، و فى سن صغيره جداً تم ترسيمه كحاخام، لكن شباتاى مأظهرش أى أهتمام بالتلمود، بقدر إهتمامه بالفكر المتصوف اليهودى. شباتاى و

هو لسه موصلش لسن العشرين، درس الكابالا، و هو نوع من الفكر المتصوف اليهودى، و بدأ و هو فى هذه السن الصغيره، فى جذب أتباع كتير له، و كان تركيزه فى دروسه لأتباعه على "أسرار التقليد الصوفى اليهودى".

فى هذه الفتره كان بيُشاع أن سنة 1666 ميلادياً -الموافقه لسنتى 5426-5427 وفقا للتقويم العبرى- حتكون نهاية الأيام، و أن المسياه -من المنظور اليهودى- على وشك الظهور، و نهاية الأيام بالنسبه لليهود -زى ما سبق و ذكرت فى فصل سابق- معناه بداية المجد النهائى لليهود، و عودتهم للقدس، و كُل التفاصيل اللى سبق و ذكرتها فى الفصول السابقه.

قصة نهاية الأيام سنة 1666 ميلادياً، بالإضافه لبعض القصص فى "الزوهار" أو سفر "الأشراق"، و هو من الكتب المؤسسه للكابالا، و هو كتاب تعليق أو تفسير خاص للتوراه، و مكتوب باللغه اللأراميه، و مذكور فيه أن فجر عصر الخلاص اليهودى حيكون سنة 1648 ميلادياً (5408-5409 يهودياً). فى نفس هذه السنه (1648 ميلادياً)، تم دبح عدد كبير جداً من اليهود فى أوكرانيا، و اللى كانت بتتبع لبولندا فى هذا الوقت، و ده طبعاً أرعب كُل اليهود فى كافة أنحاء أوروبا.

شباتاى تزوج و هو فى سن صغير جداً، و ده تبعاً للتقاليد اليهوديه، لكن كان من الواضح جداً، أنه رافض تماماً لفكرة الزواج، و خلال فتره زواجه القصيره، كان مُتجنب زوجته تماماً، و ده دفعها لطلب الطلاق، و اللى تم بالفعل، و أُعتقد أن سبب رفضه لفكرة الزواج، كان حالة التصوف و الزهد اللى كان عايش فيها.

خلال السنه دى (1648 ميلادياً)، بدأ شباتاى يُعلن عن أنه بيوحى إليه، و بدأ بشكل ما يدعى أنه المساياه، لكن دعوته الأولى للمسيانيه فى مدينة سميرنا، محققتش أى نتيجه أو نجاح يُذكر، و خلال دروسه مع تلاميذه كان بيذكُر أسم "الله"، و بالمُناسبه فالنطق بأسم الله أو كتابته، مُحرم تماماً عند اليهود، من يوم دمار الهيكل الثانى من حوالى 16 قرن، فكان ما يقوم به شباتاى من ذكر أسم "الله"، هو نوع من المُحرمات الكُبرى فى اليهوديه.

شباتاى إعتبر لحظات وحيه كلحظات"إناره"، و أوقات إكتئابه كفترات "سقوط" بيكون فيها وجه الله مخفى عنه. فى أوقات الاكتئاب كان شباتاى بينعزل تماماً، لكن

فى لحظات إنارته كان بيقول أنه مضطر لمخالفة الشريعه اليهوديه، و من هنا كانت أول صداماته مع الكُليه الحاخاميه، اللى بدأت تعتبره "مُجدف"، و تم نفيه مع تلاميذه للقسطنطينيه (أسطنبول).

خلال هذه الفتره كان شباتاى بيعيش على ثروة والده فقط ، و فى القسطنطينيه (أسطنبول) أكتشف شباتاى مخطوطات يهوديه صوفيه قديمه، بتقول أن فى سنة 1626 ميلادياً، حيولد مساياه (مش المساياه)، و أن هذا المساياه حيكون أسمه شباتاى، و هو ما يتطابق معاه تماماً. و هنا كان أول تأكيد لشباتى على أنه "المساياه". و من القسطنطينيه (أسطنبول) سافر لسالونيك (مدينه باليونان حالياً)، لوجود عدد كبير من اليهود فيها، و هناك أزدادات سلوكياته غرابةً، فقام الحاخامات اليهود بطرده من المدينه، برضه بسبب تجديفه.

فى سنة 1660 ميلادياً، بدء شباتاى رحله طويله من السفر، بعد ما الحاخامات قاموا بطرده من القسطنطينيه (أسطنبول)، فأتحرك لليونان، و منها لبلاد الشام، و منها للقاهره، و أخيراً أستقر فى أورشليم (القدس)، أرض الميعاد. فى هذا الوقت كان اليهود فى القدس بيدفعوا نوع من الجزيه، أو كما سُميت "مشاركه"، للدوله العثمانيه.

فى سنة 1663 ميلادياً، يعنى 3 سنين قبل الموعد المُنتظر، بيقرر شباتاى أن الوقت خلاص قد حان، و أنه يجب عليه البدء فى التحرُك، فبيتخذ قرار أنه يسافر للقاهره كنائب عن اليهود فى القدس، لإسقاط الجزيه أو المشاركه، و بالفعل بيسافر و بيستقر فتره فى القاهره، لكن من الواضح أنه لم ينجح فى مُهمته.

خلال فترة تواجده فى القاهره، و فى نفس الوقت فى مدينة ليڤرنو بإيطاليا، ظهرت فتاه يهوديه فى أحد المقابر ذات ليله، كانت لابسه قميص بس، و بتقوم تصرفات غريبه جداً، و كانت بتقول أنها متوجهه للمساياه.

اليهود اللى أكتشفوا وجودها، عرفوا أنها يهوديه من أصل بولندى، أهلها تعرضوا لحالة الدبح و النهب اللى ذكرناها فى أوكرانيا، فنُقلت لدير و أتربت هناك، و بعد مرحلة الدير أستقرت فى ليڤرنو بإيطاليا، بعد ما تم إنشاء مُستعمره لليهود هناك، و قالت أن روح والدها المتوفى، هى اللى قادتها أنها تأتى لهذه المقابر.

ساره -و ده كان أسمها- كانت جميله جداً، و أعلنت أنه مكتوب لها قدرياً أنها تتزوج من المسایاه اللی حیظهر، و أنها ممنوع علیها الزواج من أی شخص أخر غیره، و لحد ما یتحقق زواجها منه، فهی لابد أنها تعیش حره و بدون زواج.

شهرة ساره تجاوزت حدود إیطالیا و أنتشرت فی أوروبا و مصر، و لما سمع شباتای عنها، قرر أنها الزوجه المُناسبه للمسایاه المُنتظر، طبعاً هو كمان كانت شهرته مُنتشره فی أوروبا، و للتوافق اللی بینهم ده، حتی لو كان عن بعد، تمكن شباتای من أنه یُقنعها عن طریق رُسله، أنها تسافر له للقاهره، و بالفعل تم زواجهم فی حفل ضخم، نظمه رافائیل شلبی مدیر سك العمله فی القدس، و اللی كان أحد المؤمنین بشباتای، بالإضافه لتبرعه بباقی ثروته كُلها للمسایاه المُنتظر شباتای تسفی، و تبع رفائیل فی التبرع للمسایاه، عدد كبیر جداً من الأتباع الأغنیاء المُؤثرین.

بالرغم من إعتقاد أتباع شباتای بأنه تزوج من "أمرأه عاهره"، لكنهم أعتبروه بینفذ أمر إلهی، و شبهوه بالنبی هوشع -كاتب سفر هوشع-، اللی سبقه فی نفس الخطوه، و برضه -كما هو مُعتقد- كانت بأمر إلهی.

المعلومه الأخیره اللی كانت تخُص رأی الناس فی ساره، هی معلومه فی مُنتهی الخطوره، و بتوضح مدی درجة تصدیق أتباعه له، و تبریر أی فعل بیعمله -حتی لو من وجهة نظرهم غلط- بأنه أمر إلهی. أنا ركزت علی هذه النقطه، لأنها حتكون تمهید مهم جداً لكُل التفاصیل اللی حتحصل فیما بعد. ساره كان لها تأثیر كبیر جداً علی شباتای و علی تعالیمه فی مرحلة ما بعد زواجهم. و بالمُناسبه فخلال فتره تواجد شباتای فی القاهره، لم یكُن یذكُر كثیراً أنه "المسایاه"، لكن كان مُكتفی بتعالیمه الكابالیه الصوفیه.

****

سنة 1665 میلادیاً كانت السنه الفارقه فی حیاته، شاباتی سافر لغزه، و هناك قابل ناثان بنیامین لیفی، الشخص اللی بالفعل غیر حیاته تماماً. ناثان كان كابالی زاهد، أشبه بالمُتصوفین المسلمین الزاهدین، و كان رجل معروف جداً فی غزه.

فى البدايه لازم نتعرف أكتر على ناثان. ناثان كان زى ساره، من أصل بولندى، أستقر فى غزه، و أشتُهر بأسم ناثان غزه. ناثان أدعى أنه النبى أيليا بعد قيامته من الأموات، و أنه -كالنبى أيليا- هو اللى حيُرشد المسياه الجديد لمجده. شباتاى لما كان فى غزه، بدأ يتقرب من ناثان، بهدف الحصول على نوع من العلاج الصوفى لحالة الضيق الروحى اللى كان شباتاى عايش فيها.

الأغرب كان رد ناثان له، و هو أن ناثان بدأ فى إقناع شباتاى بأنه "المسياه"، علشان يصحّى الفكره مره تانيه عند شباتاى. ناثان قال لشباتاى أن السر ده، و يقصد بالسر أن شباتاى هو المسياه المُنتظر، ظهرله من خلال رؤيا، و أنه مُتأكد و مؤمن بكون شباتى هو المسياه اللى اليهود بتنتظره. الكلام ده كان قبل سنه واحده من سنة 1666 ميلادياً، السنه اللى بيتوقعها بعض اليهود كنهاية الأيام.

بدأ الأتنين يعملوا معاً كفريق واحد، كان على شباتاى جزئيه التعاليم، و على ناثان نشر الفكره و الدعوه وسط المجتمع اليهودى، اللى كان بيعانى من كُل شئ، الفقر، المجازر اللى وقعت لهم فى بولندا، و خاصةً أوكرانيا، الحكم الأجنبى لهم، فكُل هذه الأشكال من المُعاناه، بالإضافه لنبؤة نهاية الأيام سنة 1666 ميلادياً، سمح للكابالا بأفكارها و نبؤاتها، أنها تكون منفذ لهم، و كان المناخ مناسب جداً لنشر فكرة المسياه و دعوته، وسط مجتمع مُتعطش للمسياه اللى حيخلصه من كُل شرور العالم، و من كُل أشكال الإضطهادات اللى بيعانى منها المجتمع اليهودى فى أغلب العالم، و كان الجميع فى إنتظار المُعجزه.

خلال عيد الأسابيع أو عيد شافوعوت اليهودى، أعلن ناثان بشكل علنى ظهور "المسياه، و من هنا بدأ شباتاى للمره التانيه مسيرته ك"المسياه"، لكن هذه المره بدعم من ناثان، اللى أصبح النبى و المُبشر للمسياه شباتاى.

بدأ شباتاى مره تانيه حالات الإناره و السقوط، فى نفس الوقت بدأت مره تالته مُعارضة الحاخامات، لكن هذه المره فى فلسطين، و لم يتم إتخاذ أى قرارات ضده هُناك، أكتر من طرده من مدينة أورشليم (القدس)، و حرمانه تماماً من دخولها.

فى نفس الوقت، بدأ ناثان حركه جماعيه بتحُث اليهود على التوبه و الصوم و الزُهد، لتمهيد الطريق لحركة الفداء القادمه. فى شهر سبتمبر 1665 ميلادياً، أعلن

ناثان أن فيه تحول كونى بدأ فى الحدوث، و أنه فى خلال سنه، و بدون أى حروب، حيوصل شباتاى لتاج السلطنه العثمانيه، و أن السلطان العثمانى حيُصبح خادم له. و إستكمالاً للنبؤه، حيقوم النبى و الرسول موسى من الأموات، و حيتزوج شباتى رفقه بنت موسى، و حيُعيد جميع قبائل اليهود المفقوده، و حتقوم حرب، حيظهر من خلالها شباتاى بصورة المسياه المُخلص، كما كانت كُل نبؤات التناخ و التوراه.

فى نفس الشهر قرر شباتاى نشر تعاليمه و دوره كالمسياه، فبدأ رحلة السفر لحلب و منها لسميرنا، اللى بتُعتبر مسقط رأسه، وسط جو من التحريض من الحاخامات و زعماء الطوائف اليهوديه ضده. بدأ شباتاى العوده لحالات الإناره، و مُمارسة طقوس الكابالا، و بدأ أتباعه فى الأزدياد بشكل كبير، لدرجه مكنته مع أتباعه، من دخول كنيس (معبد) معارضيه.

شباتاى تجرأ فى طقوسه بذكر أسم "الله"، -و اللى زى ما ذكرت سابقاً، أنه ممنوع تماماً النطق بأسمه-، و سمح للنساء بقراءة التوراه مع الرجال، و شبه خصومه بالحيوانات النجسه.

بدأت حالة الفرح بظهور "المسياه"، تنتشر فى جميع مجتمعات الشتات الخاصه باليهود، و أنتشرت حالة التوبه و الزهد و الصيام، إستعداداً لأخر الأيام، و بدأت الصلوات المسيانيه اللى كتبها ناثان فى الأنتشار، و أستعد أغلب الأتباع للسفر لأرض الميعاد، و اللى رفضوا الأستعداد، كان رفضهم بسبب إعتقادهم أن سحابه حتيجى و حتنقلهم لهناك. أحب أفكرك أن أحد أسباب هذه الحاله من التصديق، كان عملية قتل أكتر من 300 ألف يهودى فى أوكرانيا خلال سنتى 1648 و 1649 ميلادياً، و تعرُض كتير من المجتمعات اليهوديه للدمار فى حرب روسيا و السويد سنة 1655 ميلادياً، فكان أغلب المجتمع اليهودى بيتمنى و مُهيأ لظهور المسياه، و سميت دعوته بال "الشباتيه" أو السبتيه، و اللى كان منها فيما بعد، مُجتمع اليهود فى منطقة السبتيه فى القاهره.

بدأت خلافات كتير بين الشباتيين أو السبتيين و معارضيهم، اللى كانوا شايفين أن شباتاى نصاب و مُخادع، لكن كان كتره عدد الشباتيين، سبب فى عدم محاولة

المعارضيين الدخول فى صدام مباشر معاهم، و لهذا السبب، كانت قوة الأتباع و عددهم، بتزيد يوم بعد يوم.

أوصل معاك لأخر و أهم و أغرب محطه فى مسيرة شباتاى، المحطه اللى حتبين لنا، درجة الهوس و التصديق اللى وصلها الأتباع، و لأى درجه كان من المُمكن أنهم يقبلوا أى شئ يصدُر من شباتاى، و يأولوه تأويل دينى، يُناسب إيمانهم الشديد بيه.

فى سنة 1666 ميلادياً، تم القبض على شباتاى فى القسطنطينيه (أسطنبول). تعامل شباتاى مع المحكمه و أثناء سجنه على أنه "المسياه"، و خلال هذه الفتره أستبدل صيام "تيشا باف" الموافق يوم 9 آب، و هو ذكرى دمار الهيكل التانى، و فى نفس الوقت هو يوم ميلاده، بمهرجان أحتفال بذكرى ميلاده، و بدأ فى التوقيع على رسائله ب"أنا الرب إلهك شباتاى تسفى". كُل اللى فات ده، مش هو الجزء المهم على الإطلاق، لكنه كان البدايه للمحطه الأخيره فى مسيرة شباتاى.

تمت إدانة شباتاى بتهمة إثارة الفتنه، و أحب ألفت نظرك أن المحاكمه تمت داخل الأمبراطوريه العثمانيه "الأسلاميه"، و تم تقديم شباتاى للسلطان، و من هنا نوصل للنقطه الأهم و الأكثر إثاره. شباتاى نفى كُل الأتهامات، نفى أنه يكون أدعى المسيانيه، نفى أثارته لأى فتن، و لما خُير بين الأسلام و الموت، أختار الأسلام، و أسلم و سمى نفسه محمد البواب أفندى.

10 سنين عاشها شباتاى بعد المُحاكمه مسلم ظاهرياً، و بيحصُل على معاش ملكى، لكنه كان يهودى فعلياً، بيُشارك سراً فى كُل الطقوس اليهوديه، و أستمر لحد وفاته سنة 1676 ميلادياً بيدعى المسيانيه سراً، لكن يا ترى كان أيه موقف أتباعه بعد أسلامه؟

المُفاجئ أن الغالبيه العظمى منهم أتخذت نفس قراره و أسلمت ظاهرياً، و ده كان مُوافق لمعتقداتهم فى المساياه المخلص، المُجسد فى صورة الشرير ظاهرياً و الخيّر داخلياً. الأمبراطوريه العثمانيه كانت طول الوقت فى حاله قلق من تصرُفاته، حتى لو لم تكن تصرُفات ظاهره، فتم نفيه لألبانيا، و حددوا إقامته فى بيته، لحد ما مات سنة 1676 ميلادياً بالكوليرا.

سُمى أتباع شباتاى فى الأمبراطوريه العثمانيه ب"يهود الدونمه"، و كلمة الدونمه هى كلمه تركيه معناها المُتحول أو المُرتد، و أستمر هذا الأسم هو أسم أتباع شباتاى حتى يومنا هذا.

أنقسمت المجموعه اللى أستمرت مؤمنه بشباتاى لفرقتين خلال القرن ال18 ميلادياً، فرقه مُعتدله، و فرقه مُتطرفه، و اللى أمنت بأن إبطال شباتاى للتوراه، كان جزء من عملية تحقيقها (تحقيق التوراه)، و الأغرب أن من خلال هذه المجموعه، ظهر شاب من أصل بولندى أسمه جاكوب فرانك، تم الإعلان عنه فى سنة 1756 ميلادياً، بإعتباره تجسيد لشباتاى زيفى.

تأثير المفهوم "السبتى" أستمر، و كان بعيد المدى. أولاً، لأنه صاغ نسخه جديده من التصوف اليهودى سُميت ب الحركة الحسيديه، و اللى نشأت فى بولندا، و اللى حسب رأى كتير من المؤرخين اليهود، كان لها تأثيرها فى شخصيه زى تيودور هرتزل فى نهاية القرن ال19 ميلادياً، و اللى كان واحد من أهم قيادات المنظمه الصهيونيه، اللى دعت لقيام دوله يهوديه، و ساهمت فى هجرة كتير منهم لفلسطين، و كانت السبب الرئيسى فى قيام أسرائيل سنة 1948، و تهجير الشعب الفلسطينى من أرضه من هذا التاريخ، و حتى يومنا هذا.

****

التاريخ حافل بنماذج من أدعوا المسيانيه، أو أنه المهدى المُنتظر، أو حتى تجرُبه زى تجرُبة دوروثى، لكن أنا أكتفيت بهذه النماذج الخمسه اللى قمت بذكرهم من خلال الفصل السابق و هذا الفصل، لأن 4 منهم كان لهم بالفعل تأثير بعيد المدى، أما قصة دوروثى فكانت لطرافتها، و لأنها تجرُبه تم توثيقها فى كتاب كبير و مهم لحظه بلحظه، و لغرابة الفكره، و الأغرب كان وجود ناس صدقت دوروثى بالفعل.

أنا حبيت أنهى الفصل بتجربه بسيطه و شيقه، مثلت بالنسبالى أغرب قصه قرأتها بخصوص نبؤة "نهاية الأيام" و ظهور "المسياه"، و هى بتوضح مدى القُدره على التأثير على العقل الجمعى. القصه هى قصة فرخة ليدز، اللى قررت أنى أنهى الفصل بيها، لطرافتها أولاً، و لكونها مُعبره جداً عن الفكره اللى كنت عايز أوصلها ثانياً.

وُلدت مارى سنة 1768 ميلادياً، فى مدينه صغيره أسمها أسينبي بالقرب من مدينة ليدز فى بريطانيا، فى أسرها كُلها كانت بتعمل بالزراعه. مارى أتعلمت القراءه و الكتابه بجانب الأعمال المنزليه و هى فى سن صغيره جداً، علشان تبدأ رحلة العمل كخادمه فى سن ال13، فى مدينه قريبه أسمها ثيرسك. بعد فتره أنتقلت لمدينة يورك، للعمل فى مجال الخياطه و الأزياء.

بالرغم من كُل هذا الجو الطبيعى اللى عاشت فيه مارى، لكن بدأت أعراض إجراميه تظهر عليها، من خلال بعض السرقات البسيطه اللى كانت بتقوم بيها، و هى لسه تحت سن العشرين. فى سن ال23، و بعد وصولها مدينة يورك بفتره بسيطه جداً، أتورطت مارى فى عمليه سطو، فهربت من مدينة يورك لمدينة ليدز.

فى ليدز، أشتغلت مارى برضه فى الخياطه و الأزياء، لكن بالنسبالها كان الأجر ضعيف جداً ، فبدأت بجانب الخياطه تشتغل فى عمل جديد عليها، لكن كان مربح جداً بالنسبالها، و هو العِرافه، بمعنى أن مارى أصبحت عرّافه و كاهنه بتفك أعمال، و أصبحت مشهوره جداً فى ليدز بأسم "المرأه الحكيمه"، و بدأ صيتها و شهرتها ينتشروا بشكل كبير، فى كُل أنحاء مدينة ليدز.

بالرغم من أنها كانت بتشتغل -سواء فى الخياطه و الأزياء، أو العرافه و السحر- و كانت بتكسب مادياً بشكل كويس جداً، لكن ده لم يمنعها من الأستمرار فى طريق الجريمه، بدايةً من سرقة المنازل، لعمليات النصب و الأحتيال بأستغلال أسامى بعض عملاءها، لدرجة أنها أستغلت حريق مُدمر وقع فى مدينة ليدز، و بدأت فى جمع التبرُعات العينيه -يعنى مش فلوس- للضحايا، و قامت بعد كده برهن كُل اللى جمعته، و أخدت فلوس الرهن لنفسها.

مارى تزوجت من چون، و لما تم تجنيده فى الجيش، سافرت مارى من ليدز لفتره قصيره، بعدها رجعت مره تانيه هى و چون، و بدأت مره تانيه فى العمل كعرّافه و كاهنه بتفك أعمال، و رجع مره تانيه أسم "المرأه الحكيمه" يتردد فى ليدز بقوه، و أصبحت شعبية مارى تفوق الوصف، و ده يوضحلك أن العقليه البشريه اللى بتُؤمن بالخرافات، هى هى فى كُل الدنيا، مفيش فرق ما بين دول عالم أول من دول عالم تالت، كُله أتربى على نفس الموروثات الثقافيه.

مع إتساع شعبيتها، بدأت مارى تدخل لمرحله أعمق، لما بدأت تُعلن عن نبؤة قرب نهاية الأيام، و النبؤه دى كان مصدرها فرخه كانت عندها، كان كُل البيض اللى بتبيضه منقوش عليه عباره واحده "المسایاه قادم".

بدأت شهرة فرخة ليدز تتعدى حدود مدينة ليدز، و بدأ الناس تُطلق عليها أسم "Prophet Hen of Leeds"، أو "فرخة ليدز النبيه". بالإضافه لقصة الفرخه، بدأت مارى تُعلن عن توفير خدمه خاصه، من خلال نوع من الطقوس للحمايه من أهوال نهاية الأيام.

مارى فرضت رسم مشاهده للبيض المعجزى 1 پنى أنجليزى، و ده حققلها دخل خرافى، لأن عدد الناس اللى زارت مارى علشان تشوف الفرخه و هى بتبيض هذا البيض المقدس، كان يفوق الوصف. شهرة "فرخة ليدز النبيه" عملت حالة ذعر مش بس فى مدينة ليدز، لكن فى مُقاطعة يوركشاير كُلها، و بدأ الناس تخاف بالفعل، و تستعد لقرب نهاية الأيام و نزول المسایاه.

بعض الناس أصرت على خروج الفرخه خارج منزل مارى، و بالفعل نجحوا فى إخراج الفرخه، و لما الفرخه خرجت، أصبحت بتبيض بيض عادى جداً، لا يحمل أى نوع من الرسائل المُقدسه، و هنا أنكشفت خدعة مارى كُلها.

مارى كانت بتقوم بالكتابه على البيض اللى بتبيضه الفرخه بنوع من الحبر الخفيف البارز، بعد كده بتقوم بإدخال البيضه داخل الفرخه المسكينه مره تانيه بالقوه، بعد الكتابه عليه. الخبر عمل صدمه حقيقيه لسكان يوركشاير، و بالأخص مدينة ليدز، لكن الغريب أن مارى لم يُوقع عليها أى نوع من العقوبات، و أن الموضوع ده كان سبب فى أزدياد شُهرتها كساحره!

شُهرة مارى اللى لم تتوقف بعد كُل ماحدث، وصلت لربيكا بيريجو، سيده فى الأربعينيات من عمرها، كانت بتُعانى من ألم، فشل جميع الأطباء اللى كشفوا عليها فى تشخيصه، و وصلت ربيكا لقناعه بأن سبب مرضها هو عمل أسود معمول لها، و قررت هى و زوجها ويليام الإستعانه بمارى، و ده كان سنة 1806 ميلادياً.

بعد دراسة حالة ريبيكا، قررت مارى إستخدام قدرات الأنسه بليث، و هى سيده بتعمل فى نفس مجال مارى كعرّافه و كاهنه. الأنسه بليث لم تظهر على الإطلاق، كانت بتابع كُل حاجه من خلال مارى، و طبعاً كُل مستحقاتها الماديه كانت بتوصل برضه عن طريق مارى.

بليث أكدت أن ريبيكا و ويليام حيموتوا قبل نهاية سنة 1807 ميلادياً إذا لم يتبعوا كُل تعليماتها. و عن طريق مارى، أرسلت بليث نوع من بودره أو مسحوق لإستخدامه فى الطبخ، و طلبت من مارى أن الزوجين يستخدموه فى كُل أكلهم، خاصةً البودينج، و أبلغتهم مارى أن هذا المسحوق هو اللى حيُنقذ حياتهم، بشرط عدم التواصل مع أى أطباء، أو مُشاركة أى شخص لأكلهم.

بعد أسابيع من الألام اللى عانى منها ويليام و ريبيكا، مات الأتنين، و فى بيت مارى، تم إكتشاف السم اللى كانت بتديهولهم تحت أسم بودرة أو مسحوق الطهى، بالإضافه لسرقتها ممتلكات كتير جداً من بيت ويليام و ريبيكا، و طبعاً كانت الأنسه بليث شخصيه وهميه من إختراع مارى، علشان يصدُر الحُكم عليها بالإعدام، و اللى حضر تنفيذه علناً أكتر من 20 ألف شخص، كتير منهم بالطبع كانوا من ضحايا مارى.

لسه فيه جزء صغير غريب جداً فى قصة مارى، أن بعد إعدامها تم تشريح جثتها، بعدها تمت دباغة شرائح من جلدها، و تحويل الشرائح اللى تم دبغها لتمائم سحريه، طارده للأرواح الشريرة.

****

قصة مارى هى قصه بسيطه، لكن برضه بتوضح أن العقل الجمعى البشرى طول الوقت، مُستعد لتقبل الخرافات اللى حتحققله نوع من الرضا النفسى، و خاصةً لو كان هذا الرضا نفسى دينى، و يمكن فى مُجتماعتنا عندنا عشرات الأمثله الأبسط لكن الأقوى، زى ظهورات السيده مريم فوق بعض الكنايس، زى الناس اللى بتروح للمُعالجين الروحيين، زى التصديق بقدرات بعض الأولياء، زى مُعجزات الشفاء، زى القدره على طرد الأرواح الشريره، زى عقائد بعض الطرق الصوفيه الميتافزيقيه.

طبعاً فى البوذيه و الهندوسيه فيه تفاصيل كتير جداً شبيهه، و فى كتير من المُعتقدات الأفريقيه الأصليه، و فى بعض حضارات أمريكا الجنوبيه، و اللى لاتزال موجوده ليومنا هذا. العقل الجمعى البشرى طول الوقت مُهيئ للخُرافه، اللى بتدّعى أنها حتخلصه من مشاكله، و اللى حتخليه يحقق حاجات كتير، هو عاجز عن تحقيقها بنفسه، و مُنتظر طول الوقت قوه خارجيه تنزله من السما، و تحققهاله.

02 يونيو 2024

المحطة الثالثة:

تحت الوصاية

" وَ أَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَ أُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" سفر الخروج 6:19

مُلوك و كهنه

على مدار التاريخ البشرى، و من بداية ظهور الأديان، و أنا هنا أقصد كُل الأديان اللى ظهرت على وجه الأرض، حتى ما قبل الديانات الأبراهيميه، لم يكُن الدين -إلا فيما ندر من الأديان- علاقه خاصه بين الإنسان و خالقه، و هو ده المفروض، و ده المفهوم الطبيعى للدين، لكن طول الوقت كان أغلب ممثلى الأديان، بيخلطوا السياسه بالدين، علشان يتمكنوا من أنهم يحظوا بالحسنيين، و فى أغلب الأحيان ال3 حسنيات، لو أضفنا المكاسب الماديه، و ربما كان كتير منهم بيتخذ الدين كمدخل للسلطه، و ده حدث بالفعل فى أغلب الأديان اللى ظهرت فى تاريخ البشريه، فالدين كان بيُصبح -أغلب الأحيان- أداة سُلطه و حكم.

كُل التفاصيل دى، بجانب رغبه شديده فى تحقيق نوع من الخلود و أستمرار تعاليمه، وصّلت مرزا حسين على النورى -مؤسس الديانه البهائيه- بذكاءُه الشديد جداً-، لأنه يمنع وجود مبدأ كهنوت أو رجال دين فى الديانه البهائيه بشكل تام، علشان تفضل تعاليمه بس، هى الموجوده و الباقيه، حتى بعد وفاته، و لهذا السبب، فالبهائيه ليس فيها أى كُتب غير كتبه، و بعض كتابات بسيطه لأبنه عبد البهاء، و لا شئ أخر، و لأن البهائيه عمرها أقل من 160 سنه، فمرزا حسين على النورى، و اللى أطلق على نفسه "بهاء الله"، حاول أنه يستفيد من كُل الأديان، فأقتبس من كُل دين ما يصلح فى تأسيسه لديانته، و ترك كُل ما لا ينفعه، علشان تظل أفكاره فقط هى المؤسسه للديانه البهائيه، حتى بعد موته.

بعض الأديان تداخل فيها الدين مع السياسه بشكل تام، فأصبح الحاكم هو الأمام الأعظم، و مثال على ذلك الأسلام فى فترات الخلافه المختلفه، فالحاكم هو أمير المؤمنين، و الحُكم كان من خلال الأحكام الدينيه، و الشرع هو الدستور.

البعض الأخر فصل الدين عن السياسه ظاهرياً فقط، لكن كانت السُلطه بالفعل للدين، و المثال هُنا حتكون المسيحيه فى أوروبا فى العصور الوسطى، فكانت السُلطه الدينيه مُتمثله فى البابا، أقوى و لها الكلمه النهائيه، من كُل السُلطات السياسيه

مُتمثله فى المُلوك و الحُكام، و المثال التانى كان له نماذج و أشكال كتير عبر التاريخ، حأتكلم عن بعضها خلال هذا الفصل و الفصل القادم.

فى بعض الدول اللى الدين فيها كان مُنفصل بشكل جزئى عن السُلطه السياسيه، كان الدين بيُستغل طول الوقت لتمرير قرارات سياسيه، و كان الدين أداه طيعه، و بحر واسع، و ممكن يتلاقى فيه فتاوى تصلح لأى قرار سياسى، أو حديث كان منسى، أو أيه أُسيئ تفسيرها قبل كده، و أنا هنا بأقصد بكلمة أيه، القرآن أو الكتاب المُقدس، و كنت ذكرت فى كتابى السابق "اللمبه"، مثالين مهمين جداً فى مصر فى فترات سابقه، حأذكرهم مره تانيه، للتدليل على النقطه دى تحديداً.

"الأضافات اللى بتدخل على الدين، و شويه شويه بتصبح جزء منه لها نوعين، النوع الأول بيكون عباره عن أضافه بيقررها الحاكم أو تكون فى مصلحته، و فجأه بيطلعلها أى سند يقول أنها من صلب الدين، و هنا حأضرب مثالين، واحد أسلامى، و الثانى مسيحى، و الأتنين كانوا فى فترات تاريخيه قريبه، بما يعنى أنها التعديل تم بعد ظهور المسيحيه بحوالى 2000سنه، أو بعد ظهور الأسلام بأكتر من 1400 سنه، و الغريب أن المثالين بيعدلوا فى موضوع شائك جداً، و هو الزواج، يعنى موضوع المُتضرر فيه بتكون أسره كامله، مش فرد، و تعال نستعرض مع بعض المثالين.

المثال الأول كان أول قانون ظهر فى مصر فى الألفيه الجديده، بمعنى أنه كان القانون الأول فى مصر لسنة 2000، يعنى من حوالى 23 سنه، فإللى فيكم أكبر من 35 ممكن يفتكر ظهور هذا القانون الدينى، و اللى بظهوره تم تحليل شئ مكنش له أى وجود قبل كده.

القانون اللى حأتكلم عليه طبعاً هو قانون الخلع، و اللى صدر نهائياً سنة 2000، بعد ما تمت الموافقه عليه دينياً، و طلع بعد كده أنه من صميم حقوق المرأه فى الأسلام. طيب ده يجرنا لسؤال، هل ما قبل سنة 2000 كان هو اللى مش صح، و كنا بنحرم المرأة من حق المفروض أنه شرعى، و لا القانون هو اللى غلط، و بيحلل شئ مش موجود فى الدين أصلاً، و بالتالى ممكن يسبب مشاكل أكبر؟ طبعاً أسئله ملهاش أى أى أجابات، و لا فيه أى شخص على وجه الأرض حيفيدك فيها.

لكن من المؤكد أن القانون أُصدر لأسباب سياسيه، لأن الفتره اللى ظهر خلالها، كان فى توجه نسوى كبير، فبغض النظر عن سؤال هو القانون ده صح و لا غلط، و لا شرعى أو غير شرعى، لكن فى النهايه القانون ظهر لتوجه ما.

و على الجانب الأخر، حدث شئ مشابه فى الكنيسه الأرثوذكسيه المصريه، حأحاول أشرحه بسرعه. خلال فترة تولى البابا كيرولس الرابع، من 1853 لحد 1961، بدأت الدوله المصريه تفكر فى وجود قوانين للأحوال الشخصيه، و طبعاً عُهد للبابا كيرولس الرابع -و اللى لُقب بأبو الأصلاح- تنظيم قانون الأحوال الشخصيه للمسيحيين، و من ضمنه طبعاً الطلاق، فكان فى القانون اللى أصدره البابا كيرولس الرابع، أكتر من عله أو سبب للطلاق، بمعنى السماح لطلب الطلاق من الطرفين لأكتر من سبب أو عله.

القانون تم أعتماده مره تانيه من خلال المجلس الملى فى عهد البابا يؤانس التاسع عشر سنة 1933، و فضلت أسباب طلب الطلاق زى ما أقرها البابا كيرولس الرابع. لكن لما تولى البابا شنوده كرسى الباباويه سنة 1971، كان من أول قراراته تعديل القانون الخاص بالطلاق، و أصبح السبب الوحيد للطلاق فى المسيحيه من وقتها هو "علة الزنا". ده حياخدنى لنفس السؤال السابق، هو مين فيهم الصح؟ كِلا الثلاثه تولوا كرسى الباباويه، يعنى أعلى مرتبه كنسيه، لكن كما يقال "هناك تأويل فى فهم النص"، و هنا النص كان عباره عن أيه فى الأنجيل خاصه بالطلاق."

المهم بالنسبالى فى كُل ما سبق، هو قدرة الدين طول الوقت، على تلبية أى أحتياجات سياسيه، و عايزك تفتكر معايا أن دى من علامات نهاية الأيام فى بعض الأديان، و أقصد هنا مبدأ "التدليس بالدين"، و إستخدامه لتشريع أوامر مش موجوده فيه، و برضه بأكد أنى أقصد أى دين، و فى أى عصر، و فى أى بلد فى العالم.

أزاى كان الدين من أهم وسائل الترهيب و السيطره على مر العصور، أزاى و بشكل مُنظم و مُتسلسل، أنتقلت الفكره من جيل لجيل و من دين لدين، أزاى الدين مش علاقه خاصه بين الإنسان و خالقه، حقيقى بعض الدول الأوربيه و الولايات المُتحده

الأمريكيه، تخصلت من هذه السيطره مؤخراً، لكن بعد قرون من سيطرة الكنيسه على الحياه و البشر بشكل تام و كامل.

بأسم الدين، كان مطلوب طول الوقت و على مدار التاريخ، وضع الشعوب تحت الوصايه، أنت طول الوقت لازم تكون مش عارف و محتاج اللى يقودك للصح، و بما أن الدين هو نازع داخلى فطرى فى أغلب البشر، فتم إستخدامه طول الوقت لوضع الشعوب تحت وصايه وهميه، و حأدلل بورطه حأذكرها فى الفصلين القادمين، وقع فيها رجال الدين المسيحى فى أوروبا، و من بعدهم رجال الدين الإسلامى، كانت أحد أهم أسباب فقدان جزء من الوصايه و السيطره، سواء بالنسبه لرجال الدين المسيحى، أو رجال الدين الإسلامى.

نقطه تانيه فى غاية الأهميه و حأشرحها بالتفصيل لما أوصلها، و هى هل فكرة النظام الكهنوتى، و المقصود بيه فكرة وجود الباباوات مسيحياً، و الشيوخ أسلامياً، و الرابيات يهودياً، لها أصل من صميم الدين، من الكُتب المُقدسه؟ حأأجل الإجابه لما أتكلم عن كُل دين على حده.

طيب، هل الكلام ده له أى علاقه بفكرة الخوف الدائم من نهاية العالم و ما وراء الموت؟ الإجابه ببساطه، نعم. على مدار فصول الكتاب الأولى، أكتشفنا كيف تم ربط الغضب الإلهى بالكوارث الطبيعيه و فناء البشريه، و فناء البشريه معناها الموت و ما وراءه. فى نفس الأوقات تم ربط عدم طاعة أُولى الأمر، سواء كان ولى أمر دينى أو حاكم، بطاعة الله، فمعنى ذلك أن رفض طاعة أُولى الأمر، هو رفض أمر إلهى.

نقطه تانيه، و هى أن واحد من أكتر المواضيع اللى بيتم إستخدامها فى أغلب الأديان من قبل رجال الدين هو الموت، عذاب القبر، عذاب الأخره، التخويف طول الوقت هو سلاح بيُستخدم لإخضاعك، بالإضافه لإقناعك أنك طول الوقت مُخطئ، مُذنب، و هذه النقطه بشكل خاص، تم إستخدامها فى كافة الأديان، لضمان إستمرارية إخضاع الناس، لأن طول الوقت، مفاتيح الجنه أو الملكوت فى يد رجال الدين، و التوبه من كُل ذنب لها تمن، و التمن هُما بس اللى عارفينه، الكلام ده حدث فى أوروبا فى العصور الوسطى، و حأتكلم عنه فى الفصل القادم.

بعضنا ممكن يفتكر فيلم الزوجه التانيه، لما لعب الممثل حسن البارودى دور الشيخ المُدلس، و إستخدم الأية 59 من سورة النساء: **"أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ"**، لإقناع الزوج، و اللى لعب دوره شكرى سرحان، بتطليق زوجته لصالح العُمده، لأن العُمده هو أُولى الأمر، و اللى طاعته يُفترض أنها مش بس واجبه، لكنها كمان فرض دينى.

فإستغلال الأديان، و أنا هنا بأعنى أغلب الأديان، و خاصةً الأديان الإبراهيميه، لمبدأ ربط طاعة ولى الأمر، بطاعة الخالق، هى فكره إستُغلت بشكل دائم و مُستمر على مدار التاريخ، و عدم طاعة أولى الأمر بتعنى غضب إلهى، و الغضب اللإلهى يعنى دائماً العقاب الإلهى.

تصوير الحاكم على أنه مبعوث إلهى، فكره ظهرت من قديم الأزل، و أحياناً الحكام بيكونوا نصف إلهه، أو ممثلى للألهه على الأرض، و ده كان موجود فى الحضارات القديمه، المصريه، الإغريقيه، الرومانيه، و كتير من الحضارات الأخرى، اللى قدست الحكام، لكن كان هُناك دائماً من يُدير الأمور، و هما بالطبع طول الوقت، رجال الدين.

علشان أوصل معاك لواقعنا المُعاصر، لازم كالعاده تكون البدايه من الماضى، لأن الفكره أن ثقافة أى مُجتمع، بتكون فى الأغلب هى تراكمات ثقافيه على مدار التاريخ، اليهود فى كُل مكان فى العالم، ما زالوا بيمارسوا طقوس فى إحتفالتهم بأعيادهم، مر عليها لأكتر من 2000 سنه بدون أى تغيير. الهندوس عاداتهم و طقوسهم هى هى من قديم الأزل، علشان كده لازم ندور فى البدايات، علشان نوصل لجذور كُل ما نحنُ فيه حالياً.

حأستعرض معاك سريعاً بعض أشكال ربط الدين و السياسه على مر التاريخ، حنشوف أزاى الدين كان المُسيطر على مقاليد الأمور طول الوقت، أزاى رجال الدين فى أوقات كتير سيطروا على الحكام، و أزاى أحياناً كتير كانوا متواجودين بشكل خفى فى السلطه، لكن فقط، لخدمة أوامر الحكام.

****

أحب أبدأ من الخليه الأولى، من المجتمعات البسيطه البدائيه، و اللى أستمرت على هذا الشكل، حتى نهايات القرن ال19 ميلادياً تقريباً، و حأبدأ من أفريقيا، كنموذج لكُل أشكال الحضارات البدائيه، سواء فى أمريكا الجنوبيه أو سكان قارة أستراليا الأصليين. هذا النموذج اللى قد يبدو بدائى بعض الشئ، لكنه بيحمل كُل ملامح التجربه، زيه زى أى نموذج حُكم فى أى دوله من دول العالم التالت. هذا النموذج ما زال موجود فى كتير من الدول الأفريقيه، زى قبائل الووداابى فى النيچر و تشاد، و قبائل الهيمبا فى ناميبيا و أنجولا، و اللى ما زالوا بيعيشوا شكل الحياه كما كانت من ألفين سنه أو أكتر، زى كتير من قبائل أمريكا الوسطى و الجنوبيه حتى يومنا هذا.

كنت من فتره قصيره جداً قرأت بالصدفه روايه أسمها "Things fall apart" أو "الأشياء تتداعى" لأهم كاتب نيچيرى و أفريقى فى التاريخ، و أسمه "تشينوا أتشيبى"، و اللى بتُعتبر أعظم روايه أفريقيه فى تاريخ الروايه العالميه. الروايه كان فيها من التفاصيل المهمه بالنسبالى، أكتر بكتير من عشرات الأبحاث اللى قرأتها عن هذا الموضوع، لأنها كانت المُفتاح الرئيسى بالنسبالى، لفهم كتير من العادات الثقافيه المذكوره فى الأبحاث، و خاصةً أن اللى كتبها عايش بشكل كبير، كتير من تفاصيل التجربه اللى أنا أقصدها فى هذا الجزء.

الروايه بتتكلم عن اللحظات الفاصله بين مرحلتين فى تاريخ نيچيريا، مرحلة ما قبل الإستعمار، و مرحلة دخول المُستعمر البريطانى سنة 1884. الأحداث بتدور كُلها داخل أحد القبائل، و من خلال الروايه بنكتشف أن فكرة "الدين" فى المرحلتين، لعبت الدور الرئيسى فى الحياه السياسيه. قبل الإستعمار، أزاى كان الدين هو أداة الحكم الرئيسيه فى القبيله، و دور الكاهن و قوته، و تحكُمه الكامل و التام فى الحياه فى القبيله. أما أثناء مراحل بداية الإستعمار، و التمكين التام للدول المُستعمره، فبنكتشف مره أُخرى، أزاى كان التبشير بالمسيحيه، هو المدخل الأول و الرئيسى للإستعمار، للدخول و السيطره على كُل دول أفريقيا.

حيهمنى من القصه الجزء الأول، و هو دور الدين و الكهانه فى قبائل أفريقيا، و أزاى تمت السيطره من خلال الدين، على كُل هذا المجتمع بكافة طوائفه، و أزاى تم التحكُم الكامل مادياً و جسدياً و فكريا فى كُل هؤلاء البشر، فقط بأسم الألهه، و كان الكاهن هو الشخص الوحيد المسموح له بالتخاطب مع الإله. الكاهن فى المُجتمعات

التقليديه الأفريقيه، كان أقرب للأنبياء، لأنهم كانوا بيُمثلوا الوسيط الوحيد بين الإله و الشعب، فكان الكاهن بيُمثل الشعب أمام الإله، و الإله أمام الشعب.

من بحث لأستاذ دكتور كانو أنطونى، قسم الفلسفه، جامعة نيچريا، بعنوان **"علماء المجمع الكهنوتى فى المجتمعات التقليديه الأفريقيه"**، تحدث فيه الباحث عن الدور اللى لعبه، و ما زال بيلعبه، الكهنه فى المجتمعات الأفريقيه، و اللى أغلبها بيتشابه من الناحيه العقائديه، و حأبدأ إقتباسى منه بالتمهيد:

"للكاهن فى المُجتمعات التقليديه الأفريقيه مكانه فريده و دور مُهم فى حياة أغلب السكان المحليين. أولاً، لأنه هو من يقف بين الإله الخالق و البشر، هو جسر بين المُصلين و الهدف من الصلاه، و لهذا السبب فهو يُمثل الوسيط بين الإله الخالق و البشر، بمعنى أنه بينقل من الإله للبشر، و من البشر للإله. الكهنه بيُمثلوا رمز دينى للإله، أخصائيين مُقدسين، لهم لغتهم الخاصه، لهم رموزهم الخاصه، معارفهم الخاصه، و مُمَارستهم الخاصه، المُدمجه داخل شخصياتهم."

بتعتقد معظم المُجتمعات التقليديه الأفريقيه، و حأضرب مثال مره تانيه بقبيلة إيجبو النيچيريه، و اللى كنت أتكلمت عنها فى فصل "ما وراء الموت"، و ديانتها المُسماه "ديانة الإيجبو"، أن الأرواح بتشاركنا هذا العالم، سواء الأرواح الخيره أو الشريره، و الأرواح دى، بطريقه أو بأخرى، بتؤثر و بتتحكم فى أنشطة البشر و فى حياتهم، و كمان فى حياة النباتات و الحيوانات.

و نتيجة لهذا الإعتقاد، فكُل تفصيله فى حياة أى إنسان، هى إما مكافأه أو عقوبه من الإلهه، سواء لشئ قام بيه هذا الشخص نفسه، أو أحد أسلافه المُتوفين. لعلاج

أو تفادى أى عُقوبه، بتتم عملية تقديم القرابين أو الأُضحيه، و هى طبعاً التضحيه بحيوان أو ذبيحه، لكن قبل تقديم أى أُضحيه، لا بد من إستشارة الكهنه، لأنهم الأدرى بنوعية الذبيحه المطلوبه من قِبَل الإله. الشئ بالشئ يذكر، فكتاب "الأشياء تتداعى" للكاتب النيچيرى الكبير تشينوا أتشيبى، تضمن العديد من التفاصيل الخاصه بتقديم القرابين المُختلفه فى كُل مُناسبه، و إختلاف نوع القربان من خطيئه لأخرى، و أحياناً كانت القرابين بتكون قرابين ماديه.

الكهنه فى المُجتمعات التقليديه الأفريقيه كان لهم أدوار كتير من بينها الطب، كانوا برضه بيُسموا صانعى المطر، كانوا بيتحكموا تماماً فى القبائل بأسم الإله الخالق. الترهيب من غضب الإله، كان جزء أساسى من الدور اللى بيلعبه الكاهن، علشان كده كان بيتم طلب القرابين للإله طول الوقت.

فى المُجتمعات الأفريقيه كان فيه بعض الأخطاء، اللى الإله كان بيعتبرها أخطاء كبيره، لدرجة أنها ممكن تمنع شخص ما، من الوصول لقيادة القبيله، و ده بيُمثل نموذج من تحكُم الدين فى الحياه السياسيه، فى هذا النموذج المُصغر للمُجتمع. بأسم الإله بيُعلن الكاهن عن هذا النوع من الأخطاء، فبالتالى بيتم منع هذا الشخص، من التدرج فى سلم القياده فى القبيله.

و بالرغم من أن القرابين كانت بتحل كُل شئ، لكن فى بعض السلوكيات زى القتل، القرابين مش بيكون لها دور، أحياناً و بأمر الإله المُمثل فى الكاهن، بيتم نفى شخص ما من القبيله، أحياناً لو شخص قام بالإنتحار، بيُمنع من الدفن، و لازم رجال من قبيله تانيه هم اللى يشيلوه، و يدفنوه خارج حدود قبيلته الأصليه.

أخر جزء حيهمنى أتكلم فيه عن الكهانه فى المجتمعات التقليديه الأفريقيه، هو أزاى كان ممكن شخص يتميز عن غيره و يُصبح كاهن، على أى أساس كان بيتم أختياره لهذا الدور المُهم و المحورى؟

فى البدايه، بالتأكيد مفيش جهة ما بتخرج كُهان، مفيش مدرسه بتعلم الكهانه، لكن كان التقليد المُتبع أن الكاهن العجوز القديم، كان بيختار شاب يكون مُهتم بالعباده، علشان يكون مساعد له، و فى الأغلب بيكون أبنه أو أحد أقربائه، و بيبدأ

هذا الشاب فى التدريب و التعلُم من خلال الكاهن الأكبر، مع وجود العديد من المهام لهذا المساعد الشاب، لكنها فى الأغلب بتكون مهام غير دينيه.

فتره التدريب يُفترض أنها لا تقل عن 3 سنين، بيتعلم فيها هذا الشاب كُل ما يخص الطقوس، و أنواع القرابين، و خلال هذه الفتره يُفترض برضه إبتعاد هذا المساعد الشاب عن الناس بشكل شبه تام. طبعاً من الواضح أن الكهانه غالباً بتتم عن طريق التوارث فى هذه المجتمعات، للحفاظ على المنصب داخل الأسره، و الأهم من المنصب طبعاً، هو كُل مُكتسبات المنصب.

****

تانى نموذج حأستعرضه، هو نموذج الكهانه فى مصر القديمه، و أنا حأكتفى بالحضاره المصريه القديمه، لأنها أقوى نموذج فى الحضارات الإنسانيه القديمه، بيُمثل هذه العلاقه الثلاثيه، الإله، الحاكم، الكاهن. الحضاره فى مصر القديمه كانت حضاره دوله، مش ثقافة قبيله زى المثال السابق، فهنا كان تأثير الكهنه و دورهم على مستوى شعب كامل، مش مُجتمع محدود، و من هنا بتيجى قوة و أهمية دور الكاهن فى الحضاره المصريه القديمه.

كان المُعتقد العام فى مصر القديمه، إن الكهنه هم أشخاص لهم علاقه خاصه جداً مع الإله. وظيفة الكاهن الرئيسيه فى مصر القديمه، كانت رعاية الإله أو الألهه،

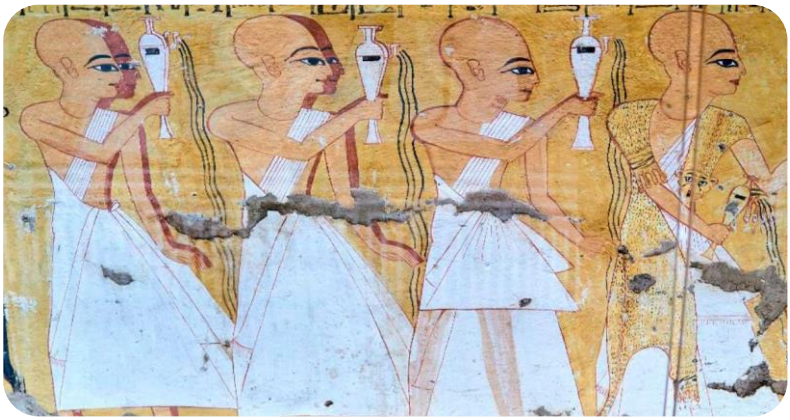

و طبعاً تنفيذ طلباتهم و أوامرهم، للوصول لمرحلة الرضا الكامل منهم، علشان كده كان الكهنه فى البدايه، أرفع من مستوى تقديم الخدمات البشريه، بمعنى أن الكهنه فى مصر القديمه فى العصور الأقدم، لم يكن لهم أى تعامل مباشر مع عامة الشعب، ففى البدايه لم يكُن الكهنه بشكل عام، بيقوموا بأى نوع من الوعظ أو تفسير للنصوص المقدسه، أو تقديم أى نوع من الخدمات الدينيه أو الروحيه للشعب .

و لأن عملهم كان خاص بالإله أو الألهه، فكانت مُشاركة الكهنه فى الحياه العامه، هى فقط كجزء من عملية إرضاء الألهه، زى عيد فيضان النيل و ما شابه من الأعياد. كانت الحاله العامه الجيده للبلد و للشعب، من صحه، رخاء، وفرة محاصيل...إلخ، هى دليل على رضا الألهة عن التضحيات و القرابين المُقدمه لهم، و العكس صحيح، فالمرض و الجوع و الفقر، كانوا بيُمثلوا مؤشرات عن عدم رضا الألهه، و عن رفضهم للتضحيات و القرابين، و كان على الكهنه فى هذه الحاله، البحث عن سبب عدم رضا الألهه، و الجزئيه دى شديده الشبه ببعض التفاصيل اللى ذكرتها فى النموذج السابق، عن دور الكاهن فى المجتمعات التقليديه الأفريقيه. و طبعاً البحث عن أسباب الغضب الإلهى، معناه بالتأكيد وجود خطأ ما من الشعب، و الخطأ ده واجب التكفير عنه، عن طريق المزيد من التضحيات و القرابين، و الهبات.

الملك فى مصر القديمه كان يُفترض أنه الكاهن الأعظم، و هو الوحيد القادر على التواصل مع الألهه، و المعلومه دى كنت ذكرتها فى فصل "أبوكاليبس"، لكن نظراً لأن الملك له العديد من المهام الدنيويه، فكان لابد من شخص أخر يلعب هذا الدور الدينى البحت، فكان هُناك كبير الكهنه، و اللى بيتم أختياره من قِبل ما يُشبه المكتب الملكى. كبير الكهنه كان غالباً فرد من العائله الحاكمه، يعنى فى أغلب الأحيان بيكون قريب للملك.

كبير الكهنه كان بيلعب كُل الأدوار الدينيه اللى الملك من المُفترض بكونه الكاهن الأعظم أنه يقوم بيها، و من الواضح أن تلقيب الملك ب"الكاهن الأعظم" كان نوع من المجامله، زى اللى بيحصل فى أغلب دول العالم التالت ليومنا هذا، فكان كبير الكهنه بيُشرف على جميع الإلتزامات المُستحقه للألهه، و الأشراف على هيئة الكهنه و موظفى مجمع المعبد.

تطور دور الكهنه خلال عصر الدوله القديمه، لما بدأ المُلوك فى التفكير فى إنشاء المبانى الجنائزيه الضخمه، كنوع من التخليد لذكراهم، فبدأ للكاهن يكون له دور خارج المعبد، و هى الطقوس الجنائزيه للملك المُتوفى، اللى برضه سبق و ذكرتها فى فصل "ما وراء الموت"، و كانت الطقوس دى بالنسبه للملك -قبل وفاته- فى غاية الأهميه، لأنها بتُمثل له نوع من الضمان للخلود، للحياه الأخرى، فمن هنا بدأ يتعاظم دور كبير الكهنه بالنسبه للملك.

لضمان إخلاص الكهنه لهم حتى بعد الوفاه، بدأ المُلوك يُعظموا من دور الكهنه - خاصةً طبعاً كبير الكهنه- و يزيدوا من صلاحياتهم، و الأهم مكاسبهم الماديه، فأعفى مُلوك الدوله القديمه الكهنه من أى نوع من أنواع الضرائب، خاصةً الضرائب المُرتبطه بالأراضى الزراعيه الشاسعه، اللى كان الكهنه بيمتلكوها، و ده طبعاً مع زيادة المُخصصات الماليه الخاصه بيهم بشكل كبير، و من هنا بدأت ثروة الكهنه، و خاصةً كبير الكهنه، تُعادل ثروة الملك نفسه.

من المرحله دى، و مع ظهور كتاب الموتى، بدأ ظهور نوع من الكهنه الغير ملكيين، و طبعاً على درجه أقل بكتير من الكهنه الملكيين، بيتعاملوا مع الشعب، خاصةً فى الطقوس الجنائزيه، و كنت برضه ذكرت هذه النقطه فى فصل "ما وراء الموت"، فكان بعض الكهنه بيتلوا النصوص المقدسه فى المراسم الجنائزيه، و منهم اللى كان بيكتب نصوص التعاويذ المُخصصه للمُتوفى، و كان فيه الكاهن الساحر، و الكاهن الطبيب، و كُل الفئات اللى كانت بتتعامل مع الشعب، ده غير الكاهن الفلكى، اللى كان بيتعامل مع القصر الملكى.

كان أهم دور للكهنه فى مصر القديمه، هو الحفاظ على ال"ماعت"، و ال"ماعت" هو المفهوم الأساسى للتوازن فى الحياه فى المُعتقدات المصريه القديمه، و منه طبعاً ظهر مفهوم "ريشة ماعت"، فكانت التضحيات و القرابين و الصلوات و الأحتفالات الدينيه، كُلها بهدف رضا الإله أو الألهه، للحفاظ على حالة التوازن أو ال"ماعت".

علشان تكون كاهن فى مصر القديمه، كان لازم تلتحق بمدارس المعابد المتخصصه، و تخضع لأنواع كتير من التدريب و الإختبارات. كان الكاهن بيدرس بجانب النصوص المقدسه و اللغه، الفلك، و الرياضيات، و الطب، و طبعاً مش

شرط أن كُل اللى بيدرسوا بيوصلوا لدرجة الكهانه، و ده طبعاً فرق حضارى كبير بين كهانة المجتمعات التقليديه الأفريقيه، و الحضاره المصريه القديمه.

الكهانه فى مصر القديمه، على عكس المجتمعات التقليديه الأفريقيه، كانت بتضم رجال و سيدات، كان الكهنه الذكور أسمهم (هيم-نتجر) و الإناث باسم (هيميت-نتجر)، و معنى الكلمه فى الجنسين "خادم الإله". طبعاً الكهنه كان لهم تسلسل هرمى، بالضبط زى النظام الباطريركى المسيحى، و كان برضه هُناك مرتلين أو مرنمين زى المسيحيه، و بالمُناسبه، فالمسيحيه أخدت كتير من تفاصيل الديانه، من الديانات المصريه القديمه، و كنت عملت فيلم تسجيلى من حوالى 6 سنين، عن الألحان الكنيسه فى الكنيسه الأرثوذوكسيه المصريه، فأكتشفت أن المسيحيين الأوائل أقتبسوا كتير من الألحان الجنائزيه المصريه، و تم تغيير الكلمات لتُصبح ألحان مسيحيه، بيتم إستخدامها فى الكنائس الأرثوذوكسيه المصريه ليومنا هذا، و أشهرهم لحن "غولغوثا".

منصب كبير الكهنه بدأ فى البدايه غير مُتوارث، لكن مع إزدياد قوة الكاهن و سيطرته و نفوذه، و بالطبع مع إزدياد ثرواته، أصبح المنصب متوارث من جيل لجيل، و ده بيُشبه بشكل كبير، المُجتمعات التقليديه الأفريقيه، و طبعاً المنصب فى أى دين أو أى حضاره، هو منصب جدير بالحفاظ عليه داخل العائله، لكُل ما له من مميزات، فلهذا السبب، حنكتشف أنه كان مُتوارث فى أغلب الحضارات و الديانات.

كبير الكهنه كان تقريباً هو المُقرر الرئيسى لكُل خطوه أو قرار مهم فى البلاد، لأن الملك كان بيستعين بيه فى إتخاذ أغلب قرارته، طبعاً ده غير إستشاراته الدائمه للملك، فهنا تحول المنصب من منصب دينى، لمنصب سياسى رفيع المستوى.

مع مرور الزمن، بدأ الكهنه فى مصر القديمه، فى خدمة أنفسهم، أكتر من خدمة العمل المنوطين بيه، بدأوا فى الأهتمام بأرضهم و تنميه مكاسبهم الماديه، أكتر من أدوارهم الدينيه، و كانوا أحد أسباب الإنهيار الأقتصادى فى نهاية الدوله القديمه، بسبب أنهم أمتلكوا مساحات شاسعه من الأراضى الزراعيه كهبات، و هنا الدوله كانت بتخسر جزء كبير من أراضيها لصالح طبقة الكهنه، بالإضافه لعدم دفعهم لأى ضريبه لخزينة الدوله.

بدأ الإله أمون كإله صغير محلى فى مدينة طيبه خلال الدولة القديمه، لكن مع دخول مصر عصر الدوله الوسطى، لكن مع أزدياد قوة الدوله و مركزيتها، أصبح أمون هو الإله الرئيسى للدوله المصريه القديمه، و أزدادت قوته مع دخول عصر الدوله الحديثه، و خلال الدوله الوسطى و الدوله الحديثه، أستحدث الكهنه بدعه جديده، زادت من قوة إحكام سيطرتهم على الدوله، و هى بدعة "زوجة الرب أمون".

البدعه الجديده زادت من سيطرة كبير الكهنه على الحكم، لأن أختيار زوجة الرب أمون، كان بيتم من بين سيدات الأسره الملكيه، كان ممكن تكون أم الملك، أخت الملك، أو حتى زوجته نفسها. وكانوا بحكم هذا اللقب العظيم، بيشاركوا تحت إمرة كبير الكهنه فى الطقوس و المراسم، و فى إقامة الشعائر، و فى كتير من التفاصيل الخاصه بالإله، و طبعاً كُل ده تحت قيادة و إشراف كبير الكهنه. من بين زوجات أمون كانت الملكه أحمس نفرتارى، زوجة أحمس الأول، و الملكه حتشبسوت.

المهام الدينيه لزوجة الرب أو الإله، كان معاها مكاسب ماليه كبيره جداً، فأصبح لها إعفاءات ضريبية عن الأراضى، الإسكان، الغذاء، الملابس، الذهب، الفضه، النحاس، الخدم، الشعر المُستعار، المراهم، مستحضرات التجميل، الماشية، و الزيت. و إذا كانت مُعظم الإعفاءات هدفها أداء واجباتها كزوجه للإله، إلا أن إعفاءات الأراضى كانت مكاسبها بتخُص زوجة الإله مباشرة، باعتبارها مِلك شخصى لها، و مش للمعبد.

المنصب أو اللقب "زوجة الإله" اللى بدأ بشكل شرفى، لكن أصبح له مع الأيام سُلطه و نفوذ و قوه، و بدأت البدعه تصل لبعض الألهه الأُخرى، فأصبح هُناك زوجة للإله رع، وزوجة للإله بتاح، بالإضافة إلى زوجة الرب أمون.

تفاصيل كتير لا داعى للدخول فيها، لكن نوصل للملك أمنحوتب الرابع أو أمينوفيس الرابع، و اللى غير أسمه، بجانب تغييرات جذريه عملها، كانت خاصه بالديانه الرسميه للدوله، و سمى نفسه "أخناتون".

كتير من الأراء مالت لأن الإصلاحات الدينيه اللى قام بيها أخناتون، كانت نوع من المناوره السياسيه الذكيه منه لتقليص سلطة طبقه الكهنه، اللى وصلت فى بعض فترات الحكم أنها كانت تُوازى سلطة الملك.

اللى عمله أخناتون كان قرار دينى ظاهرياً، لكنه كان سياسى فعلياً، لأن أخناتون وحد العباده فى إله واحد فقط، و هو إله جديد تماماً أسمه "أتون" إله الشمس. معنى كده أن كُل كهنة الألهه الأُخرى أصبح ليس لهم أى دور، لأن أخناتون قام بتحويل الدوله كُلها لعبادة إله واحد، و هو "أتون".

أخناتون لم يكُن متصور أنه مش بيقاوم الكهنه فقط، لكنه كان بيقاوم تقاليد مدتها أكتر من ألفين سنه، بيقاوم شعب دان بألهه -خاصةً أمون- لمئات السنين، فإذا كان نجح فى التغيير أثناء حياته، فبعد وفاته مباشرةً، عاد وريثه الملك "توت عنخ أمون" لعبادة أمون مره تانيه، و ده واضح من أسمه، و عاد كهنة أمون مره تانيه لقوتهم و سيطرتهم، و كأن شيئاً لم يكُن، و أعتقد أن العوده للإله أمون، كانت بتأثير و ضغط من الكهنه على الملك الطفل، اللى كان عمره وقت ما تولى 9 سنين.

و من بعده كان الملك حور مُحب، اللى محى اسم أخناتون تماماً من التاريخ، غضباً منه لعدم أحترامه الألهه.

****

فكرة الكهانه بتتشابه فى جميع الثقافات و الحضارات و الأديان. الكاهن أو رجل الدين، كان قادر على السيطره على العقل الجمعى، لأن المجتمعات بتحتاج طول الوقت لفكرة القياده الروحيه، العقل الجمعى بيحتاج لشخص يُعتقد أنه وسيط بينه و بين الإله، لشخص يوفر له فتاوى حسب الطلب، و نتيجةً لكل هذا ، فقوة نفوذ رجل الدين طول الوقت موجوده، و بتزيد معاها طول الوقت أرصدته الماديه.

أنا شفت بنفسى فى الهند، إستفادة رجال الدين من كافة الديانات الهنديه المختلفه -و على رأسها طبعاً الهندوسيه- من كُل القرابين و الهبات و العطايا اللى بتُقدم للألهه، من أول الأكل، لجميع أنواع القرابين و الهبات.

أنا شفت ده برضه فى مصر، من خلال العديد من الطرق الصوفيه، و قوة شيخ الطريقه و نفوذه على أتباعه، و أنا هنا بأتكلم خارج إطار الهيكل الأسلامى الرسمى، لكن أتباع كتير من الطرق الصوفيه بيكونوا شبه مُغيبين، فى حضرة الشيخ، أو الأمام، أو الولى، أنا شفت بنفسى كم الإستفاده الماديه لبعض مشايخ أو أئمة الطرق، سواء

من تبرُعات الأتباع أو المُريدين، أو من الهبات و الهدايا، و اللى مكنت كتير منهم للوصول لثروات خرافيه تفوق ثروات المُلوك.

الكلام عن هذا الموضوع كتير و كبير و مُتشعب، لكن أنا حأكتفى من الحضارات و الثقافات القديمه، بالمثالين اللى أنا ذكرتهم فقط، و هما كافيين جداً للدلاله على الفكره، و لتوضيح كيفية نشوء و تبلور فكرة الكهانه فى الحضارات و الثقافات القديمه، علشان ننتقل للجزء التانى من الفصل، و هو تأثير الفكره على أول مُجتمع دينى أبراهيمى، و هو طبعاً المُجتمع الدينى اليهودى، و خاصةً فى مرحلتى النشأه و البدايات.

****

على مدار الزمن، و نتيجه للظروف اللى مر بيها الشعب اليهودى على مدى تاريخه، فكانت بداية النظام الدينى فى اليهوديه لها منظومتين. المنظومه الأولى، هى المنظومه شبه الملكيه، لا تتعامل مع الشعب، و أفرادها من نسل محدد. أما المنظومه التانيه، فهى المنوطه بالتعامل المباشر مع الشعب، و ده شديد الشبه بالمنظومه الكهنوتيه الفرعونيه، و هنا بيظهر تأثير آخر للحضاره الفرعونيه على الديانه اليهوديه. لكن مع تدمير الهيكل المُقدس أو السنهيدريم "هيكل سليمان" التانى سنة 70 ميلادياً، أختفت تماماً المنظومه الأولى، و أستمرت المنظومه التانيه فقط ليومنا هذا.

اليهوديه، و نتيجه كتابتها على مدى فتره زمنيه طويله جداً، تأثر خلالها اليهود بأكتر من حضاره و ثقافه مختلفه، فكان طبيعى أن فكرة الكهنوت تكون موجوده فى اليهوديه. فكرة الكهانه تواجدت فى التناخ، و تحديداً فى التوراه أو أسفار موسى الخمسه، و كان أول ذكر للكهانه من خلال نص بيتكلم عن أول كاهن و هو "ملكى صادق"، اللى تواجد فى فتره أقدم من ظهور اليهوديه. ملكى صادق عاصر أبو الأنبياء أبراهيم، و النص كان من خلال سفر التكوين، الإصحاح 14، الأعداد 18 و 19:

"18 وَ مَلْكِي صَادِقُ، مَلِكُ شَالِيمَ، أَخْرَجَ خُبْزًا وَ خَمْرًا. وَ كَانَ كَاهِنًا لِلّٰهِ الْعَلِيِّ. 19 وَ بَارَكَهُ وَ قَالَ: «مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ،"

كمان تم ذكر بعض الكهنه فى بعض الحضارات الأقدم، زى كهنة مصر القديمه، من خلال ذكر الكاهن "فوطي فارع"، كاهن مدينة أون فى مصر القديمه، و هو والد "أسنات" زوجة النبى يوسف، و ده كان سبب ذكره فى التوراه.

تالت كاهن قديم مذكور فى التوراه كان "يثرون"، كاهن مدينة مديان، و اللى تقريباً كان موقعها بالقرب من مدينة تبوك السعوديه الحاليه، و هو والد "صفوره" زوجة الرسول موسى، و اللى تزوجها أثناء هروبه من مصر، و إستقراره فى مديان.

طبعاً كُل التفاصيل السابق ذكرها، بتوضح مدى تأثُر اليهوديه بفكرة الكهانه فى الحضارات و الثقافات المختلفه، اللى عاصرها اليهود من خلال تنقلاتهم المُختلفه، حتى فى مرحلة ما قبل نزول التوراه.

أحب أدلل على قوة دور الهيكل الدينى فى الديانه اليهوديه، بأن بالرغم من أن عدد من كتبوا التناخ كان أكتر من 20 نبى، لكن أستطاعت كُتب التلمود و المدراش -اللى سبق الحديث عنها-، و اللى كتبها بعض الحاخامات (الرابايات) اليهود على مدار أكتر من ألف سنه، من الوقوف جنباً لجنب مع التناخ فى قوته التشريعيه. كتير من التشريعات اليهوديه مصدرها كُتب التلمود، كتير من الأحكام مصدرها كُتب التلمود، طبعاً ده غير أن فعلياً، الحاخامات هم اللى كتبوا التناخ أثناء فترة السبى البابلى، لأن زى ما قلت سابقاً، التناخ مكتوب بعد فتراته الزمنيه المُفترضه، بزمن كبير جداً، فكُل ده يوضح أهمية و قوة دور الكهنه، و من بعدهم الحاخامات، فى الديانه اليهوديه. و بالمُناسبه فالكاهن فى اليهوديه غير الحاخام، لكن الأتنين رجال دين، لكن الحاخام هو المُتعامل مع الشعب، لأن الحاخام هو أشبه بشيخ الجامع أو القس فى الكنيسه.

فى سفر الخروج، و ده من أسفار موسى الخمسه، إذن فهو سفر توراتى، الإصحاح 19، الأعداد 5 و 6، كأن أول كلام فى التوراه و التناخ عن "الكهانه" فى مملكة إسرائيل، حتى لو كان بشكل شبه رمزى، لكن تم ذكر التعبير أو الكلمه، بما تحمله من ملامح مفهوم الكهانه، من خبرات اليهود السابقه مع الأمم المختلفه:

"5 فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَ حَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. 6 وَ أَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَ أُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ».

العددين السابقين بيُمثلوا أمر إلهى من الرب للرسول موسى، علشان يقوم بتبليغه لبنى إسرائيل، و أياً كانت التفسيرات الرمزيه المُختلفه للعددين، فهما بيوضحوا أهمية فكرة الكهانه فى اليهوديه، و بما أن بالشعب اليهودى هو شعب الرب، فالرب بيطلُب منهم أنهم يكونوا أمه مقدسه، على نفس درجة قداسة الكهنه.

لكن أول ذكر لمفهوم الكهنوت فى التناخ ككُل، ورد فى نفس السفر "سفر الخروج"، الإصحاح 40، الأعداد من 13 إلى 15، و حنجد فى الإصحاحات التلاته أمر مباشر من الرب لموسى، بمسح و تكهين أخيه هارون و أبناؤه:

"13 وَ تُلْبِسُ هَارُونَ الثِّيَابَ الْمُقَدَّسَةَ وَ تَمْسَحُهُ وَ تُقَدِّسُهُ لِيَكْهَنَ لِي. 14 وَ تُقَدِّمُ بَنِيهِ وَ تُلْبِسُهُمْ أَقْمِصَةً. 15 وَ تَمْسَحُهُمْ كَمَا مَسَحْتَ أَبَاهُمْ لِيَكْهَنُوا لِي. وَ يَكُونُ ذلِكَ لِتَصِيرَ لَهُمْ مَسْحَتُهُمْ كَهَنُوتًا أَبَدِيًّا فِي أَجْيَالِهِمْ."

الأعداد السابقه كانت التأسيس الفعلى لمفهوم الكهانه فى اليهوديه، مش بس كده، لكن كمان لتحديد ألية أختيار الكهنه، و علشان كده، أحتكر اللاويين الكهانه فى اليهوديه، و اللاويين هم أحد الأسباط ال12 لليهود، و الأسباط ال12 هم أبناء يعقوب (أسرائيل) ال12، و من بينهم طبعاً النبى يوسف، و بما أن الرسول موسى و أخوه هارون بينحدروا من أبناء لاوى أبن يعقوب (أسرائيل) أو اللاويين، فأحتكر اللاويين الكهانه فى اليهوديه لفتره طويله جداً فى بدايات اليهوديه، أما الحاخامات، فكان مُتاح يكونوا من أى سبط.

إذن فالمنظومتين الدينيتين فى الديانه اليهوديه هما الكهنه و الحاخامات (الرابايات)، فأيه كان الفرق بينهم؟ و إستخدام لفظ "كان"، لأن منظومة الكهنه لم تعُد موجوده فى اليهوديه، بدايةً من سنة 70 ميلادياً.

منظومة الكهنه، و هى المنظومه شبه الملكيه، كانت من نسل هارون، هارون كان أول كاهن أعظم فى اليهوديه، و من بعده أبنه أليعازر، و من هنا بدأ مبدأ توارث منصب الكاهن الأعظم، و ده اللى حدث بالفعل لفتره من الزمن، لحد ما أرتكب الكاهن الأعظم فينحاس خطأين فادحين، و ده كان فى عهد يفتاح الجلعادى، أحد القضاه اللى حكموا ملكة أسرائيل، فألغى أمتياز الوراثه لأبناء فينحاس و تحول لنسل إيثمار، الأبن الأصغر لهارون.

منظومة الكهنه كانت تعمل فقط داخل الهيكل المقدس، و علشان كده مع تدمير الهيكل المُقدس أو السنهيدريم "هيكل سليمان" التانى سنة 70 ميلادياً، لم يعُد هُناك أى كهنه، لعدم وجود هيكل مقدس من سنة 70 ميلاديا، حتى يومنا هذا.

كان دور الكهنه فى البدايه، أنهم يشرفوا على تقديم القرابين المنصوص عليها فى التوراه، زى المحرقة، التقدمه، تقدمة العجين، ذبيحة الخطيه، ذبيحة الإثم، إطلاق كبش الفداء، ذبيحة السلامة، ذبيحة الرفيعة، سكيب، ذبيحة البخور، تقدمة الشكر، و غيرها من أنواع القرابين، على مدار السنه العبريه.

كمان الكهنه كان لهم دور تانى، و هو ممارسة الطقوس اليهوديه المختلفه، زى البركه الكهنوتيه، والبقره الحمراء، و فداء الأبكار، و طقوس التطهير المُختلفه.

ال"كوهين جادول"، أو الكاهن الأعظم، كانت وظيفته فى بدايات اليهوديه، هى الإشراف على خدمة الهيكل، والعمل كزعيم روحى للشعب اليهودى. أما أهم مسئولياته، فكانت دخول قدس الأقداس فى يوم الغفران، اليوم الأقدس فى اليهوديه.

طبعاً الكهانه فى اليهوديه كانت ذكوريه فقط، على عكس كهانة مصر القديمه، و من بين الكهنه فى المعابد أو الكنيس اليهودى فئة ال"كوهانيم"، و كوهانيم هى جمع "كوهين"، و هو الكاهن المُنحدر من نسل هارون، و هذه الفئه لها وضعها الخاص فى الكهانه، و بيُعتبروا أعلى منزله من باقى الكهنه، و بيتوارثوا الكهانه أباً عن جد.

فصل اليهود من البدايه السلطه الدينيه عن السلطه السياسيه، علشان كده طول الوقت لم يكُن هُناك مُلوك أو حكام من سبط لاوى، ما عدا فتره واحده سُميت ب"فترة الحشمونين"، و اللى كانت ما بين القرن التانى و القرن الأول قبل الميلاد، و أستمرت لمدة تُقدر ب 120 سنه تقريباً، عدا ذلك، فالسلطه الدينيه كانت مُنفصله تماماً عن السلطه السياسيه.

الحاخامات (الرابايات)، كانوا فقط مُعلمين دينيين، و لا يُشترط فيه الأنتماء لعائله محدده. الحاخام عكس الكاهن، كان بيعمل بلا أجر، لم يكن يتكسب من الدين فى البدايه. الكاهن كان مصدر رزقه الوحيد هو الكهانه، أما الحاخام فهو مُعلم دينى، لكن كان لا يتكسب من الدين، و لهذا السبب، كان الحاخامات لابد يكون لهم عمل

أخر، أو مصدر دخل بجانب التعليم الدينى. بولس الرسول، أحد الأعمده الرئيسيه للديانه المسيحيه، و كاتب أقدم كتاباتها، كان قبل المسيحيه حاخام يهودى، و كان بيعمل كصانع للخيام. الخلافات العقائديه بين الكهنه و الحاخامات كانت كبيره و واضحه، خاصةً أن فترة وجود الكهنه كانت فى بدايات اليهوديه، فكانت كتير من المفاهيم لم تتبلور بشكل نهائي خلال هذه الفتره.

تغير الوضع حالياً بالنسبه للحاخامات، و أصبح فيه راتب بيتم تقاضيه، و من وجهة نظرى أن اليهوديه هى أقل ديانه حالياً فيها تأثير لرجل الدين بصفته رجل دين. أولاً، لأن مفهوم الأخره شبه ضبابى، و ما زال كتير من اليهود لا يؤمنوا بوجود حياه أُخرى. ثانياً، لأن مهنة الحاخام أقرب لمهنة شيخ الجامع، بيتم التعامل معاها كمهنه لها راتب، بشكل أكبر من فكرة البُعد و القداسه الدينيه.

25 يونيو 2024

"أنا المدعو جاليليو جاليلى، أُقسم إننى أمنت بكل معتقدات الكنيسة الكاثوليكية الرسولية بروما، و سأؤمن مستقبلا بكل تعاليمها و ما تبشر به، و أُعلن ندمي عن كل الأفكار والهرطقات التى أدليت بها مسبقا" من محاكمة جاليليو جاليلى

بأسم الرب

حتى صعود المسيح، لم تكن المسيحيه تُمثل ديانه على الإطلاق، لكن كانت مُجرد تحقيق لعقيده يهوديه أعلنها المسيح، و هى عقيدة المسيانيه أو المسيح المُخلص، و لأن المسيح أعلن عن نفسه فى وسط مُجتمع يهودى، له قواعد و إشتراطات لقبول هذا المساياه، و قبل و أثناء حياة المسيح، أعلن العشرات بأنهم المساياه، فكان رفض كثير من اليهود للمسيح بإعتباره "المساياه"، بُناء على هذه القواعد و الإشتراطات.

فى الأناجيل كتير من الأيات اللى بتُدلل على أن المسيح هو "المساياه" و المُخلص لشعبه بالمفهوم اليهودى، حأذكرها بعضها، لأرتباطها بالموضوع اللى حأتكلم فيه:

فى إنجيل متى، الإصحاح 1، الأعداد 20، 21:

20 وَ لكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هذِهِ الأُمُورِ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «يَا يُوسُفُ إِبْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. 21 فَسَتَلِدُ إِبْنًا وَ تَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ».

فى إنجيل يوحنا، الإصحاح 12، العدد 47:

"47 وَ إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَ لَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ."

و برضه زى ما سبق و ذكرت، فالمسيح صعد دون الدعوه لأى ديانه، فكانت الدعوه و التأسيس الكامل للمسيحيه كديانه مُستقله، بعد صعود المسيح للسماء، لكن بُنيت على هذه الأعداد فى إنجيل متى، الأصحاح 16، الأعداد من 17 إلى 19:

"17 فَأَجَابَ يَسُوعُ وَ قَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَ دَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. 18 وَ أَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَ عَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. 19 وَ أُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ

مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ».

من الأعداد السابقه، و بالتحديد أقوال المسيح فى العدد 18، كانت بداية التأسيس للديانه المسيحيه، و من موقع Britannica حأكمل قصة نشأة المسيحيه كما ذُكرت فى الموقع بعد ترجمتها:

"يسوع كان يهودى، و كذلك كان جميع الرسل. و لهذا السبب فالمسيحية الأولى كانت فى الواقع حركة داخل اليهوديه، لأن مُجرد الإعتراف بيسوع بإعتباره "المسيح"، فهذا يعنى تحقيق الوعود اللى قُطعت فى الأصل للأباء العبرانيين الأوائل إبراهيم و إسحاق و يعقوب. واجه الكتاب المُقدس المسيحى مُعارضه تامه داخل اليهوديه، بالضبط كما حدث مع يسوع، و لهذا السبب تم الإتجاه نحو العالم الأممى، و المقصود بالأمم دائماً فى اليهوديه (من هم غير يهود)".

و مع ذلك، إعتقد أعضاء الكنيسه المسيحيه الأولى، أن مهمتهم كانت أقرب لنهايتها من بدايتها، بسبب التوقع اليومى للمجىء الثانى الوشيك للمسيح، المؤمنين أعدوا أنفسهم لملكوته، و من خلال التبشير بالأناجيل المُختلفه، سعوا لجلب الأخرين إلى المُجتمع المفدى، اللى قام المسيح بفداءه. و من هُنا، إنفتحت أفاق أطول لـ "زمن الكنيسه".

فى البدايه واجه المسيحيين الأوائل مشاكل التعايش مع أغلبية وثنية، و كان تحدى التبشير أكبر بكتير من كُل ما تم توقُعه، و معاه كانت مُهمة بناء حياه إجتماعية مسيحية فى غاية الصعوبه، و أصبح من الضرورى تحديد قانون جديد للكتب المُقدسه المُؤسسه زى (كتابات الرسل)، لإستخلاص المضامين اللاهوتية للكتاب المُقدس، بجانب تبنى الأشكال المؤسسية اللى من شأنها الحفاظ على الحياه الداخليه للسيد المسيح و نشرها."

من الفقره الأخيره من إقتباسى من موقع Britannica، حأبدأ كلامى بيها عن نشأة المسيحيه كديانه مُستقله لها قوامها الدينى و تقاليدها، و الأهم بالنسبالى خلال هذا الفصل، رجالها.

****

بناءً على وصيه مذكوره فى إنجيل متى، قالها المسيح لبعض تلاميذه بعد قيامته من بين الأموات، و فى الإصحاح 28، الأعداد من 18 إلى 20، و هى أخر ما كُتب فى هذا الإنجيل:

"18 فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَ كَلَّمَهُمْ قَائِلاً:«دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَ عَلَى الأَرْضِ، 19 فَاذْهَبُوا وَ تَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَ عَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَ الإِبْنِ وَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. 20 وَ عَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَ هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». آمِينَ."

من الغريب قول المسيح **"وَ هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ"**، بالرغم من أن المده اللى يُقال أنه أمضاها معاهم، زى ما سبق و ذكرت، كانت ما بين 40 يوم، كما هو مذكور فى سفر أعمال الرسل، الإصحاح 1، العدد 3:

"3 اَلَّذِينَ أَرَاهُمْ أَيْضًا نَفْسَهُ حَيًّا بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ، بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ، وَ هُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ."

بينما فى إنجيل لوقا، الإصحاح 24، الأعداد من 36 إلى 53، فالفتره اللى قضاها المسيح بعد قيامته، لا تتعدى الساعه، و برضه هذه الأعداد هى أخر ما كُتب فى هذا الإنجيل، و بغض النظر عن الأختلاف الكبير بين المدتين، لكن فى النهايه، فالمسيح لم يستمر مع تلاميذه كُل الأيام إلى إنقضاء الدهر، لكن المُهم فى هذه الأعداد هو طلب المسيح من تلاميذه التبشير بين الأمم، و تعليمهم كُل وصاياه، كما أنه طلب منهم تعميد كُل من أمن، و دى بداية أول طقس أو سر من أسرار الكنيسه.

و زى ما كنت ذكرت فى فصل "سفر الرؤيا و قيام الساعه"، أن بعد صعود المسيح للسماء، بدأ الرُسل السبعين فى نشر عقيدة "الإيمان بالمسيح" فى كافة أرجاء الأمبراطوريه الرومانيه، بُناءً على وصية المسيح فى إنجيل متى.

أول من بدأ الدعوه للإيمان بالمسيح و قبوله، كان بولس الرسول، و أنا كنت ذكرت سابقاً أنه عمره ما شاف المسيح و لا أمن بيه فى حياته، لكن كان إيمانه بالمسيح من خلال رؤيه شافها، فى نفس الوقت كان هُناك الكثيرين اللى بدأوا يكتبوا سيرة و أقوال

المسيح فيما يسمى "إنجيل" باليونانيه أو "البشاره الساره" بالعربيه. الرُسل السبعين و وصية المسيح كانت البدايه لنشأة المسيحيه، لكن كيف و لماذا تشكل الهيكل الكهنوتى الكنسى؟

كان الميلاد الرمزى للكنيسه فى المسيحيه، هو اليوم الخمسين من صُعود المسيح للسماء، و كان أختيار هذا اليوم، لأنه اليوم اللى حلت فيه الروح القُدُس على التلاميذ لأول مره، و اللى أصبحوا فيما بعد هما رُسل المسيح، و أُعتبر هذا اليوم هو بداية رسالة الكنيسه فى المسيحيه.

فى البدايه -و زى ما تم ترجمته من موقع Britannica-، كان الرسل أو المُبشرين الأوائل، بيعتبروا أن مُهمتهم أقرب لنهايتها من بدايتها، لأن الظهور التانى للمسيح على الأرض وشيك جداً، فكان التبشير بظهوره التانى من خلال الأناجيل، محاوله لجلب أكبر عدد من الأممين لهذا المُجتمع المفدى، و معاها ظهرت ضروره تبنى شكل مؤسسى للديانه الوليده.

بدأ إنتشار المسيحيه بشكل سريع و واسع داخل أرجاء الأمبراطوريه الرومانيه، و أصبح هُناك العديد من الكنائس فى القدس و دمشق و أنطاكيه و طرسوس و إيقونيه و قبرص و الإسكندريه شرقاً، و غيرهم من المدن فى إتجاه الغرب فى اليونان، وصولاً إلى روما، و مع نهاية القرن التانى ميلادياً، أصبح هُناك كنائس فى ليون و ڤيينا و قرطاج و غيرهم.

بدأ المسيحيين الأوائل يعزلوا أنفسهم عن باقى مواطنى الأمبراطوريه الرومانيه، لأنهم حاولوا قدر الإمكان ألا تختلط الديانه الوليده بالمُعتقدات الرومانيه، هذا الإنعزال بدأ يشكك فيهم الأمبراطوريه الرومانيه، أصبح هُناك تشكك كبير فى مدى ولائهم كمواطنين رومانيين، و بدأت الأمبراطوريه تخشى من نمو الكنيسه المسيحيه، لأنه ممكن بيُهدد وحدة و إستقرار الأمبراطوريه ككُل، خاصةً مع رفضهم التام لعبادة الأمبراطور و المُشاركه فى الأعياد الدينيه الرومانيه.

لم تتخذ الأمبراطوريه قرارات ضد الكنيسه بشكل جماعى، لكن كانت هُناك قرارات إداريه فرديه ضد المسيحيين، و التعامل معاهم بشكل أشبه بالتعامُل مع الخارجين

عن القانون، حتى عهد الأمبراطور نيرون، و اللى إستخدم المسيحيين ككبش فداء لحريق روما فى فى سنة 64 ميلادياً.

مع إزدياد الإضطهاد ضد المسيحيين و المسيحيه مره أُخرى، بداية من عهد الأمبراطور داكيوس سنة 250 ميلادياً، بدأ كتير من المسيحيين فى الإرتداد عن المسيحيه، لكن هذا الإضطهاد أفاد الكنيسه بشكل كبير، لأنها بدأت فى تنظيم كيانها و هيكلها، و تنظيم المُمارسات و العبادات و الأسرار المُقدسه، حفاظاً على بقاء و أستمرارية الكيان، بعد أزدياد أعداد المُرتدين، و من هُنا بدأت عمليه تنظيم الهيكل الكهنوتى الكنسى. كان فى كل كنيسه أُسقف بيساعده مجموعه من الكهنه فى أعماله الدينيه بشكل فردى أو جماعى، و مجموعه من الشمامسه لمساعدته فى بعض الأعمال الإداريه، أو الخاصه بالتعامل مع الشعب، بما فى ذلك مُساعدة الفقراء. هذا النظام الثلاثى (أسقف-كهنه-شمامسه) تم نقله بشكل ما مع كثير من التعديل من نظام المجمع اليهودى،

و كنت ذكرت سابقاً أن لمدة ما يقرُب من 300 سنه، أستمرت المسيحيه بهذا الشكل، ظهرت خلالها عشرات الأناجيل و الكتابات المسيحيه، و كانت كُل مجموعه من المؤمنين بتتبع أناجيل بعينها، و خلال الفتره الطويله جداً دى، كانت المسيحيه واحده من الديانات السريه الغير مُعترف بيها داخل الأمبراطوريه الرومانيه.

الأمبراطور قنسطنطين الأول أو قسطنطين العظيم، و اللى تولى حكم الأمبراطوريه الرومانيه من 272 ميلادياً إلى 337 ميلادياً، كان التحول الحقيقى فى الديانه المسيحيه، لأنه كان أول أمبراطور رومانى يؤمن بالمسيح و يعتنق المسيحيه، و قرر إعتمادها الديانه الرسميه للأمبراطوريه الرومانيه ككُل.

الأمبراطور قسطنطين لاحظ وجود أكتر من نسخه للعقيده المسيحيه خلال هذه الفتره، و كان من أشهر هذه النسخ المسيحيه فى هذا الوقت هى العقيده "الأريوسيه"، نسبةً للكاهن المسيحى ذو الأصل الليبى "أريوس". قنسطنطين دعى لمجمع برئاسته، ضم 1800 أب مسيحى من كافة أنحاء الأمبراطوريه الرومانيه. إنعقد المجمع فى مدينة "نيقيا" -اللى بتقع حالياً فى تركيا- سنة 325 ميلادياً، و

علشان كده سُمى مجمع "نيقيا"، و كان الهدف منه توحيد العقيده المسيحيه. أستمر المجمع فى الإنعقاد لمدة 3 أشهر كامله، من شهر مايو لشهر أغسطس.

و بالفعل تم خلال المجمع إعتماد قانون الأيمان المسيحى، و تم رفض كُل ما سُمى من خلال المجمع "هرطقات"، و على رأسها العقيده "الأريوسيه". كمان تم إعتماد كُل الأسفار اللى أصبح بيتضمنها الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد، فتم رفض عشرات الأناجيل، أهمها أناجيل الطفوله، و تم رفض رؤيا بطرس، و إعتماد رؤيا يوحنا اللاهوتى، و كمان تم رفض بعض الرسائل، و من وقتها بتُسمى كُل الأناجيل المرفوضه ب "الأناجيل المنحوله" أو "Apocrypha". فى نفس الوقت تم إعتماد الكتاب المقدس بشكله النهائى الموجود حتى يومنا هذا، و بالمُناسبه فأقدم ما كُتب فى العهد الجديد هى رسائل بولس الرسول، و المُعتقد أن أول رساله كُتبت، كانت رسالة تسالونيكى الأولى -زى ما سبق و ذكرت-.

****

أوصل للجزء الأهم فى كلامى عن تاريخ المسيحيه، و هو كيف بدأ النظام الباطريركى. أول ظهور لتعبير "الأباء" كان فى التوراه فى سفر الخروج، لما خاطب الرب موسى على جبل حُوريب، و كان الحوار فى الإصحاح 3، العدد 6:

"6 ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَ إِلهُ إِسْحَاقَ وَ إِلهُ يَعْقُوبَ»"

العدد ده هو بيُمثل أول ترسيخ للمفهوم الأبوى فى الديانه اليهوديه، المسيحيه أقتبست هذا المفهوم من اليهوديه، لدرجة أن دار العباده فى اليهوديه أسمها "كنيس"، بينما فى المسيحيه "كنيسه". الأب أو "البطريرك"، و هى كلمه ذات أصل لاتينى، و تعنى باللاتينيه "أب"، هو لقب إستُخدم فيما بعد فى المسيحيه مع الأساقفة الأعلى درجةً.

ظهر اللفظ بدايةً من القرن الرابع ميلادياً، و هو القرن اللى بالفعل تبلورت فيه المسيحيه لشكلها النهائى، بعد الأمبراطور قسطنطين العظيم و مجمع نيقيه، و أُطلق فقط على الأساقفه المسيحيين البارزين، بمعنى أنه لم يكُن مُسمى وظيفى خلال هذه الفتره.

مع نهاية القرن الخامس ميلادياً، و مع توسع مساحة الكنيسه، و المقصود بيها مساحة المناطق اللى بيدين فيها الناس بالمسيحيه، و اللى قُسمت لمناطق بنفس التقسيمات الإداريه للأمبراطوريه الرومانيه، بدأ اللقب يُصبح لقب وظيفى، فأصبح على كُل مُقاطعه رومانيه مُطران، و أُسقف لعاصمة المُقاطعه.

الوحدات الإداريه الأكبر سُميت فيها الكنائس أبراشيات، و كان بيرأسها نائب أبراشيه، و هو اللقب اللى تم أستبداله فيما بعد بلقب "البطريرك". بعض البطاركه كان لهم سلطه على أكتر من إبراشيه، فكان أُسقف الأسكندريه سلطته على أبراشيات مصر و ليبيا و الخمس مُدن، و أُسقف القسطنطينيه على أبرشيات بونتوس وآسيا وتراقيا.

الجدل و الخلاف بين المراكز الكنسيه الكبرى، زى قوة مركز أُسقف الأسكندريه، و قوة مركز أُسقف القُسطنطينيه، ساهمت فى الإنقسام اللى حدث فى الكنيسه فيما بعد، فأصبح هُناك كنيسه شرقيه تُسمى "الكنيسه الأرثوذكسيه"، و كنيسه غربيه تُسمى "الكنيسه الكاثوليكيه".

فى البدايه كان المركز الرئيسى للمسيحيه هو كنيسة روما، و اللى أكدت أن الكنائس الرسوليه هى فقط الكنائس اللى أسسها رُسل المسيح، و أصحاب كراسى هذه الكنائس هما فقط اللى لهم الحق فى لقب "بطريرك".

تفاصيل سياسيه كتير دخلت فى فكرة البطريركيه و الكنائس فى البدايه، لكن مش حتهمنا فى سرديتنا لتاريخ النظام الأبوى البطريركى فى الكنيسه، و اللى حيكون مدخل لكيفيه وصول هذا النظام البطريركى للسيطره على أوروبا بالكامل، خلال فترة القرون الوسطى حالكة الظلام، و اللى أستمرت لمده تعدت الألف سنه.

فى البدايه، و فى القرن السادس ميلادياً، تم الأعتراف بخمس بطريركيات بموجب تشريع الإمبراطور چستنيان، و هى، روما، القسطنطينيه، الأسكندريه، أنطاكيه، و أخيراً القدس. بعد دخول الأسلام فى كتير من الدول، أصبح بابا روما و بطريرك القسطنطينيه، هما الباباوات اللى بالفعل لهم سلطه حقيقيه.

الخلافات العقائديه بين كنائس الشرق و كنائس الغرب، وصلت لدرجه إستحال معاها الأستمرار، و فى سنة 1054، قام رئيسا أقوى كنيستين بطريركيتين، و هما بابا روما و بطريرك القسطنطينية بتصرف غريب جداً، و هو أن كُل واحد فيهم أعلن الأخر كمُهرطق، و أنقطعت الشراكه تماماً فيما بينهم، و حصل الإنقسام أو الإنشقاق، و كان نتيجه هذا الإنقسام، هو ظهور الكنائس بمُسماها الحالى، و هو "الكنيسه الكاثوليكيه" فى روما، و "الكنيسه الأرثوذكسيه" فى القسطنطينيه، الإنشقاق اللى أستمر ليومنا هذا، و لم يحدث فيه أى توافق على الأطلاق، و من هنا أبدأ موضوعى الرئيسى، و هو سلطة الكنيسه الكاثوليكيه على أوروبا بالكامل، خلال فترة القرون الوسطى.

****

هيمنت الكنيسه الكاثوليكيه على الحياه بشكل شبه تام فى أوروبا خلال فترة العصور الوسطى، و اللى بيؤرخ لها من سنة 476 ميلادياً، لسنة 1500 ميلادياً، لكنها فعلياً أستمرت لفتره أطول من كده، وصلت لحوالى سنة 1700 ميلادياً، لكن تاريخ سنة 1500 ميلادياً تم أختياره، لأنه بيُمثل سنة سقوط القسطنطينيه، و إنتهاء فترة الأمبراطوريه البيزنطيه.

فى الوقت ده كان الغالبيه العُظمى من الأوربيين من المسيحيين، و كان مفهوم المسيحيه فى أوروبا فيما بعد الأنشقاق الكنسى هو "الكاثوليكيه"، و بالطبع كانت المفاهيم الكاثوليكيه موجوده فى أوروبا من البدايه، نتيجة سيطرة كنيسه روما بأفكارها و عقائدها على أوروبا بشكل كبير جداً، لكن الفساد اللى ساد الكنيسه الكاثوليكيه، كان سبب فى ظهور حركة الإصلاح البروتوستانتى على أيد مارتين لوثر فى ألمانيا فى القرن ال16 ميلادياً، و اللى من خلالها ظهر المذهب البروتوستانتى.

الكنيسه الكاثوليكيه كانت بتلعب دور كبير فى تنظيم حياة الأوربيين، بأعتبار أن الكنيسه كانت بتُمثل مظهر لإرادة الله وحضوره على الأرض، و كان رجال الدين هما المُتحدثين بأسم الإله، بالضبط زى كهنة القبائل الأفريقيه، و كان من المُستحيل أن أى مواطن يُشكك فى أوامر أو قرارات الكنيسه، بإعتبارها أوامر إلهيه، بالرغم من أن

كان من الواضح أن كتير من رجال الدين كان بيعمل فقط لمصالحه، و ليس لمصلحة الدين على الإطلاق.

الكنيسه الكاثوليكيه كانت بتؤكد دائماً، أنها بتستمد سلطتها من الله، و كانت بتستدل طول الوقت بالعدد 18 من إصحاح 16 إنجيل متى، و اللى كُنت ذكرته فى أول الفصل، **"18 وَ أَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَ عَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي"**، و تأكيداً على ذلك، تم إعتبار بطرس الرسول هو البابا الأول و رأس الكنيسه الكاثوليكيه، و كُل من خلفه كان بيستمد نفس السلطه الإلهيه، بإعتباره خليفه لبطرس الرسول، خليفة المسيح.

كانت كارثة الطاعون اللى أجتاحت أوروبا، و أتكلمت عنها بالتفصيل فى فصل "غضب إلهى" و اللى أستمرت لمدة 7 سنين كامله، من سنة 1346 إلى 1353 ميلادياً، و تم تسميته وقتها ب"Black Death" أو "الموت الأسود"، بدايه لتشكك الناس فى مصداقية كلام الكنيسه، لأن الناس فكرت لأول مره فى الحكمه من البلاء، ليه الله لم يمنع حدوثه، ليه سابهم يُعانوا و يموتوا، ليه الكنيسه فشلت أنها تعمل أى حاجه تُنقذ بيها الملايين اللى ماتوا، لأول مره بدأ الناس يُدركوا أن هؤلاء الأشخاص اللى بيتكلموا بأسم الرب، ليس لديهم أى قُدره أو سُلطه تفوق غيرهم من البشر.

كان من أهم عناصر قوة الكنيسه، هى تفسير الكتاب المُقدس، لأن الكنيسه أحتفظت لنفسها بالحق الوحيد لتفسيره، فكان أى شخص بيحتاج دائماً للكنيسه فى فهم تعاليم الكتاب المُقدس و أوامره و نواهيه، فكان وجود رجال الدين ضروره روحيه لكُل الناس، لأن من أجل التحدث إلى الله، أو حتى الأحتياج لفهم أى نص، كان الإنسان العادى بيحتاج للكهنه، اللى كان بيتم أختيارهم و ترسيمهم من قبل من يرأس الكنيسه، فى تسلسل هرمى بينتهى بالبابا، ممثل الله على الأرض.

زى ما سبق و قلت، أستطاعت الكنيسه أنها تُحول الكتاب المُقدس لنمط حياه كامل، لدليل لكيف تعيش حياتك و تحصُل على الحياه الأبديه فى الفردوس بعد الموت، و بهذه الطريقه أستمرت شعوب أوروبا تحت الوصايه و السيطره، لفتره تعدت الألف سنه، و كان قبول الأوضاع -مهما كانت درجة صعوبتها- و عدم الإعتراض عليها، جزء مهم جداً من منظومة تقبُل المشيئه الإلهيه.

أستطاعت الكنيسه أنها تكون محور حياة الناس بشكل تام، فكان على الشخص، و خصوصاً السيدات، الصلاه فى الكنيسه ما بين 3 ل5 مرات يومياً، و مره فى الأسبوع لقُداس الأحد، بجانب مرات الأعتراف، و الأعتراف كان أهم أسلحة الكنيسه و وسائل سيطرتها، و من بعد الأعتراف، أعمال الندم و التوبه.

كان جزء رئيسى من دخل الكنيسه من المواطنين المسيحيين أو ما يُسمى "شعب الكنيسه"، فكان شعب الكنيسه مسئول عن دعم كاهن الرعيه مادياً، و دعم الكنيسه نفسها، و ده من خلال العُشور، و العُشور لمن لا يعلم هى الزكاه فى المسيحيه، و بتكون بنسبة عُشر الدخل، و لهذا السبب تم تسميتها العشور، و كان المواطن المسيحى بيدفعها بأى شكل، سواء مادى، مزروعات، ماشيه، أى و كُل حاجه مُتاحه مع هذا المواطن، و طبعاً الكنيسه كانت مُعفاه تماماً من أى نوع من الضرائب، فكان كُل دخل، هو دخل صافى للكنيسه و رجالها.

كمان كانت العُشور بتُدفع لمراسم التعميد و عيد الميرون المقدس، و الجنازات، بالإضافة لأعياد القديسين و كُل إحتفالات الأيام المقدسه، زى احتفالات عيد الفصح، بجانب دعمهم كُل المؤسسات الخدميه التابعه للكنيسه، زى دور الفقراء و دور الأيتام و المدارس و الأديره، الغير قادره على إعالة نفسها.

من أهم أشكال تحكُم الكنيسه التام فى عقلية المواطن الأوربى فى هذا الوقت، حأورد مجموعه من أهم و أغرب نماذج السيطره و التحكُم، و حأبدها من أول طقس أو ممارسه للكنيسه، و هو طقس حرق السحره، و كانت أعمال السحر غالبية من يقوم بيها فى هذا الوقت من السيدات.

فى البدايه، و ما بين سنتى 900 و 1400 ميلادياً، رفضت الكنيسه الكاثوليكيه الأعتراف بوجود سحره، لأن الكنيسه فى الأساس كانت رافضه الأعتراف بمبدأ وجود السحر من الأساس، كانت بتُنكر إمكانية أى إنسان على القيام بأعمال خارقه للطبيعه، بالرغم من إنتشار فكرة الأيمان بالسحر فى أوروبا خلال هذه الفتره بشكل كبير جداً، و ده اللى دعا البابا ألكسندر الرابع فى سنة 1258 ميلادياً، لإصدار قانون لمنع الملاحقات القضائية للسحره.

فى سنة 1550 ميلادياً، عكست الكنيسه موقفها تماماً، و بدأت حملة مطاردة للساحرات فى جميع أنحاء العالم المسيحى الأوروبى، و خلال الفتره ما بين 1550 ل1700 ميلادياً، تم مُحاكمة حوالى 80 ألف شخص بتهمة السحر من قِبَل الكنيسه، 40 ألف منهم تقريباً تمت عملية حرقهم أحياء.

أحد أهم أسباب هذا الحركه من قبل الكنيسه الكاثوليكيه، و اللى كان موقفها مُعاكس تماماً قبل ذلك، لأنها فى البدايه لم تكُن تعترف بوجود السحر، لكن مع ظهور حركة الإصلاح البروتوستانتى على أيد مارتين لوثر فى ألمانيا فى القرن ال16 ميلادياً، و تحديداً سنة 1517 ميلادياً، بدأت الكنيسه الكاثوليكيه تُحاول جذب أتباعها بطريقه جديده، و كانت فكرة حماية المواطنين من شيطان الشر، هى هذه الطريقه الجديده اللى أستخدمتها الكنيسه الكاثوليكيه، فى معركتها ضد الحركه البروتوستانتيه الوليده، فتخيل أنه لمجرد الخوف من أن بعض المواطنين يتجهوا للكنيسه البروتوستانتيه الجديده، غيرت الكنيسه واحده من عقائدها، و تم إحراق أكتر من 40 ألف إنسان، لكن طبعاً أمام إحتماليه الخساره الماديه للكنيسه الكاثوليكيه، لأن الأتباع بيُمثلوا أحد أهم مصادر الدخل للكنيسه الكاثوليكيه طول الوقت، فخسارتهم معناها خساره ماديه كبيره جداً للكنيسه، فكُل شئ وقتها ممكن يُصبح مُباح، سواء كان تغيير عقيده، أو قتل عشرات الألاف من البشر.

****

تانى مُمارسه غريبه للكنيسه الكاثوليكيه خلال هذه الحُقبه حأتكلم عنها، هى الأخطر و الأكثر تأثيراً بكُل المقاييس، بالإضافه لكونها المُمارسه اللى أستمرت لفتره طويله جداً من الزمان، و هى محاكم التفتيش أو "Inquisition".

محاكم التفتيش كانت إجراء أتبعته الكنيسه الكاثوليكيه فى أوروبا، لتعقُّب و محاكمة الأشخاص المعارضين دينيا، و اللى كانوا بيُسموا "الهراطقه". كانت محاكم التفتيش بترتكز على مبدأ أنه لا يُمكن أن يكون هُناك خلاص خارج الكنيسه، المبدأ اللى أرسته الكنيسه بشكل عام من بدايتها، فتمكنت عن طريقه من السيطره التامه على المواطنيين دينياً، لأنك لو عايز أخرتك، فطريقها فقط من خلالنا، و طبعاً فى هذه الفتره كانت الثقافه العامه متواضعه جداً، أو تكاد تكون مُنعدمه، و كان الناس مُسيطر عليهم فقط الفكر الدينى، و أحياناً الفكر الخُرافى.

محاكم التفتيش نقلت المبدأ من الدين إلى الحياه العامه، من الكنيسه إلى المحكمه، بمعنى أن أى شخص لا يتبع المبادئ العامه للكنيسه، كان بيُحاسب على مُعتقده فى محاكم عامه.

بدأت محاكم التفتيش فى بدايات القرن ال13 ميلادياً، لما أراد البابا إنوسنت التالت فى البدايه، إصلاح سلوكيات بعض كبار رجال الدين، و وضع حد لبعض التصرُفات الغير أخلاقيه و أحياناً الإجراميه، اللى كان بيقوم بيها بعض قادات الكنائس المحليه، و كانت نية البابا إنوسنت التالت فعلياً هى الحفاظ على سُمعة الكنيسه، و عدم تشكُك المواطنين العاديين فى مصداقيتها، علشان تستمر للأبد، هى الملاذ لجميع المسيحيين، و الملجأ الوحيد لطلب الخلاص.

البابا إنوسنت التالت، و بسبب تحكم الكنيسه التام فى كُل شئ، تمكن من الوصول لتحقيق هدفه، من خلال إصلاح نظام القضاء المدنى، لأنه أراد أنه يكون قادر على ما يُشبه حالياً "رفع الحصانه" عن كُل الفئات المحميين من الإتهام القضائى، و كان طبعاً مُستهدف رجال الدين من أصحاب المناصب الدينيه العُليا، زى الأساقفه و رؤساء الأديره. و بالمُناسبه فقبل إصلاحات البابا إنوسنت التالت، كان ممنوع تماماً

على أى إنسان من درجه إجتماعيه أو دينيه أقل، من أنه حتى يتهم إنسان من درجه أعلى منه، سواء إجتماعيه أو دينيه.

إصلاحات البابا إنوسنت التالت كانت كُل أهدافها و نواياها هى البحث عن العداله المفقوده، لأن العداله فيما سبق إصلاحاته، كانت مُرتبطه بالمكانه و الوضع الأجتماعى، لكن مش طول الوقت بيكون التنفيذ مطابق للقاعده، و مش شرط أن نية المُنفذ، تكون هى نفس نية المُشرع.

أُقيمت هيئة محاكم إستثنائيه، سُميت بمحاكم التفتيش، و كان التفتيش هُنا هو التفتيش فى الضمائر. و بالرغم من أن هدف البابا إنوسنت التالت كان إصلاح أصحاب المناصب الدينيه العُليا، و ده بالفعل تحقق من خلال محاكم التفتيش، لكن بشكل إستثنائى جداً، لكن القاعده العامه شملت كُل المواطنين.

كانت مُهمة المحكمه الرئيسيه مش العقوبه على الإطلاق، لكن كان الهدف الرئيسى منها هو إعادة المُهرطق أو الخارج عن الدين للعقيده المسيحيه الكاثوليكيه القويمه، كنوع من الإستتابه فى البدايه، و عفا الله عما سلف، لكن لو رفض تماماً بعد كُل المحاولات لإستتابته، فالإعدام بيكون هو الحل الأخير، لعدم نشر أفكاره الخارجه عن الدين، لأن محاكم التفتيش لم يكُن هدفها فقط هو إعادة المُهرطق للعقيده القويمه إنقاذاً لروحه، لكن هدفها الخفى كان بينبُع من خوفها من أن أفكار هذا المُهرطق، من الممكن أن تُؤدى لضلال المزيد من المواطنين المسيحيين.

كان على مُحققى محاكم التفتيش لما بيصلوا لأى مدينه، أنهم يجمعوا كُل الشائعات سيئة السمعه المُنتشره فيها حول أى هرطقه دينيه، و جمع المعلومات حول الأشخاص المُتورطين فى هذه الهرطقه. إذا أعترف شخص بخطئه، بتُفرض عليه نوع من الكفاره الدينيه من صلاه و صيام، و بيتم طبعاً تحذيره من تكرارها. كان فى كُل مدينه مجموعه من المواطنين بيلعبوا دور المخبرين السريين، اللى بيبلغوا عن المُهرطقين، من غير طبعاً ما أى شخص يعرف هما مين.

طبعاً أثناء الإعتقال و التحقيق، كانت بتتم عمليات تعذيب، لأن زى ما قلت، كان الهدف هو منع إنتشار الأفكار المُخالفه للدين بأى وسيله، فكتير ما كان رجوع المُهرطق للعقيده القويمه بيكون بسبب التعذيب اللى بيتعرض له، و أنا من خلال

الكتير من الأفلام اللى شفتها عن محاكم التفتيش، أكتشفت أن المُهرطق ده ممكن تكون كُل تُهمته هو أختلافه فى تفسير دينى، بمعنى أنه أحياناً بيكون مسيحى شديد المسيحيه، و ممكن طبعاً يكون رجل دين، لكن عنده إختلاف بسيط فى وجهة نظر أو فى نقطه مُعينه، فبيتم إقراره كمُهرطق وجب عليه الإستتابه.

كانت محاكم التفتيش مصدر رعب للجميع، مواطنين و رجال دين، لأن الكنيسه كان هدفها أنها تفضل لها طول الوقت، اليد الطولى و المُسيطره على المُجتمع. و بالرغم من أن الفكره بدأت على يد البابا إنوسنت التالت بشكل عقلانى جداً، لكن فيما بعد أُسيئ إستخدامها بشكل تام، أصبح المواطن الأوروبى ليس له الحق فى المُعتقد، فى فهم دينه غير بالطريقه اللى كانت بتُملى عليه، أصبح عبد تابع للكنيسه طول الوقت، و أصبح أغلب دخله بيُصرف على الكنيسه.

الدول أو الممالك نفسها و حكامها، تحكمت فيهم الكنيسه، لكن فى نفس الوقت، المُلوك و الحكام حكموا شعوبهم و مواطنيهم من خلال الكنيسه، كان التعاون بين الدوله و الكنيسه تعاون مُثمر للطرفين، زى ما بيُقال Win win situation، أو مكسب فعلى لكِلا الطرفين.

پيتر والدو أو ڤالدو ،كان تاجر غنى جداً و معروف فى مدينة ليون بفرنسا، أتولد سنة 1140 ميلادياً، لكن الغريب أن سنة موته و أزاى مات غير مؤكدين، لكن بالتقريب هو توفى سنة 1218 ميلادياً.

فى سنة 1170، وقع لوالدو حادث، و تضاربت الأقاويل حول طبيعة هذا الحادث، لكن كانت نتيجته تحول والدو لإتجاه روحانى تام، و بدأ يفكر من منظور مُختلف فى عقيدة "الخلاص"، العقيده الرئيسيه فى الديانه المسيحيه.

خلال هذه الفتره طبعاً مكنتش الطباعه ظهرت، و دى نقطه فى غاية الأهميه حأتكلم عنها خلال هذا الفصل، و كانت نُسخ الكتاب المُقدس اليدويه المُتاحه، مكتوبه باللغه اللاتينيه، و كانت معرفة والدو باللاتينيه ضعيفه جداً، فعين والدو أتنين من المُترجمين، لترجمة الكتاب المُقدس للغه البروفنساليه العاميه المُستخدمه فى هذه الفتره، علشان يتمكن والدو بشكل شخصى، من قراءة الكتاب المُقدس بنفسه.

فى البدايه، قرر والدو طلب مشوره روحيه من كاهن مسيحى، و اللى أرشده لعدد مُهم جداً فى إنجيل لوقا، الإصحاح 18، العدد 22، و اللى كان عباره عن نصيحه روحيه من المسيح، لأقطاعى غنى صغير السن:

"22 فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذلِكَ قَالَ لَهُ: «يُعْوِزُكَ أَيْضًا شَيْءٌ: بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَ وَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَ تَعَالَ إِتْبَعْنِي»."

كلمات المسيح أثرت جداً فى والدو، اللى شعر أن الكلام موجه له، و بالرغم من أن رد فعل الإقطاعى الغنى اللى كان المسيح بيوجهله الكلام، أنه ترك المسيح، لكن والدو قام بالعكس تماماً، و باع كل ما يملُك، و ترك فقط ما يكفى معيشة زوجته و بناته، و قرر أنه يعيش -زى ما بنقول- على باب الله.

والدو بدأ بالتبشير من كتابه المُقدس الخاص اللى قام بترجمته فى شوارع ليون، و طبعاً والدو كان خارج الهيكل الكهنوتى الكنسى، و كان بيخُص الفقراء بدعوته. بعد مرور 5 سنين، فى سنة 1175 ميلادياً، أصبح لوالدو عدد من الأتباع، من بينهم عدد من الأغنياء، اللى قاموا بنفس ما قام بيه والدو، و بدأو يبشروا معاه رجال و سيدات، و بدأت تنشأ حركه دينيه دعويه سُميت فى البدايه ب"فقراء ليون"، لكن بعد ما كبرت و توسعت و أنتشرت فى فرنسا كُلها، و أماكن كتيره أخرى فى أوروبا، أصبح أسم أتباعه "الولدانيين" و سُميت حركته "الوالدانيه".

والدو كان كُلما تعمق فى دراسة الكتاب المُقدس"، كُلما أكتشفت زيف الكنيسه الكاثوليكيه و طقوسها و ممارساتها، طبعاً بجانب الفساد المالى، و أحياناً كتير الفساد الأخلاقى. والدو أتكلم فى كُل ده بدون أى خوف، و طبعاً بما أنه مش من ضمن الهيكل الكنسى، و الوعظ كان ممنوع تماماً لأى شخص علمانى، و علمانى هنا تعنى مواطن عادى، فكان اللى بيقوم بيه والدو هو عمل مُخالف للقوانين و للكنيسه.

أساقفه ليون بالطبع وقفوا ضد والدو و حركته، لكن الغريب أن والدو أستطاع أنه يحصُل على موافقة البابا ألكسندر التالت سنة 1179 ميلادياً. بعد 5 سنين، البابا الجديد لوسيوس التالت، وقف فى صف أساقفة كنيسة ليون، و تم حرمان والدو و أتباعه كنسياً، و بالطبع تم إعتبارهم هراطقه.

والدو فى بداية دعوته كان مُنتمى تماماً للكنيسه و المذاهب الكاثوليكيه التقليديه، كان مُجرد داعيه للتعاليم و العقائد و الأفكار الأصليه للكنيسه، لكن بعد قرار الحرمان، بدأت الدعوه تتوجه لمنحى إصلاحى، و كانت النواه فيما بعد للمذهب البروتوستانتى، و اللى ظهر بعدها بحوالى 3 قرون و نصف.

أستمرت الحركه الوالدانيه فى التوسع و الإنتشار، حتى بعد وفاة والدو، و أهمية ذكرى لقصة والدو و حركته سببين. أولاً، لأن "الولدانيين" هم أكتر من تم إعدامهم من خلال محاكم التفتيش بسبب إعلانهم كهراطقه، الأعداد مش مؤكده، لكن من خلال تقرير كُتب فى القرن ال16 ميلادياً، كتبه أحد البروتوستانت، بيؤكد أن الأعداد وصلت لملايين. طبعاً الكاثوليك بيذكروا أرقام أقل بكتير جداً، لكن فى النهايه، فهُناك مواطنين أوربيين كتير جداً تم إعدامهم، سواء من "الولدانيين" أو غيرهم، لمُجرد أنهم حاولوا يفهموا دينهم، لمُجرد أنهم قرأوا الكتاب المُقدس و فسروه، لمُجرد أنهم كان لهم رأى مغاير عن رأى الكنيسه فى بعض الأمور اللى أخطئت بالفعل فيها الكنيسه الكاثوليكيه، اللى أحتكرت لنفسها الحق فى الفهم و التفسير، و أن كُل هؤلاء المواطنيين المسيحيين لازم يكونوا تحت الوصايه، لأنهم مش عارفين مصلحة نفسهم.

أخر جزء حأتكلم فيه عن محاكم التفتيش، حتكون عن محاكم التفتيش فى إسبانيا، اللى كان لها طابع خاص جداً. أول محكمة تفتيش فى إسبانيا كانت فى القرن ال15 ميلادياً، و ده كان بُناء على طلب من مُلوك إسبانيا وقتها إيزابيلا وفرديناند، و بالمُناسبه فكُل منهم كان حاكم لجزء من إسبانيا، و بزواجهم توحدت إسبانيا. ما بين سنتى 1478 و 1482 ميلادياً، أصدر البابا سيكستوس الرابع سلسلة من المراسيم لصالح السلطه الملكيه، واللى خولت للمُلوك سلطة تشغيل محاكم التفتيش كمؤسسة حكومية، فكان للمُلوك الإسبان الحق في اختيار المحققين. وكان المحقق الأكبر هو توماس دى توركويمادا، اللى كان كاهن الإعتراف الخاص بالملكه إيزابيلا.

القصه بتبدأ بعد نجاح إسبانيا فى التخلص من الحُكم العربى، فبدأت الدوله الإسبانيه الناشئه تتحول لدوله عنصريه دينياً، بحيث أصبح مفيش مكان لغير المسيحيين، و ده كنت ذكرته فى قصة هروب أسرة شباتاى تسفى من إسبانيا لأنهم يهود، و العنصريه دى وصلت لكُل المستعمرات الإسبانيه فى كُل مكان من العالم، و

كانت محاكم التفتيش هى أحد أهم وسائل الحُكم و السيطره على المواطنين، سواء داخل إسبانيا أو فى المُستعمرات، بالنسبه لمُلوك إسبانيا خلال هذه الفتره.

كان معنى أن الديانه الرسميه و الوحيده هى المسيحيه الكاثوليكيه، أنه لا يجب وجود مواطن على أرض أسبانيا غير مسيحى، فتم إجبار اليهود قهراً و قسراً، و اللى كانوا الفئه الأولى المُستهدفه للتحول للمسيحيه، و اللى بالطبع كانوا سراً بيُمارسوا طقوسهم و شعائرهم اليهوديه، و ده كان سبب هروب الغالبيه العُظمى من اليهود خارج إسبانيا، زى موسى بن ميمون، و زى أسرة شباتاى تسفى، و كتير من اليهود غيرهم. تانى فئه تم الضغط عليها للتحول للمسيحيه كانت المُسلمين.

بدايةً من القرن ال16 ميلادياً، أصبحت الفئه الأكثر إستهدافاً هى البروتوستانت، و أصبح أى شخص غير مُتفق مع العقائد الرئيسيه للكنيسه الكاثوليكيه بيتم مُقاضاته و محاكمته.

الرقم التقريبى لعدد المواطنين اللى خضعوا لمحاكم التفتيش فى إسبانيا على مدار حوالى قرن و نصف، من 1540 ل 1700 ميلادياً، كان فى حدود 45 ألف، بعضهم طبعاً أعلن التوبه ظاهرياً، و بعضهم حوكم، لكن فى النهايه، فمحاكم التفتيش الإسبانيه، و اللى قُررت من قِبَل المُلوك هذه المره، كانت أسوأ و أعنف محاكم تفتيش فى أوروبا كُلها، و أستخدمها المُلوك للسيطره على المواطنين، و دى المعلومه اللى أنا عايز أوصلها من تجربة محاكم التفتيش، و هى إستخدام أسم الرب للحُكم و السيطره و التربح من المواطنين، سواء كان من خلال الكنيسه، أو المُلوك، الدين أُستخدم فى أوروبا بأسوأ صوره يُمكن أستخدامه بيها، للحصول طول الوقت على أكبر قدر من المكاسب.

****

بما أن الكلام فى الجزء اللى فات عن محاكم التفتيش، فأحب أسرد قصه فى مُنتهى الخطوره، و داله جداً، و هى قصة العالم الإيطالى الشهير -أو الرومانى وقتها- جاليليو جاليلى و محاكم التفتيش، فى القرن ال17 ميلادياً.

فى 12 أبريل 1633 ميلادياً، بدأ كبير مُحققى محاكم التفتيش الأب فينتشنزو ماكولاني دا فيرنزولا، و اللى كان مُعين من قِبَل البابا أوربان الثامن، التحقيق مع الفيزيائى و الفلكى جاليليو جاليلى. أُمر جاليليو بتسليم نفسه إلى المجمع المُقدس، بهدف مُحاكمته بتهمة إعتقاده بأن الأرض بتدور حول الشمس، الرأى اللى أعتبرته الكنيسة الكاثوليكيه هرطقه كبيره جدا، تتطلب حبس المُتهم و عزله لحين مُحاكمته و صدور حكم نهائى بشأنه.

قبل ما نخوض فى تفاصيل ما حدث، أحب أوضح ليه الكنيسه الكاثوليكيه أعتبرت نظرية -بأعتبار أنها كانت فى هذا الوقت مُجرد نظريه- جاليليو نوع من الهرطقه. الكنيسه كانت بتعتبر أن الأرض لابُد أنها تكون هى مركز الكون، و هذا الأعتبار لم يكُن لأى أسباب فلكيه أو فيزيائيه، لكن بما أن الأرض هى مركز الكون -من وجهة نظرهم- ، و الكنيسه فى روما تُعتبر للمسيحيين الكاثوليك هى مركز الأرض، فهما كهيكل دينى فى كنيسة روما، بيُمثلوا مركز الكون كُله، و للأسف جاليليو كان إيطالى أو رومانى، فكان وضعه أصعب، لوجوده فى مركز الكنيسه الكاثوليكيه.

مُحاكمة سنة 1633، كانت المُحاكمه التانيه بالنسبه لجاليليو عن نفس التُهمه، الأولى كانت قبلها ب17 سنة، فى سنة 1616 ميلادياً، وقتها مُنع تماماً جاليليو من مُناقشة أو حتى ذكر نظريته فى أى مكان، و مَثْل جاليليو للقرار الأول طول هذه الفتره، من 1616 ل1633 ميلادياً.

فى البدايه محتاج أتكلم سريعاً عن من هو جاليليو. جاليليو رجل تربى فى أحضان المسيحيه الكاثوليكيه، لأنه كان تعليمه كُله فى مدارس كاثوليكيه، و هى نفس التربيه اللى رباها لبناته الأتنين، و اللى أصبحوا راهبتين. جاليليو طول الوقت كان مُعتبر نفسه أبن مُخلص للكنيسه الكاثوليكيه، و كان عن طريق نظريته -من وجهة نظره- بيحاول إنقاذ الكنيسه الكاثوليكيه من الأيمان بعقيده ليس لها أساس.

بداية النظريه لم تكُن من أفكار جاليليو، البدايه كانت سنة 1543 ميلادياً، من خلال تأمُلات و أفكار العالم البولندى نيكولاس كوبرنيكس، و اللى كان قس فى الكنيسه الكاثوليكيه البولنديه، و هو صاحب نظرية "مركزية الشمس"، لكن لفتره كبيره لم يُعلن عن أفكاره أو ينشر كتاباته، لعلمه بما قد يحدُث، و لهذا السبب لم يُطلع عليها غير عدد قليل من الناس، حتى قرر جاليليو سنة 1616 ميلادياً نشر أفكار كوبرنيكس، و اللى لم يدعيها جاليليو لنفسه على الإطلاق، لكن من خلالها أسس لنظريته، و اللى أضطر أنه لا يُعلن عنها تحت ضغط الكنيسه، لمدة وصلت ل17 سنه تقريباً.

فى سنة 1632 ميلادياً، و بعد ما وضع جاليليو نظرياته بُناء على أفكار كوبرنيكس، و كتب نظريته فى كتاب، تمت إضافة كتابه **"حوار حول الأنظمه العالميه الكبرى، البطلميه و الكوبرنيكيه"** لقائمة الكُتب المحظوره كنسياً، و تم التحفظ عليه من قِبَل محاكم التفتيش فى روما.

فى 22 يونيو 1633 ميلادياً تمت مُحاكمة جاليليو، و كان عمره وقتها وصل ل69 سنه، و كان فى حاله من الضعف الجسدى نتيجة السن و طبعاً عوامل الضغط النفسى عليه. فى المحكمه تجمعت كُل قوى الكنيسه ضد جاليليو، 10 من أهم الكرادله مثلوا هيئة الإتهام، و كان أمام جاليليو أختيار من أتنين، السجن و التعذيب اللى ممكن يوصل لدرجة الحرق، أو الركوع و إعلانه تركه حياته السابقه و أفكاره، و الإستتابه التامه.

خضع جاليليو نتيجه كُل ظروفه للأختيار التانى، و إضطر يقول بلسانه ما ليس بعقله أو قلبه، و قال جملته الأشهر أثناء محاكمته: "أنا المدعو جاليليو جاليلى، أُقسم إننى أمنت بكُل معتقدات الكنيسة الكاثوليكية الرسولية بروما، و سأؤمن مُستقبلا بكُل تعاليمها و ما تُبشر به، و أُعلن ندمى عن كُل الأفكار والهرطقات التى أدليت بها مُسبقا".

تم وضع جاليليو تحت الإقامه الجبريه فى منزله لباقى حياته، حتى وفاته بعدها ب9 سنين، تحديداً سنة 1642 ميلادياً، لكن بالرغم من كُل ما تم ضده، و إضطراره لإنكار نظريته حتى لحظة وفاته، فالأفكار لا تموت، و كُل اللى تم منعه من نظريات

جاليليو، أصبحت هى جزء من أساسيات علم الفلك ليومنا هذا، أصبحت نظرياته جزء من المناهج الدراسيه فى كُل أنحاء العالم، و بالتأكيد مفيش أى إنسان مُمكن يكون عارف أسم واحد من العشر كرادله اللى حاكموه، لكن أعتقد أن أكتر من نصف سكان الأرض حالياً عارفين مين هو جاليليو جاليلى و أيه هى نظرياته، و كُل تفاصيل حياتهم اليوميه و تقويماتهم قائمه عليها.

****

أوصل معاك لرابع نقطه من النقاط اللى أنا كنت عايز أغطيها خلال هذا الفصل، و حأتعمد أنى أترك هذه النقطه بدون تسميه، و حسيبك أنت تختار المُسمى اللى أنت عايزه. النقطه دى هى أكتر نقطه شائكه فى هذا الفصل، و ربما تكون فى الكتاب كُله، لكنها نقطه تاريخيه دينيه فى غاية الأهميه، مثلت Milestone أو علامة طريق حقيقيه فى تاريخ الديانه المسيحيه و من بعدها باقى الديانات، لكن تأثيرها فى الديانه المسيحيه كان بشكل أقوى و أوضح، بالعكس، ده ممكن يكون تأثيرها فى المسيحيه فيما بعد، وصل لدرجة تغيير مفاهيم كتير عند عدد كبير من المسيحيين، لما أستطاعوا لأول مره أن رأيهم يكون من عقلهم فقط.

حأرجع معاك بالزمن للخلف، من مجمع نيقيا سنة 325 ميلادياً، و اللى تم فيه إعتماد الشكل النهائيه للكتاب المُقدس بكافة أسفاره و أناجيله و رسايله، لكن النقطه اللى حتهمنى هى اللغه، أن نُسخ الكتاب المُقدس كانت طبعاً مكتوبه بخط اليد، و باللغه اليونانيه القديمه.

إنتشار المسيحيه فى كافة أنحاء العالم على مدار أكتر من 1100 سنه، كان من خلال إما النُسخ المكتوبه باليونانيه القديمه، أو نُسخ قليله جداً، طبعاً مكتوبه برضه بخط اليد، و مُترجمه للغات المُختلفه. فى النهايه كان صعب جداً على المواطن المسيحى العادى أنه يكون عنده نُسخته الخاصه من الكتاب المُقدس، و كانت هذه التفصيله هى أحد أهم أسباب نجاح دعوة پيتر والدو .

كانت فكرة عدم وجود نُسخ كثيره من الكتاب المُقدس، هى نقطه قوه كبيره جداً لصالح الكنيسه الكاثوليكيه، لأنها كانت المصدر الوحيد للتعلُم و لشرح الكتاب المُقدس، و من هنا حتبدأ قصة أهم إختراع حارب و أنتصر على سيطرة الكنيسه

الكاثوليكيه التامه على قاره بأكملها، الإختراع اللى غير تماماً من مفاهيم و ثقافه المجتمع الأوروبى ككُل.

سؤال قرأته على أحد المواقع اللى كنت مصدرى لهذه النقطه و عجبنى جداً، و هو ليه المجمع الكنسى اللى إعتمد 27 كتاب ما بين أناجيل و أسفار و رسائل و رؤيا للعهد الجديد فى مجمع نيقيا سنة 325 ميلادياً، و من بعده أكد على أختيار ال27 كتاب فى مجمع هيبو سنة 393 ميلادياً، و مجمع قرطاج سنة 397 ميلادياً، لم يهتم بنشر الكتاب المُقدس اللى أعتمده بين المسيحيين، حتى على الأقل خوفاً من أنتشار أفكار الأناجيل اللى تم رفضها و سُميت -زى ما ذكرت سابقاً- بالأناجيل المنحوله أو "Apocrypha"، بالعكس ده مع مرور الوقت زاد التجهيل بالكتاب المُقدس، لدرجة أن خلال القرون الوسطى، مُنع تماماً ترجمة الكتاب المُقدس، و شوفنا ده فى قصة پيتر والدو.

منع الترجمه لم يكُن هو المنع الوحيد، لكن كان هُناك العديد من المراسيم بتحظُر وجود الكتاب المُقدس مع أى إنسان، بل و بتُجرم هذا العمل:

مرسوم مجمع تولوز (1229 م): "نحن نمنع تماماً أن يُسمح للعلمانيين (المواطنين) بالحصول على كتب العهد القديم أو الجديد، و نمنع بشده أكبر أن يكون لديهم أى ترجمة لهذه الكتب."

حكم مجمع تاراجونا عام 1234م: "لا يجوز لأحد أن يقتني كتب العهدين القديم والجديد باللغة الدارجه، و من حازها فعليه أن يسلمها إلى الأُسقف المحلى خلال ثمانية أيام من صدور هذا المرسوم" "لكى يحترقوا"...

إعلان فى مجمع كونستانس المسكونى عام 1415 م: "كان أستاذ أكسفورد و اللاهوتى جون ويكليف الأول (1380 م) يُترجم العهد الجديد إلى اللغة الإنجليزيه، لمساعدة المسيحيين على دراسة الإنجيل بتلك اللغة التى يعتقد أن بها سيعرفون أفضل أقوال المسيح." بسبب هذه الهرطقه، أدان أروندل، رئيس أساقفة كانتربرى، ويكليف بعد وفاته. بموجب مرسوم المجلس. و تم بعدها إستخراج عظام ويكليف و إحراقها علناً، وإلقاء الرماد فى نهر سويفت.

أُحرق ويليام تيندل على الوتد سنة ١٥٣٦ ميلادياً، لأنه ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية. وفقاً لتيندال، تُحرم الكنيسة إمتلاك أو قراءة الكتاب المقدس، للسيطرة على التعاليم و تقييدها، و تعزيز قوتها وأهميتها.

أكتفى بالأربع نماذج السابقه، علشان أبدأ أدور معاك على إجابه أو إجابات للسؤال. الإجابه الأولى و الأهم، كانت من خلال مقالة الكاتب "برنارد ستار"، و اللى كان طرح السؤال، و حأخد نص إجابته بعد ترجمتها بإلتزام شديد جداً، و اللى أتفقت معاه فى بعض منها، و كنت طرحت نفس الأفكار على مدار الكتاب:

"بينما كنت أكتب كتابى "يسوع غير خاضع للرقابة: إستعادة اليهودي الأصيل"، أصبح من الواضح بالنسبة لى بشكل متزايد، أن هُناك دافع أقوى لإبقاء العهد الجديد بعيد عن متناول المسيحيين، لإخفاء الأساس اليهودى للمسيحية و عقيدة يسوع. التفانى مدى الحياه لليهوديه و المُمارسات اليهوديه.

هل تُريد الكنيسة المُنشأة حديثاُ أن يعرف المتحولون للمسيحيه أن المسيحية بدأت كطائفة يهوديه، و أن يسوع كان يهودى مُلتزم جداً، و لم يقترح أبداً إطلاق ديانه جديده؟ هل تُريد الكنيسه أن يُكشف أن يسوع عاش و مات كيهودى مُخلص، كما لاحظ الكاتب المسيحى جان جيتون فى كتابه "البدع الكبرى و مجامع الكنيسه"؟

لم يكُن يسوع يقصد تأسيس ديانه جديده. فى إنسانيته التاريخية، كان يسوع إسرائيلى مُتدين، يُمارس الشريعه على أكمل وجه، من الختان إلى الفصح، و يدفع نصف شاقل (عملة إسرائيل) للهيكل. أورشليم، عاصمة أمته، كانت المدينه اللى أحبها: بكى يسوع عليها. يسوع حقق روحياً، الطموح الجنينى لشعبه، و هو إقامة إله إسرائيل..."

ده جزء من مقاله طويله جداً كتبها الكاتب برنارد ستار، فيها العديد من التفاصيل الموجوده فى الكتاب المُقدس، اللى حاول الهيكل الكنسى منع المسيحيين من معرفتها على مدار أكتر من 1100 سنه، لكن بما أن التفاصيل لن تُفيدنا كثيراً، بالعكس أنا حأدخل من خلالها لمناطق شائكه، فأنا أكتفيت بالسبب اللى أنا كنت ذكرته على مدار الكتاب أكتر من مره، بدون قراءة مقال برنارد ستار على الإطلاق، و

هو فكرة أن المسيح مات بدون أى دعوه لديانه جديده على الإطلاق، بالعكس هو كان بيدعو لمبدأ أو عقيده يهوديه بحته، و هى عقيدة "المساياه" اللى حيُخلص شعب إسرائيل.

حأقتبس فقره أخيره و مهمه من المقاله: **"لو تمكن المسيحيون من الوصول للكتاب المقدس بأكمله، و ليس فقط الطبعات المحدوده التى قدمها رجال الدين، فربما لاحظوا ما قفز فى ذهنى، فكلمة "يهودى" تظهر 202 مره فى العهد الجديد، مع 82 من هذه الاستشهادات فى الأناجيل. إن مصطلح "مسيحى" لا يظهر على الإطلاق فى الأناجيل، و ذلك لسبب واضح، و هو أنه لم تكن هناك مسيحيه خلال حياة يسوع، بل فقط اليهوديه، التى كان منغمساً فيها هو و عائلته و تلاميذه و أتباعه. ربما لاحظ قراء الأناجيل أيضاً، أنه عندما لم يكن يسوع يخاطب "الجموع" (من اليهود)، كان يُعلم فى المعابد، و كان يحضر إحتفالات الأيام المقدسه اليهوديه، و دعاه تلاميذه سيدى.".**

الإجابه التانيه للسؤال بالطبع حتكون الفوائد الكثيره اللى عادت على التحالف المُكون من المُلوك و الحكام، و الهيكل الكنسى، اللى زى ما سبق و ذكرت، كان Win win Sitiuation، الكُل كسبان، سواء مادياً، أو بالسيطره على جموع المواطنين، و ضمان عدم حدوث ثورات، لأن كُل ده مخالف لرغبة الرب، فمكاسب الهيكل الكنسى من خلال منعه تداول الكتاب المُقدس بشكل عام كانت كُل حاجه، من سُلطه مُطلقه غير مُقيده، عدم المُسائله عن أى شئ، مكاسب ماديه، إخضاع كامل للمواطنين، و طبعاً كُل ده بمُباركه المُلوك و الحكام، لكن أيه اللى حصل، و كان بداية هذا التغيير الرهيب فى كُل شئ؟

فى سنة 1440 ميلادياً، إخترع الألمانى العظيم يوهان جوتنبرج الطباعه، الأختراع اللى غير مسار التاريخ البشرى تماماً، و أنا بأعتبر أن النقله الحقيقيه النوعيه اللى كانت بعده في تاريخ البشريه، حدثت بعد أكتر من أربع قرون، هى الكاميرا و الراديو و الفونوجراف.

هذا الإختراع العظيم -الطباعه-، مكن كُل المسيحيين فى أوروبا من أنه يكون عندهم نسخهم الخاصه من الكتاب المُقدس، و بالمُناسبه فجوتنبرج لم يكن أول

من أخترع الطباعه، لكن سبقه بقرون الصينيين، و كانوا فى القرن التاسع ميلادياً بيطبعوا كُتب كامله، و قبل جوتنبرج ب63 سنه، و تحديداً فى سنة 1377 ميلادياً، تم إستخدام الحروف المُتحركه للطباعه فى كوريا، لطباعة ال"چيكجى"، و هى عباره عن مجموعة تعاليم بوذيه.

كان أول كتاب قام جوتبرج بطباعته هو طبعاً الكتاب المُقدس، و بيُطلق على جوتنبرج الشخصية الأكثر تأثيراً خلال الألفية الأخيرة، و مع ذلك، فجوتنبرج واحد من أكثر الشخصيات غموضاً عبر التاريخ، لأن لا توجد أى معلومه عن حياته الشخصيه، و مش معروف أمتى وُلد، و دُفن فين، هل كان عنده أبناء أو لأ، أو هل كان مُتزوج من الأساس، لكن من المعلومات المؤكده أن جوتنبرج خسر كُل ما يملُك فى طباعته للأناجيل، اللى يُعتقد أن عدد نُسخها كان 180 إنجيل، و ده كان نتيجه صعوبة توفر ورق الطباعه و تكلفته العاليه جداً، مُتبقى منهم 49 إنجيل ليومنا هذا، و فى الصوره واحد من الأناجيل ال180 اللى قام جوتنبرج بطباعتهم.

وفقاً لوثيقه من سنة 1455 ميلادياً، رفع يوهان فوست، شريك جوتنبرج دعوى قضائية ضده، و طالبه بإعادة مبلغ كبير كان فوست أقرضه له، للمُساعدة فى طباعة أناجيله. خسر جوتنبرج الدعوى القضائيه، و كان نص الحُكم النهائى أنه يجب على جوتنبرج تسليم معدات الطباعة الخاصة به و نصف الأناجيل المُكتملة الطباعه

لفوست، اللى قام ببيعها مع واحد من مساعدى جوتنبرج السابقين أسمه بيتر شوفر. فيما بعد قام جوتنبرج بإنشاء مطبعه ثانيه، لكن غير مُتوقع أنه يكون حقق منها أى ربح مادى يُذكر.

قلة عدد النُسخ المطبوعه فى البدايه و غلو سعرها، لم يُسبب أى نوع من القلق للكنيسه فى روما، و ده اللى دعى البابا پيوس التانى سنة 1455 ميلادياً، لمُراجعة النُسخ المطبوعه و إقرارها، لكن الطباعه زيها زى أى أختراع أخر، أثارها بتكون على المدى الطويل جداً، و ده اللى حدث بالفعل، و كان لوجود نسخه أو أكتر من الكتاب المُقدس فى كُل بيت فيما بعد، و لأزدياد نسبة و مستوى التعليم بشكل عام، أصبح لكُل مسيحى الحق فى قراءة كتابه المُقدس بنفسه، أصبح بيشكل أفكاره و أراءه من خلال قراءته، و بدأت سلطه الكنيسه شيئاً فشيئاً بالتراجع، بعد قرون من الهيمنه و السيطره التامه على أوروبا بالكامل.

****

خامس و أخر نقطه حأتكلم عنها فى هذا الفصل، و هى فعلياً النقطه الرئيسيه فيه، و الرابط بين مواضيع هذا الفصل و باقى الكتاب، و فكرة الخوف من ما وراء الموت، و هى نقطه غريبه و ساخره جداً، و حتوضحلك مدى سيطرة الكنيسه الكاثوليكيه على عقول أتباعها، حتى الأثرياء منهم، و اللى يُفترض أنهم كانوا على درجه من العلم، لكن اللى حأكتبه هو حقيقى صادم و كارثى، و بيوضح مدى أستغلال الكنيسه الكاثوليكيه لسيطرتها على المواطنين، للحصول على مكاسب ماديه بأى صوره، و فى نفس الوقت بيوضح مدى سذاجة المواطنين -حتى الأثرياء منهم- خلال هذه الفتره من التاريخ المُظلم للقاره الأوروبيه.

صُكوك الغُفران أو "Indulgence"، كانت نوع من الأمر المكتوب، شبه شيك البنك أو أمر لحامله، بتقدمه الكنيسه للمواطنين المسيحيين، بتضمن لهم فيه أن كُل ذنوبهم غُفرت، زى الحج عند المسلمين، لكن الحج بيُمثل مغفره مؤقته، لكن صُكوك الغُفران كانت أحياناً بتكون مغفره دائمه، حتى لذنوبك اللى لم تُرتكب بعد، لكن الكنيسه الكاثوليكيه كانت بتُقدم هذا الصك بمُقابل مادى كبير جداً، بمعنى أنك لو عايز كُل ذنوبك تُغتفر....أدفع.

صُكوك الغُفران كانت الشراره اللى بسببها كانت أُطروحات مارتن لوثر مؤسس البروتوستانتيه فى بدايات القرن ال16 ميلادياً، و بالمُناسبه فكلمة بروتوستانت جزء منها يعنى "إعتراض" أو "Protest"، فكانت الحركه البروتوستانتيه فى البدايه، هى إعتراض على أغلب مُماراسات الكنيسه الكاثوليكيه، اللى كان مارتن لوثر فى البدايه أحد رُهبانها و قساوستها فى ألمانيا.

كان من أهم النقاط اللى أرتكز عليها مارتن لوثر فى أُطروحاته، مبدأ أن هذه الصُكوك غير كتابيه، بمعنى أنها مش مذكوره فى الكتاب المُقدس، لكن الكنيسه الكاثوليكيه كان لها رأى أخر، أن هذه الصُكوك أصلها كتابى، و مبنيه على مفهوم "خزينة الكنيسه"، و اللى بالطبع لم يكن مفهومها مادى على الإطلاق، و كان بينُص على أن مزايا يسوع المسيح ومريم العذراء و جميع القديسين، و غيرهم من كُل من عاش حياه مثاليه، يُمكن أن يستفيد منها الشخص العادى، بالحصول على صُكوك الغُفران، و أن هُناك إمكانيه للتقليل من الوقت اللى يُمكن للشخص أنه يكون فيه فى المطهر، أو حتى غفران الخطيئة تماماً، سواء للشخص نفسه أو أحد أحبائه، عن طريق صكوك الغفران، اللى يُفترض أنها حتدخل خزينة الكنيسه. فى الصوره صك غُفران من مدينة أڤينيون بفرنسا، بتاريخ 28 مارس 1331 ميلادياً.

فى البدايه، كان بيع صُكوك الغُفران مش كافى، لكن كان يُفترض معاه قيام المشترى (اللى دفع للحصول على الصك) بأعمال تكفير لذنوبه، لكن فيما بعد أصبح المبلغ اللى بيدفعه الشخص مقابل الصك كافى فى أغلب الأحيان.

كان لازم الشخص الممنوح للصك يكون مؤمن بمُعتقدين مسيحيين هامين جداً، علشان يستطيع الحُصول على الصك. الأول، أنه يكون مؤمن بسر التوبه، و هو أحد أسرار الكنيسه الكُبرى، و أنه حيحتاج مع الصك أنه يقوم بالتكفير عن ذنوبه، لأن فى بدايه ظهور فكرة الصُكوك، كان لازم يكون معاها نوع من العقوبه أو الكفاره، زى ما سبق و ذكرت.

المُعتقد التانى كان الإيمان بوجود المطهر، و هو مكان فى الحياة التاليه ما بعد الموت، بيتمكن المسيحى من خلاله، أنه يتخلص من كُل خطاياه المُتراكمه، و هو مفهوم خاص بالكنائس الغربيه، و لا تعترف بيه الكنيسه الأورثوذوكسيه الشرقيه، أو الكنائس المسيحيه الشرقيه، اللى لا تعترف بما يُسمى "أولوية البابا".

بدايةً من الكنيسه الأولى، كان يحق للأساقفه تقليل أو إلغاء الكفاره، لكن فكرة صُكوك الغُفران ظهرت بدايةً من القرن ال11 ميلادياً، لما أنتشر مُعتقد المطهر على نطاق واسع، و كانت الفكره فى بدايتها مُرتبطه فقط بالحروب الصليبيه، لما ربط البابا أوربانوس الثانى فكرة صُكوك الغُفران (الجديده تماماً فى هذا الوقت) و دخول الجنه، لبث الحماس فى قلوب الفقراء للمشاركة فى هذه الحرب المقدسه -زى ما سماها-، وقتها تعهد البابا أوربانوس الثانى -بإعتباره بيتكلم بأسم الرب- بغُفران جميع خطايا جميع المُشاركين فى الحملات الصليبيه المقدسه.

بدايةً من القرن ال12 ميلادياً، بدأ اللاهوتيين وضع نظريه للكفاره، بتتكون من 3 أجزاء: الندم، الأعتراف، الرضا. النظريه كانت بتتضمن تخفيض دين الخطيه، من خلال القيام بالأعمال الصالحه فى الحياه، أو ممكن تتم عن طريق المُعاناه خلال فترة المطهر. كان البابا هو اللى بيمنح الصك بنفسه، لكن فى حالة المواطنين المسيحيين العاديين، كان رؤساء الأساقفه و الأساقفه هما اللى بيمنحوه.

كان هُناك نوعين من صُكوك الغُفران، الصُكوك "الكامله"، و دى طبعاً بتُسقط كُل الذنوب و الإلتزامات، و الصُكوك "الجزئيه"، و اللى بتُسقط جزء من الذنوب و

الإلتزامات فقط، و كان المواطنين بيتعاملوا مع صُكوك الغُفران كأنها نتيجة إمتحان، فكان المواطن اللى بيتعامل مع الصك الجزئى، بيكون مُهتم يعرف أيه هى الذنوب اللى غُفرت له، أيه نوع الإلتزامات اللى رُفعت عنه، و بُناء على ذلك، فالكنيسه حددت فترات محدده من السنه، بترتبط بأنواع مُختلفه من الصُكوك الجزئيه.

فى سنة 1343 ميلادياً، أصدر البابا كليمنت السادس مرسوم بأن كُل هذه الأعمال الصالحه اللى تمثلت فى صُكوك الغُفران، موجوده فى خزانة الاستحقاق، اللى كان البابا بيسيطر عليها بنفسه.

أحد العوامل اللى ساهمت فى إنتشار صُكوك الغُفران، كانت النهضه الإقتصاديه لأوروبا خلال القرن ال11 ميلادياً، و كان أحد مظاهرها ما يُسمى "ظاهرة التبديل"، و اللى كان من خلالها يُمكن تحويل أى خدمه أو إلتزام، لدفع مُقابل مادى، و كان من بينها طقس الحج لأورشليم (القدس)، فكان بعض المسيحيين الحريصين على الحصول على الغُفران من خلال طقس الحج، لكن غير قادرين لأسباب صحيه أو ما شابه، بيتسائلوا هل من المُمكن عمل أى مشروع خيرى، زى بناء كنيسه، أو أى مشروع خيرى أخر، كتعويض عن الحج، فلما أقرت الكنيسه المبدأ، أصبح هذا الإقرار أحد الأعمده اللى أستندت عليها فكرة صُكوك الغُفران.

بدايةً من القرن ال12 ميلادياً، أصبحت فكرة الخلاص من الخطايا مرتبطه بالدفع المادى، و الطريف أن فى القرون ال14 و ال15 ميلادياً، بدأ المغفور لهم، و اللى معاهم صُكوك الغُفران، يقوموا ببيعها للأخرين، مع أن المفروض أن الصك مكتوب بأسم الشخص نفسه، و مُخصص فقط للذنوب اللى هو إرتكبها.

مع بدأ السلطه الباباويه فى الضعف، بدأت الحكومات تسمح بالصُكوك، فى مُقابل أن الحكومه يكون لها نسبه منها، هذه النسبه وصلت لثُلثى قيمة الصك، و طبعاً كان المُقابل المادى اللى بتحصُل عليه الحكومه، أغلبه بيكون فى جيوب الأُمراء و العائله المالكه.

بدأ المواطنين المسيحيين يتسألوا، هل من المُمكن الحُصول على صك غُفران لشخص مُتوفى، و المفروض أنه بالفعل حالياً فى المطهر. أستمر الجدال على هذه النقطه، خاصةً أن أحد أهم شروط صك الغُفران هو الأعتراف، و ده حيستحيل مع

شخص مُتوفى، حتى أعلن البابا سيكستوس الرابع سنة 1476 ميلادياً، أن من المُمكن الحُصول على صك غُفران لشخص مُتوفى، بالفعل هو فى المطهر، من غير ما يجاوب على نُقطة الأعتراف الشخصى، بالرغم من أن هذه النقطه، هى من أساسيات عقيدة الخلاص و بالتالى الغُفران.

فى القرن ال16 ميلادياً، كان للراهب الدومنيكانى يوهان تيتزل، الفضل فى بيع صُكوك الغُفران للموتى فى ألمانيا، و كان له مقوله بتقول: **"عندما يرن قرش فى الصندوق، تنبع روح من المطهر."**

كان لأُطروحات مارتن لوثر ال95 فى أكتوبر 1917 ميلادياً، الفضل الكبير فى التخلُص شيئاً فشيئاً من هذه الكارثه بأسم الدين، و فى سنة 1520 ميلادياً، وصل لتحقيق رسالته بشكل تام، و أهمها مبدأ الخلاص المجانى.

إستطاع مارتن لوثر أنه يغير مفاهيم كثيره، كانت الكنيسه الكاثوليكيه بتستغلها ضد المواطنين المسيحيين، و فى سنة 1563 ميلادياً، أدان مجمع ترنت "كُل المكاسب الأساسيه لتأمين صُكوك الغُفران"، مما دعى البابا پيوس الخامس فى سنة 1567 ميلادياً، لألغاء بيع صُكوك الغُفران، لكن أستمرت تُقدم بدون أى بيع مادى

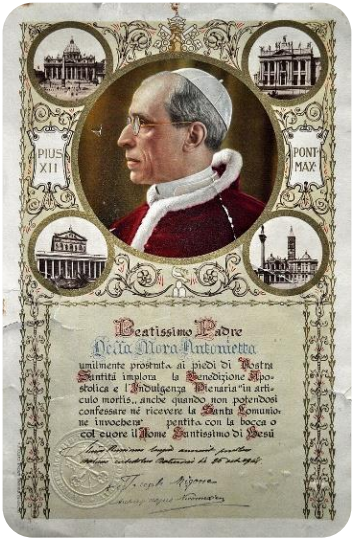

لمُدة 400 سنه، حتى سنة 1967 ميلادياً، لما قام البابا بولس السادس بتعديلها، و تحويل التركيز على تنفيذ العقوبه، للحث على الأعمال الصالحه، فبدأت فكرة صُكوك الغُفران تقل بشكل كبير جداً. فى الصور 2 من صُكوك الغُفران الحديثه خلال القرن ال20 ميلادياً.

****

صُكوك الغُفران بالنسبالى، هى أقوى نموذج لإستغلال الدين على مدار تاريخ البشريه ككُل. صُكوك الغُفران لعبت على نقطتين نفسيتين فى غاية الأهميه. الأولى، و هى الخوف البشرى المُزمن ما من وراء الموت، الخوف اللى بدأ مع الإنسان البدائى، و بدأ كُل مُجتمع يضع له تصوراته، حتى مرحلة ظُهور الأديان، و وضع التصور و الشكل النهائى له، من خلال كُل دين على حده.

النقطه التانيه و هى "عُقدة الذنب". الإنسان بشكل عام إلا فيما ندُر، مُصاب بما يُسمى عُقدة الذنب، بيخاف من توابع الغلط أو الذنب، بيخاف من "كارما" الذنب، سواء كانت أرضيه أو سماويه، بنسمع جمل كتير زى "أنت عندك بنات برضه"، أو "حاسب ليتردلك فى ولادك"، أو "أنا مش بغلط فى مكان شغلى"، أو "فى حاجات بتجيب الفقر"، و غيرها من عشرات الجُمل اللى بتؤكد خوف الإنسان من "كارما" الذنب، من الغضب الإلهى عليه، من توقيع عُقوبه على ذنبه، سواء عُقوبه أرضيه، أو طبعاً فيما وراء الموت، فبيدور طول الوقت على حل للخلاص من ذنوبه. فيه مُسلمين كتير بتحج كُل سنه للتكفير عن ذنوبها، الناس بتدور طول الوقت على وسيله لتكفير الذُنوب، و أسهل طريقه فى أغلب الوقت بتكون بالفلوس، و حنشوف فى الفصل القادم، أزاى ده بيتم أحياناً و بشكل غريب جداً فى الإسلام.

فكرة صُكوك الغُفران كانت أسوء نموذج لإستغلال الدين للتربح المادى، و أقصى صوره لعملية التجهيل اللى تمت للبشريه، علشان تفضل طول الوقت تحت الوصايه و السيطره، فالدين أسهل و أضمن وسيله، و أكتر شئ الغالبيه العُظمى من الناس بتقدسه و بتخاف منه، فكان التحدث بأسم الرب، و إيهام المواطنين البسطاء إن مفاتيح الجنه أو الملكوت فى أيدينا، أننا بنُمثل الرب على الأرض، وسيله سهله و مضمونه، شاركت فيها الكنيسه، و بدأت الحكومات فيما بعد تشاركها "السبوبه"، و

ده جزء بسيط جداً من تاريخ التجهيل البشرى، و اللى دائماً فى النهايه، بيوصلنا للوضع الحالى، و الأهم، أيه اللى حيحصل فى المُستقبل.

مؤخرنا، و فى عهد عهد البابا يوحنا بولس التانى، و اللى تولى كُرسى الباباويه من سنة 1978 لسنة 2005 ميلادياً، و عهد البابا فرنسيس، اللى تولى كُرسى الباباويه من سنة 2013 ليومنا هذا، غيرت الكنيسه الكاثوليكيه فى كتير من مناهجها، و من وجهة نظرى، فهذه التغييرات هى تغييرات سياسيه بحت، لمواكبة مُتطلبات هذا العصر، و التغييرات الفكريه و المذهبيه التلاته اللى بالفعل كانوا الأكثر تأثيراً:

التغيير الأول تمثل فى الإعتذار عن كُل ما بدر من الكنيسه الكاثوليكيه خلال فترة القرون الوسطى بشكل عام، لكن على وجه التحديد، الإعتذار الأهم كان عن إدانة الكنيسه الكاثوليكيه للعالم الفلكى و الفيزيائى الإيطالى جاليليو جاليلى سنة 1633 ميلادياً، و ما بدر منها تجاه هذا العالم الكبير. كمان الكنيسه الكاثوليكيه إعتذرت عن تورطها فى تجارة الرقيق فى أفريقيا. هذه الإعتذارات تمت فى عهد البابا يوحنا بولس التانى.

التغيير التانى، و اللى كان تغيير صادم لكُل المسيحيين، تمثل فى البدء فى الإعتراف أن بعض قصص العهد القديم كانت قصص رمزيه، مش قصص واقعيه حدثت بالفعل، زى قصة أدم و حواء، و دى القصه اللى تم الإعتراف برمزيتها من قِبَل البابا فرانسيس، البابا الحالى للكنيسه الكاثوليكيه، و هذا الإعتراف هو تغيير جذرى فى أساس العقيده، لكن أمام أجتياح العلم، بدأت الكنيسه الكاثوليكيه أو البابا فرانسيس تحديداً كمُمثل لها، فى إتخاذ منحى علمانى نوعاً ما، لتقليل الفجوه الكبيره بين المُعتقدات الدينيه، و منهج البحث العلمى.

التغيير التالت، و اللى لا يقل جذريه و خطوره عن التغيير السابق، لكنه أكثر التغييرات التلاته سياسيه، و كأنها رده مره تانيه لموافقة طلبات و رغبات من يحكُم، و بتتمثل فى التصريح اللى قاله البابا فرنسيس، البابا الحالى للكنيسه الكاثوليكيه، بضرورة مُباركة الكهنه للزواج المثلى، و أن من يُعارض ذلك فهو مُنافق، و ده تغير كارثى فى فكر الكنيسه الكاثوليكيه، لكنه تغيير سياسى بحت، لإتباع الموجه الحاليه القويه جداً، اللى بتدعو لإعتبار العلاقات المثليه هى نوع طبيعى جداً من العلاقات

الإنسانيه، و بالمناسبه، فهُناك فى العهدين القديم و الجديد، العديد من الأعداد اللى بتضُم نصوص، بتُحرم و بتُجرم تماماً العلاقات المثليه، من خلال نصوص كتابيه واضحه، زى سفر اللاويين فى العهد القديم، و رسالة كورنثوس الأولى فى العهد الجديد، و ده حيفكرنا بموقف الكنيسه الكاثوليكيه المُتغير من مُعتقد الإيمان بالسحر، لما ظهرت الكنيسه البروتوستانتيه، و بدأت تُنافس بشكل حقيقى الكنيسه الكاثوليكيه، فغيرت الكنيسه الكاثوليكيه مُعتقدها الخاص بالسحر، للحد من هروب بعضاً من أتباعها، للكنيسه البروتوستانتيه الوليده فى ذلك الوقت.

09 يوليو 2024

"وَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ" (7) سورة الأنبياء

أهل الذِكر

بدأ الإسلام بدايه مغايره تماماً لبداية المسيحيه فى كُل شئ. ببعض المُقارنات البسيطه، حنجد أن بداية الأسلام كانت الأقوى بين جميع الديانات الأبراهيميه، لكن أنا حأكتفى بأن المُقارنه تكون بين الإسلام و المسيحيه، لأن اليهوديه هى ديانه عرقيه غير تبشيريه، فكانت كُل تفاصيلها فى أطار محلى جداً، لكن كُلاً من المسيحيه و الإسلام، كانوا ديانات تبشيريه، و كان زيادة عدد أتباع كل دين، واحده من أهم أهداف كُلاً من المسيحيه و الإسلام.

أول نقطة مقارنه بالنسبالى، بتتمثل فى إكتمال الدين، فالمسيحيه لم تكتمل، بل لم تبدأ كدين فى الأساس خلال فترة حياة المسيح، بينما الإسلام أكتمل بشكل تام فى عهد الرسول، حتى و أن كان دون جمع أو تدوين كامل للقرآن، لكن كان القرآن موجود و مُكتمل، و كانت جميع الأحكام و الفرائض و العبادات، واضحه و معروفه.

تانى نقطة مقارنه كانت فى كون المسيحيه بدأت بشكل إجتهادات فرديه من خلال مجموعه من الرسل، لم يكُن هُناك توحيد بينهم فى أى شئ، حتى فى الكتاب أو فى العقيده، بينما بدأ الإسلام فى مرحلته التانيه ما بعد الهجره، فى التحول ليُصبح دين سياسى، دين و دوله، فهنا كان الإسلام دين موحد إلتزم بيه الجميع من البدايه، بغض النظر عن نوايا و أهداف كُل من أسلم، لكن الرسول إستطاع تأسيس منظومه دينيه سياسيه عسكريه تحت قيادته، تمكنت من إدخال الألاف فى الدين الإسلامى فى حياة الرسول، و الملايين بعد وفاته، و وصول الإسلام خلال أقل من قرن و نصف، لكافة دول شمال أفريقيا غرباً وصولاً للأندلس، و التوسع شرقاً لما بعد بلاد فارس، حتى لو كان هذا الإنتشار بقوة السلاح، لكن ظلت منظومة الإسلام الدينيه السياسيه العسكريه خلال فترات الخلافات الأولى، هى منظومه واحده متكامله، و إن أفتقدت لتفصيله فى غاية الأهميه، و هى تحديد نظام و هيكل الحكم بعد الرسول، و اللى تسبب فى إنشقاقات كتير جداً من أول يوم لوفاته.

تالت نقطة مقارنه هى عدم وجود هيكل كهنوتى فى الإسلام، و تنوع مصادر الفتوى و المعلومه، و هذه النقطه كانت من نقاط القوه جداً فى بداية الإسلام فيما

يخُص الجانب الدينى، لكن كانت نقطه سيئه جداً فيما يخُص الجانب السياسى، لأن الخُلفاء لما بدأت قوتهم و سُلطاتهم تزداد، أصبحوا فيما بعد، هما اللى بيحللوا و يحرموا، و ده كان نتيجه طبيعيه لعدم فصل الدين عن السياسه.

نقاط القوه التلاته للإسلام فى بدايته، و نقاط الضعف التلاته للمسيحيه فى بدايتها، إنقلبت فيما بعد للعكس تماماً، فالمسيحيه تخلصت من كُل نقاط ضعفها، و أخذت بكُل أسباب القوه، و عايز أوضح أن نقاط القوه اللى أقصدها، سواء للإسلام أو المسيحيه، هى مش نقاط قوه دينيه، لكن نقاط قوه فى كيفية السيطره و التحكُم التام فى أتباع الدين، عن طريق الدين نفسه، عن طريق توحيد الكُل على عقيده واحده و رأى واحد، و الأهم من الأتنين، كيان واحد بيتّبعه كُل أتباع الدين.

الأمبراطور قنسطنطين الأول أو قسطنطنطين العظيم، كان السبب الفعلى لهذا التحول الرهيب للمسيحيه بعد 300 سنه، من ديانه سريه ليس لها كتاب موحد، لديانه قويه، لها كتاب موحد، و لها هيكل تنظيمى دينى بيُمثل المسيحيه، فاق فى قوة تنظيمه الدين الإسلامى فى أوج عظمته، فأصبحت الكنيسه لها كلمه و كيان موحد، لأن لها رأس يُعتبر ممثل للرب على الأرض. حتى بعد الإنقسام، أصبح للكنيسه الكاثوليكيه، أو أى كنيسه أرثوذوكسيه، رأس بيتكلم عنها، كيان موحد بيُمثلها، لكن مع الإتفاق الدائم مع الحكام و الملوك، الإتفاق المبنى على حوار المسيح الشهير فى إنجيل مرقس، الإصحاح 12، الأعداد من 13 إلى 17:

"13 ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ قَوْمًا مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَ الْهِيرُودُسِيِّينَ لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. 14 فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَ لاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ، لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ، بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ. أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟ نُعْطِي أَمْ لاَ نُعْطِي؟» 15 فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ، وَ قَالَ لَهُمْ:«لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ إِيتُونِي بِدِينَارٍ لأَنْظُرَهُ.» 16 فَأَتَوْا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ:«لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَ الْكِتَابَةُ؟» فَقَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ». 17 فَأَجَابَ يَسُوعُ وَ قَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَ مَا لِلّٰهِ لِلّٰهِ». فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ.

هذا الحوار، و خاصةً الجمله الأخيره للمسيح، كانت مُلخص علاقة الكنيسه بالسلطه طول الوقت، فالمسيحيه لم تحاول الإنخراط فى السياسه و الحُكم على

الإطلاق، كما حدث فى الإسلام، فكانت العلاقه دائماً أن الملك أو الحاكم هو حاكم سياسى، و البابا هو حاكم دينى روحى، و فى أوقات كتير كانت سلطته بتُعادل سلطة المُلوك، لكن بالفعل كانت هذه النقطه من نقط قوة الكنيسه، بدءاً من عهد الأمبراطور قنسطنطين الأول، ليومنا هذا، عكس ما حدث فى الإسلام، و اللى بدء بقوه، لكن الصراعات السياسيه السلطويه من البدايات، منعت وجود جهه واحده تُمثل الأسلام، لأن أغلب الصراعات كان ظاهرها دينى، لكن باطنها سياسى بحت.

من النقطه الأخيره أصبح لا يوجد كيان مُحدد بيُمثل لا الإسلام السُنى، و لا الإسلام الشيعى، حتى الأزهر فيما بعد، كان مُجرد تمثيل سياسى بحت، إنما داخل المنهج السُنى فقط، فهُناك عشرات الفرق اللى بتُكفر بعضها البعض، و من هُنا أصبح لكُل شيخ فى الإسلام الحق فى الفتوى، فى طرح أفكاره و تصوراته، فى إضافه معلومات مش موجوده فى صميم الكتاب الأساسى للدين، و هو القرآن، سواء كان أزهرى، أو خريج معاهد الدعاه، أو حتى شيخ بإجتهادات شخصيه و بدون دراسه، و دائماً بتكون مرجعيته عندما يُسأل عن مصادره، من خلال كُتب أشخاص سابقين، و برضه أنا معرفش هؤلاء السابقين كان مرجعيتهم أيه، لكن المُهم أن كلام السابقين، أصبح دين بنُحاسب عليه، و يكفى أننا فى مصر بنقول فى صيغة الزواج "و على مذهب الأمام أبى حنيفه النعمان"، مش على شرع الله.

****

عنوان هذا الفصل هو أهل الذكر، و أنا أخترت هذا العنوان، لأن هذا التعبير، هو التعبير الأشهر للتدليس على المُسلمين على مدار 14 قرن، و أذكر من سنتين كان أحد المشايخ اللى لهم قناه على الYoutube، و المشهور بجدالاته و ترينداته، كان بيتكلم عن أحد المُسلسلات فى رمضان، و إستخدم هذا التعبير للدلاله عن أنه كان يجب على صُناع المُسلسل الرجوع له أو لأى شيخ أزهرى أخر، كمُراجع للمعلومات الدينيه، و أستخدم مُصطلح "أهل الذكر" للدلاله عن نفسه، فما كان منى إلا أنى كتبت له تعليق، و كانت أول مره فى حياتى كُلها أكتُب تعليق على أى فيديو، قولتله فيه: "حضرتك إن كُنت تجهل معنى مُصطلح "أهل الذكر" فى الأيه القائله **"فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ"**، و اللى حضرتك إستخدمته، فحضرتك لا تصلح رجل دين أصلاً، لجهلك بمعلومه فى غاية الأهميه، و فى غاية الوضوح فى نفس

الوقت، و إن كنت تعلم المعنى، بس عاجبك التدليس بمُصطلح "أهل الذكر"، فأنت رجل مُدلس و كاذب، و برضه و بالتأكيد لا تصلُح رجل دين".

أشرحلك ببساطه معنى المُصطلح، و اللى موجود فى كُل أُمهات الكُتب، و ذكره الشيخ الشعراوى أكتر من مره، و للأمانه، فهو الشيخ الوحيد اللى أنا سمعته على مدار حياتى، بيذكر المعنى الحقيقى للمُصطلح.

لفهم معنى "أهل الذكر"، لازم نقرأ الأيه كاملةً، نص الأيه كلها من سورة الأنبياء، الأيه 7: **"وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"**

و تفسير الأيه من "تفسير السعدى" :

"هذا جواب لشبه المكذبين للرسول القائلين: هلا كان ملكاً، لا يحتاج إلى طعام وشراب، و تصرف فى الأسواق، و هلا كان خالداً؟ فإذا لم يكن كذلك، دل على أنه ليس برسول.

و هذه الشبه ما زالت فى قلوب المكذبين للرسل، تشابهوا فى الكفر، فتشابهت أقوالهم، فأجاب تعالى عن هذه الشبه لهؤلاء المكذبين للرسول، المقرين بإثبات الرسل قبله – و لو لم يكن إلا إبراهيم عليه السلام، الذى قد أقر بنبوته جميع الطوائف، والمشركون يزعمون أنهم على دينه و ملته - بأن الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم، كلهم من البشر، الذين يأكلون الطعام، و يمشون في الأسواق، و تطرأ عليهم العوارض البشرية، من الموت و غيره، و أن الله أرسلهم إلى قومهم وأممهم، فصدقهم من صدقهم، و كذبهم من كذبهم، و أن الله صدقهم ما وعدهم به من النجاة، و السعادة لهم و لأتباعهم، و أهلك المسرفين المكذبين لهم."

من التفسير ببساطه نقدر نفهم القصه و أسباب نزولها، أن القريشيين شككوا فى أن الله مُمكن يُرسل بشر ليحمل رسالته، و كانوا بيتسائلوا: ليه الله لم يُرسل ملاك؟ فكانت الإجابة البسيطه و الواضحه من القرآن، أن كُل الرُسل السابقين كانوا من البشر، و كان اليهود و النصارى فى هذا الوقت بيعيشوا مع القريشيين، فكان التأكيد

القرآنى بأن إذا كنتم لا تعلموا أن رُسل اليهود و النصارى كانوا برضه بشر، "فسألوا أهل الذكر"، و المقصود بالمُصطلح فى الأيه هو "أسألوا أهل الكُتب السابقه أن كنتم لا تعلمون". و بهذه المُناسبه، فكُل إستخدام لكلمة "الذكر" فى القرآن، معناه كُل الكُتب السماويه.

دى كانت مُجرد معلومه سريعه عن أكبر و أهم كدبه بيستخدمها رجال الدين الإسلامى لإضفاء حاله من القُدسيه على أنفسهم، و معاها طبعاً الأيه الشهيره رقم 59 من سورة النساء: **"أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ"**، و اللى بتُستخدم إستخدامين مهمين جداً. الأول، للتدليس للحُكام، أو لإضفاء شرعيه لهم، بإعتبارهم أُولى الأمر لكافة المُسلمين، و كُنت ضربت مثال فى كيفية إستخدام هذه الأيه، فى فصل "مُلوك و كهنه"، من خلال مشهد مُهم و دال جداً فى فيلم "الزوجه التانيه". أما الإستخدام التانى، فبيتم فيه إعتبار الشيوخ و الأئمه، هما أولى أمر يجب على كافة المُسلمين إطاعتهم، و الإستخدامين بيُستعملوا طول الوقت، للسيطره العقليه على جُموع المُسلمين.

****

النص القرآنى لم يطلُب أو يُحدد وجود هيكل دينى على الإطلاق، لأن حتى وفاة الرسول، كان هو فقط الشخص الوحيد الشارح و المُفسر و المُبين للقرآن، و بالرغم من أن الأيه 3 من سورة المائده لم تكُن أخر أيه نزلت فى القرآن، و هى أية **"الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"**، لكنها كانت كافيه لتوضيح أن الرسول شرح كُل حاجه، و أنهى تعليم الدين بشكل نهائى و بات و واضح. و بالمُناسبه، فأخر أيه نزلت فى القرآن، كانت الأيه 281 من سورة البقره، و هى أية **"وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ"**، و هى أيه تحذيريه عن قيام الساعه، بمعنى أن أخر ما نزل من القرآن، يتعلق بالنهايه و بما وراء الموت

بعد وفاة الرسول أهتم خلفاؤه بتشكيل هيكل إدارى سياسى، لكن لم يُقيموا أى نوع من الهيكل الدينى كما فعلت المسيحيه. كانت أول مُشكلة دينيه حقيقيه واجهت الخلفاء الراشدين، هى موت عدد كبير من حفظة القرآن فى المعارك و الغزوات

المُختلفه، فظهرت ضرورة تدوين القرآن، فى نفس الوقت، كان الإسلام بينتشر سريعاً فى مناطق واسعه جداً من العالم، خلال أقل من قرن و نصف، و لأن أغلب هذه الممالك و الدول تختلف ثقافياً و لُغةً عن البيئه الأساسيه اللى نشأ فيها الإسلام، فكان لابُد على الأقل من وجود مُحفظين للقرآن. ده تم بالفعل، و أصبح هُناك العشرات من مُحفظى القرآن، لكن فى نفس الوقت تم بإجتهادات فرديه شخصيه، مش تحت مظله دينيه، و من هنا ظهرت القراءات المُختلفه للقرآن. ده كان أول شكل من أشكال المشايخ فى الإسلام، و اللى ما زال مُستمر ليومنا هذا، و هما "مُحفظى القرآن"، و فكرة الإهتمام بتحفيظ القرآن، حيكون لها جزء فى غاية الأهميه، خلال هذا الفصل.

تانى ظهور لرجال الدين، و برضه كان للضروره قصوى، هو الحاجه لتفسير القرآن، و خاصةً مع دخول الإسلام لدول و ممالك، مش بتتحدث باللغه العربيه، و فى الأساس، فالقرآن ملئ بكلمات غير معروفه أو مفهومه لمُتحدثى العربيه، فكان هُناك ضروره مُلحه لتفسير القرآن قدر الإمكان، و إن كانت كُل كُتب التفسير فشلت فى الوصول لتفسير كامل للقرآن، لكنها نجحت فى كتابة أسباب النزول بنسبه كبيره جداً، و اللى كانت من أهم عوامل فهم القرآن، بجانب أن هذه التفاسير سهلت إمكانية ترتيب القرآن بحسب نزوله، فهُنا كانت كُتب التفاسير عامل مُهم جداً فى فهم كُل المُلابسات و الأحداث المُصحابه لنزول أغلب الأيات، و تتبع الأحداث بترتيبها التاريخى، قدر الإمكان.

التناخ كان كتاب بيضُم عشرات الشرائع و القوانين الحياتيه، اللى ما زال اليهود بيتبعوها فى كُل مناحى الحياه حتى يومنا هذا، الشرائع فى التناخ مُفسره جداً، فلم تحتاج لتأويلات كثيره، بالإضافه لأن كتير من الحاخامات الأوائل، قاموا بتفسيرها من خلال كُتب التلمود.

بالنسبه للمسيحيه، فلم تكن فى أسفار و أناجيل العهد الجديد، الكثير من القوانين الحياتيه، فيما عدا الزواج و الطلاق، لأن المسيحيه تركت كُل ما هو حياتى للقوانين المدنيه، لأن أقوال المسيح كان أغلبها تعاليم روحيه، و لهذا فكُل المسائل الحياتيه زى المسائل الماديه مثلاً، فهى متروكه للقوانين المدينه لكُل بلد، أو حتى لكُل عصر و مُتغيراته.

القرآن كان ملئ بالتشريعات و القوانين المُنظمه للحياه، زى التناخ بالضبط، لكن كانت -فيما عدا قوانين المواريث- غير مذكوره بالتفاصيل الكافيه لفهمها بشكل تام زى التناخ، فهنا بدأ إحتياج المُسلمين لإستنباط الأحكام الشرعيه من القرآن، لأن الإسلام هو دين ربط الأحكام الشرعيه بكافة مناحى الحياه، مش بس كده، لكن كمان كان هُناك الأحتياج لتطبيقها على كُل حاله بشكل فردى، و دى كانت أحد المُعضلات الكبيره فى بدايات الإسلام.

ظهرت عشرات الإجتهادات الفرديه من العديد من المُسلمين، و اللى لُقبوا فيما بعد بلقب "الأئمه"، خلال فترة القرن الأول هجرياً، و بدايات القرن التانى هجرياً، لإستنباط الأحكام الشرعيه من النص القرآنى، بحيث يُمكن الفتوى لكُل حاله على حده، و من هنا بدأت العلوم الشرعيه فى الإسلام.

كان أهم من قاموا بهذه المُهمه هما الأئمه الأربعه الكبار، و هما بالترتيب الزمانى و المكانى لظهورهم: الإمام أبو حنيفه فى بغداد بالعراق، ثم الإمام مالك بن أنس فى المدينه، ثم الإمام الشافعى فى مصر، و أخيراً الإمام أحمد بن حنبل فى بغداد بالعراق. سُمى المذهب اللى أستنبطه كُل إمام على أسمه، و الغريب أننا فى مصر بنتبع فى كتير من التفاصيل الحياتيه -زى الزواج- الأمام أبو حنيفه، مش الأمام الشافعى اللى كان عايش فى مصر، زى ما فى قراءة القرآن بنقرأ بقراءة حفص، مش بقراءة ورش المصرى.

ملحوظه مُهمه جداً أحب أُشير إليها، أن ظهور الأئمه الأربعه و مذاهبهم، كان سابق بحوالى قرن للإمام البُخارى، بمعنى أن المذاهب الأربعه أستعانت فقط بالقرآن -زى ما سبق و ذكرت-، و كانت وقتها السُنه النبويه لم يتم تجميعها، فكان المصدر الرئيسى للتشريع و الفتوى هو القرآن، مع جزء كبير من إجتهاد الإمام نفسه.

مع الأجيال التاليه من الأئمه، اللى أستنبطت أغلب أحكامها من أحكام الأئمه الأربعه، بدأت تظهر فئة "أئمة السلطه"، اللى بدأت فتاويهم تأخذ شكل سياسى، بُناء على رغبات السلطه الحاكمه، و تم إستغلال كتير جداً من الأحاديث اللى تم دسها، لتحقيق أهداف المُلوك و الحكام، فاللعب بالأحاديث، كان التجاره الرائجه لكُل الأجيال التاليه، لإستنباط أحكام ليس لها أساس فى صحيح الدين.

رابع إحتياج، أو رابع شكل لوجود رجال الدين، كان فكرة أئمة المساجد و خطبائها، لأن الإسلام هو الدين الوحيد اللى بيقوم أتباعه بالصلاه الجماعيه خلف إمام 5 مرات يومياً، بجانب خُطبه أسبوعيه يوم الجمعه، و هذا النهج بدأ مع الرسول نفسه، لكن لقلة عدد المُسلمين، و لتواجدهم كُلهم فى مكان واحد، فكان التجمُع لكُل المُسلمين فى جامع واحد بيأمهم الرسول، لكن بعد وفاته، و بعد إنتشار الإسلام شرقاً و غرباً، و بناء مساجد فى كُل مكان بيصل إليه المسلمين، فأصبح هُناك ضروره لوجود أئمة مساجد لديهم القُدره على الخطابه، و الفهم الكامل للدين، لأن المساجد فى بداية الدين، كانت هى المكان الرئيسى لتعلُم الدين، بالإضافه لأن الخُطب تحتاج للإلمام الكامل بالدين، و طبعاً الصلاه تحتاج لحفظ كامل للقرآن، فهُنا ظهرت الفئه الرابعه من رجال الدين الإسلامى، و هى فئة أئمة و خُطباء الجوامع.

حالياً، الأزهر هو المُمثل الرسمى للإسلام السُنى، و مركز التعليم الرئيسى لتخريج الفقهاء و المُشرعين و الأئمه و كُل من له صله بالدين الإسلامى. الأزهر بيدرُس فيه طلبه من كافة أنحاء العالم، لأنه بيُمثل بالنسبالهم، الكيان الرئيسى لتعلُم علوم الدين الإسلامى، لكن فى النهايه، فتمثيل الأزهر للإسلام، هو تمثيل سياسى أكتر منه دينى، لأن الإسلام ليس له هيكل رسمى زى المسيحيه، فُهناك عشرات الطُرق و المذاهب و الجماعات، بتعمل خارج منظومه الأزهر، بل و لا تعترف بالأزهر على الإطلاق كمُمثل للإسلام، و على ذكر الأزهر، أحب أحكى قصة إنشاء الجامع الأزهر التاريخيه، اللى ربما يكون البعض على علم بيها، لكن من لا يعلمها، حيُفاجئ بأسباب إنشاء الجامع الأزهر كمؤسسه دينيه.

من بين من حكم مصر كان الفاطميين، اللى أتوا لمصر من المغرب، و الفاطميين بالرغم من وجودهم فى المغرب، إلا أنهم أدعوا أنهم من نسل السيده فاطمه و على بن أبى طالب، لكن لا يوجد أى تأكيد على ذلك، و لا تسلسُل واضح لهذا النسب. الفاطميين كانوا من الشيعه، و كان أحد أهم أهدافهم من فتحهم أو غزوهم لمصر، هو نشر المذهب الشيعى فيها.

الجامع الأزهر بناه جوهر الصقلى، قائد الخليفه الفاطمى "المُعز لدين الله"، سنة 359 هجرياً، 970 ميلادياً، بعد ما قام بتأسيس مدينة القاهره ككُل. أفتُتح الجامع الأزهر رسمياً فى 7 رمضان 361 هجرياً، و كان تسميته ب"الجامع الأزهر"،

نسبةً إلى السيده فاطمة الزهراء بنت الرسول، و زوجة على بن أبى طالب، و كان الهدف الرئيسى من إنشاؤه، أنه يكون مدرسه إسلاميه كبيره بتُدرس الإسلام على المذهب الشيعى، و ده تم بالفعل طوال فترة الدوله الفاطميه.

بعد سيطرة الأيوبيين على الحُكم فى مصر، قام صلاح الدين الأيوبى بتعطيل صلاة الجُمعه فى الجامع الأزهر، و بدأ ينُشأ مدارس بتُدرس المنهج السُنى، لتُنافس الجامع الأزهر اللى كان بيدرس المنهج الشيعى، و بالتدريج، إستطاع صلاح الدين أنه يقضى على تدريس المنهج الشيعى تماماً فى مصر، و اللى كان مصدره الأساسى هو الجامع الأزهر.

فى ظل حُكم الدوله المملُوكيه، اللى تلت الدوله الأيوبيه، أُعيدت صلاة الجمعه فى الجامع الأزهر سنة 665 هجرياً، 1267 ميلادياً، و بدأ الجامع الأزهر يعود مره أُخرى لنشاطه العلمى الدينى، لكن بعد تحويله للمنهج السُنى، و بدأ الأزهر يُصبح مركز رئيسى للدراسات السُنيه فى مصر و العالم الإسلامى، بعد ما كان المركز الرئيسى للدراسات الشيعيه، و لنشر المذهب الشيعى فى مصر

****

كان إستخدام ما وراء الموت، أحد أهم الأسلحه فى التاريخ الإسلامى، سواء قديماً و حديثاً، للسيطره على عقول الأتباع و التحكُم فيهم، و جعلهم أداه طيعه جداً فى أيدى بعض أُولى الأمر، لإستغلالهم فى القيام بأعمال، من المستحيل أنهم يقوموا بيها، لو كانوا بالفعل فى وعيهم الطبيعى.

فى البدايه لازم أسأل سؤال. ليه الشخص المؤمن بأى دين بيخاف من الموت؟ الإجابه تتلخص فى 3 أسباب رئيسيه. الأول، هو التشبث بالحياه، إما لمُتعها، أو ربما لمسئوليته عن أسره يخاف أنه يتركها بلا عائل أو ما شابه. التانى، الخوف من ألم لحظة الموت، خاصةً لو كان الموت مش طبيعى، و ممكن كمان أن ألم ما قبل الموت يستمر لفتره طويله فى بعض الحالات. التالت و هو الأهم، الخوف من "ما وراء الموت"، الخوف من الحساب، الخوف من مصير أبدى ممكن جداً يفوق كُل عذابات الحياه الدنيا، و فى الأغلب عند المؤمنين، بيكون هذا هو السبب الأهم بكُل المقاييس.

طيب، لو ضمنت السبب التالت، لو دخلت رهان أنت الفائز بيه فى الحالتين، ففى حاله حتكسب الدنيا بكُل ملذاتها، و فى حاله أُخرى حتكسب الأخره بكُل ما فيها مما لا رأت عين، أو أشتهت نفس، فهل حتخاف تدخُل هذا الرهان؟ الإجابه و بدون أدنى تفكير، طبعاً لأ، حتدخُل الرهان، لأنك فى الحالتين كسبان، أقصى خساره حتتمثل فى ثوانى معدوده من الألم، بعدها حيكون المكسب اللى ما بعده مكسب.

اللعب على هذا الجانب، كان أحد أهم أسباب نجاح الغزوات و الفتوحات الإسلاميه، فى الفتره اللى تلت وفاة الرسول، و اللى تم فيها فتح كُل الدول و الممالك، خلال قرن و نصف فقط من بداية ظهور الإسلام. وقتها كان ما زال هُناك تشريع ل "ملك اليمين" و "السبايا"، فكان أغلب المُقاتلين من الجيوش الإسلاميه على قناعه بأنهم مُقدمين على هذا الرهان المضمون طول الوقت، فلو تمكنوا من الإنتصار، فلهم نصيب من الغنائم الماديه، و الأهم منها "السبايا"، أما لو أستُشهدوا، فهما أهل الجنه، فلهم فيها من الحور العين ما يشاءون، و اللى حيكون بينهم و بين الجنه، هى فقط لحظات بسيطه من الألم، من المُمكن ألا يشعُر بيها المُقاتل أصلاً، من فرط إحساسه بالنشوى.

كنت فى كتابى السابق كتبت عن طائفة الحشاشين، و هما أقوى مثال لإستخدام الأخره فى تغييب العقول و السيطره عليها -ده لو كان فعلاً كُل ما قيل عن فكرة "حلم الجنه" حقيقى-، و كان المُسلسل لسه لم يُعرض بعد، و بالمُناسبه، فالمصدر الرئيسى اللى أستقى منه أغلب من كتب عن الحشاشين، كانت رحلات الرحاله الإيطالى الشهير جداً "ماركو بولو"، فهو كان الشخص اللى كتب أغلب تفاصيل ما كان يحدُث داخل قلعة "ألموت". هُناك نقطه مُهمه يجب ذكرها، أن دخول ماركو بولو للقلعه، كان بعد وفاة حسن الصباح بفتره تُقدر بحوالى قرن و نصف، لكن فى النهايه، فماركو بولو كان المصدر الرئيسى لكُل تفاصيل الحياه داخل قلعة "ألموت". أعتقد أن المُسلسل عرّف أغلب الناس بطائفة الحشاشين، فلما حأتكلم هذه المره عنها، حتكون الصوره أقرب و أوضح بشكل كبير جداً.

بإفتراض أن كُل ما قيل عن حسن الصباح حقيقى، فهُنا حنجد أن أحد أهم مصادر سيطرة حسن الصباح على أتباعه، كان إستغلال "ما وراء الموت"، و خاصةً الجزء النسائى من "ما وراء الموت"، فكانت فكرة إيهام أتباعه بأنهم فى الجنه مع

الحور العين، عن طريق إستغلال تأثير الحشيش كمُخدر عليهم، هى وسيلته الأهم للسيطره على أتباعه و جنوده. الأحلام اللى عيشها حسن الصباح لأتباعه، كانت بالنسبه لأشخاص معزولين عن العالم، و عايشين داخل قلعه فوق جبل، شئ يفوق الوصف، فأصبحوا على إستعداد لتنفيذ أى شئ، فى سبيل الوصول لكُل ما رأوه فى هذه الأحلام، اللى أعتقدوا أنهم رؤيا إلهيه، فأصبح هؤلاء الأتباع المُغيبين عقلياً تماماً، سواء بالحشيش أو بالنساء، أداه طيعه جداً فى يد حسن الصباح، لتنفيذ كُل رغباته، و كان المشهد الشهير اللى بدأ بيه المسلسل، و هو من أشهر المرويات عن قدرات حسن الصباح مع أتباعه، لما طلب من أحد حُراس القلعه، إلقاء نفسه من فوق برج المراقبه، فنفذ بدون تفكير، أكبر مثال على فكرة السيطره التامه اللى أنا أقصدها من هذا الجزء.

هل هذا النوع من الفكر إنتهى؟ بالطبع لأ، و لنا فى أحداث سوريا و العراق و كُل الفكر الجهادى خلال ال45 سنه اللى فاتوا المثال، بالعكس فهُناك رِدّه لموضوع "السبايا" مره أُخرى، و كُل مُجاهد بيقوم بعمليه إستشهاديه، بيكون مُشبع بفكرة الجنه و ملذاتها، و إلا عمره ما كان حيُقدم على أى محاوله ممكن تكون نتيجتها أنه حيموت. هو لو مش متأكد من أنه حيُحتسب شهيد، كان عمره ما حيتخذ هذه الخطوه على الإطلاق.

و من خلال المثال الأخير اللى أنا ضربته، بيتأكد لنا نوعين من العقائد عند المُؤمن الجهادى. الأولى، هى تكفير كُل من يختلف معاه فى العقيده، حتى لو كان مُسلم، لكن بالنسباله هذا الأخر مش بينفذ شرع الله كما يراه هو، و دى أحد نتائج الإنقسامات السياسيه الإسلاميه اللى بدأت مع وفاة الرسول، و النزاعات السياسيه على الحكم، و اللى ولدت معاها إنشقاقات فى العقيده، و داخل الإنشقاقات أصبح هُناك عشرات الفرق المُختلفه، كان بيتم فقط تكفير أو تجريم من منهم، اللى سيكون له تأثير على عامة المُسلمين، إنما فيما عدا ذلك، سُمح لهذه الفرق بالظهور، و أستمرت التشعبات فى الزياده، لدرجة التكفير و إهدار الدماء. فهُنا كان القتال و السبى خلال النصف القرن الأخير أغلبه لمُسلمين برضه، لكن من المُسلمين اللى أعضاء هذه الجماعات شايفنهم "خارجين عن المله"، فبيتم إستابحة دمائهم و أعراضهم و أموالهم، و الأهم، نساءهم.

فى الحُقبه الأخيره، المُجاهد الحالى بيُشبه المُقاتل فى السابق، بيخرج للجهاد المُسلح و هو عارف أنه ممكن يموت فى أى لحظه، و لنا فى مصر، خاصةً فى عشرات الوقائع اللى وقعت فى صعيد مصر خلال فترة التسعينيات من القرن الماضى أكبر مثال، لنا فى حادثة أغتيال الرئيس أنور السادات فى 6 أكتوبر 1981 ميلادياً مثال أخر، و عشرات الأحداث، سواء داخل مصر أو خارجها، بيخرُج فيها الجهادى المُسلح و هو -زى ما بنقول فى مصر- شايل كفنه على أيده، عارف أنه ممكن يموت فى أى لحظه، لكن بتكون صورة الجنه بكُل ملذاتها، هى المحرك الرئيسى له.

****

نقطه تانيه مهمه كنت أتكلمت عن أهميتها فى التغيير و حالة التنوير اللى حدثت فى أوروبا، بعد قرون طويله من الظلام، بعد السيطره التامه للكنيسه الكاثوليكيه على الشعوب الأوروبيه، و هى ظهور الطباعه، و بدأ توافر نُسخ مطبوعه من الكتاب المُقدس، و تمكُن كُل المواطنين المسيحيين من الحصول على نسخ شخصيه منه فيما بعد، مما أفقد الكنيسه الكاثوليكيه واحده من أهم وسائل سيطرتها عليهم، لكن الكنيسه الكاثوليكيه فى البدايه لم تُدرك خطر ظهور الطباعه عليها، لأن عدد النسخ المطبوعه كان قليل جداً، و كانت تكلُفة بيع النسخه عاليه جداً، فالفكره لم تُشكل أى خطر يُذكر بالنسبالهم فى البدايه، و علشان كده قام البابا پيوس التانى سنة 1455 ميلادياً، بمُراجعة النسخ المطبوعه و إقرارها، و ده بالطبع مثّل تأييد واضح من الكنيسه لفكرة الطباعه، لكن يا ترى كان أيه موقف المؤسسات الإسلاميه من طباعة أول مُصحف فى التاريخ؟

بالرغم من ظهور الطباعه فى سنة 1440 ميلادياً، إلا أن المُجتمع الإسلامى خاف من طباعة أى نسخ من المُصحف لمدة وصلت لما يقرُب من 4 قرون كامله، بالرغم من أن خلال هذه القرون تمت طباعه المُصحف فى أوروبا أكتر من مره، كان أولها فى ڤينسيا بإيطاليا، سنة 1538 ميلادياً. و قام بيها إليساندرو پانينى، تبعه طباعة بعض النسخ الأخرى، لكن فعلياً حتى القرن ال19 ميلادياً، لم تتم أى محاوله لطباعة القرآن فى أى دوله إسلاميه، بمعنى أن خلال 4 قرون كامله من بداية ظهور الطباعه، لم تقُم أى دوله إسلاميه بطباعة القرآن على الإطلاق، بالرغم من ظهور الطباعه فى لبنان و سوريا فى فترات أسبق من القرن ال19 ميلادى، و كان ظهور الطباعه فى لبنان تحديداً

مُمول من الكنيسه الكاثوليكيه فى روما، بهدف نشر المذهب الكاثوليكى فى الشرق الأوسط، و هنا حنجد أن بعد حوالى ما يقرُب من 3 قرون بعد ظهور الطباعه، أستغلت الكنيسه الكاثوليكيه فى روما الطباعه لصالحها، فى مُحاوله لنشر المذهب الكاثوليكى خارج القاره الأوروبيه.

كانت أول فكره لطباعة المُصحف فى مصر فى القرن ال19 ميلادياً، و بتبدأ القصه مع تولى محمد على مقاليد الحكم فى مصر، و مشروع النهضه اللى بدأه مع بدايات حكمه، و كان من بين مُخططاته لمشروع النهضه، إنشاء أول مطبعه فى مصر، و اللى ما زالت موجوده حتى يومنا هذا فى منطقة بولاق الدكرور بالقاهره، و بالفعل تم إنشاء أول مطبعه مصريه سنة 1820 ميلادياً تحت أسم "المطابع الأميريه".

لما قرر محمد على طباعة المُصحف، فوجئ بإعتراضات شديده من عُلماء الأزهر، اللى حرموا طباعة المُصحف من الأساس، و كانت المُبررات المُعلنه للتحريم مبررات ضعيفه جداً، و بتتمثل فى عدم طهارة مواد الطباعه، و أن وجود المُصحف حيتسبب فى ضياع ملكة الحفظ، و تحريم ضغط أيات الله بألات حديديه، لكن كان المُبرر الأقوى اللى ساقوه فى حُججهم، هو التخوف من وقوع أى تحريف بكتاب الله.

طبعاً الأسباب الحقيقيه للرفض هى التخوف من وجود مُصحف فى كُل بيت، التخوف من فقدان الهيبه و السيطره و تصدُر المشهد فيما يخُص المُصحف و حفظه و تفسيره، و محاولة الإحتفاظ بالقرآن و الدين الإسلامى بشكل عام، كحق خاص و خالص لهم.

و لكُل هذه الأسباب، أصدر الأزهر فتواه النهائيه بتحريم طباعة المُصحف، يعنى الموضوع وصل لدرجة التحريم، و طبعاً هذا التحريم أجبر محمد على على إلغاء مشروعه فيما يخُص طباعة المُصحف، و بالمُناسبه فالشيخ عبد الكريم الخضير عضو هيئة كبار العلماء و الفتوى بالسعوديه فيما بعد، أتخذ بُناءً على فتوى الأزهر، قرار بمنع طباعة الكُتب الدينيه بشكل عام، خوفاً من مبدأ "ضياع الذاكره الحافظه".

بيرجع محمد على بعد فتره، للتفكير مره أُخرى فى طباعة المُصحف، و بيحاول مره تانيه مُناقشة عُلماء الأزهر، و بيوافق عُلماء الأزهر بعد ضغط كبير منه، و بعد ما وعدهم بتخصيص جزء من المطبعه لطباعة المُصحف فقط و لا شئ غيره، و

سُمى هذا الجزء بأسم "مطبعة المُصحف الشريف"، وكان له رئيس مستقل عن باقى المطابع الأميريه، لكن الغريب أن المُصحف لم يُطبع فى عهد محمد على على الإطلاق، لكن تمت طباعته بعد أول محاوله لمحمد على بحوالى 70 سنه، وكانت طباعته خارج المطابع الأميريه.

أول نُسخ مطبوعه للمُصحف بشكل عام فى الدول الإسلاميه كانت فى إيران، لما تمت طباعته مرتين، الأولى سنة 1828 ميلادياً، و التانيه سنة 1833 ميلادياً، و بعدها بأكتر من نصف قرن، تم طباعة بعض النُسخ فى الهند و الأسِتانه، بدايةً من سنة 1887 ميلادياً.

أما فى مصر فكانت أول طباعه للمُصحف خارج المطابع الأميريه، لما قامت المطبعه البهيه بالقاهره، وكان صاحبها يُدعى "محمد أبو زيد"، بطبع المُصحف اللى كتبه الشيخ المُحقق "رضوان بن محمد" الشهير بالمخللاتى، و اللى إلتزم فيه بالرسم العثمانى، اللى لم تلتزم بيه كُل الطبعات السابقه فى إيران و الهند و الأسِتانه، وكتب للمُصحف مُقدمه بيُؤكد فيها على إلتزامه بكُل قواعد الكتابه و الرسم، و لخص فيها تاريخ كتابة القرآن بدايةً من العصر النبوى، و فى الصوره أسفل صفحتين من نُسخة مصحف المخللاتى. و هنا بنجد أن مره أُخرى العلم بيكسب جوله جديده، علشان ينتصر على كُل مُحاولات رجال الدين للإحتفاظ بالدين كحق خالص لهم دون الناس.

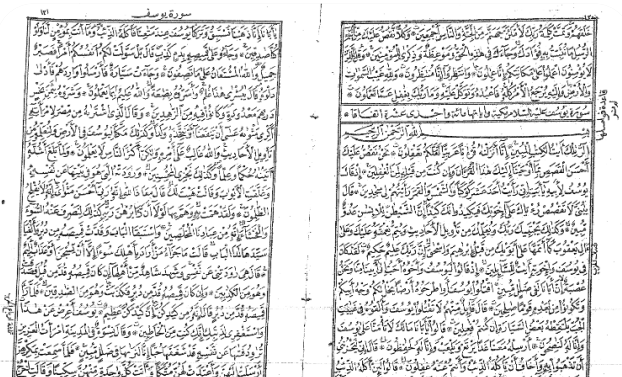

****

الجزء السابق الخاص بطباعة المُصحف، حينقلنى لنقطه فى غاية الأهميه، كنت بسأل دائماً نفسى عنها و أنا صغير، لكن لما كبرت و بدأت أعقل الأمور بعقلى أنا -مش بعقل غيرى-، فهمت الأسباب المتوارثه منذ بداية ظهور الإسلام ليومنا هذا، و اللى بتُعتبر الإجابه الفعليه على سؤالى.

سؤالى كان ببساطه، هو ليه الأزهر و من وراه كُل المشايخ -أياً كان مذهبهم-، بيهتموا طول الوقت بتحفيظ القرآن، مش بشرحه، ليه بيفرحوا لما طفل صغير بيحفظ القرآن كُله، بس مش بيكون فاهم أغلب الكلام اللى هو حافظه؟ ليه بنفرح لما بنشوف مُسلم من دول شرق أسيا أو أفريقيا حافظ القرآن، حتى لو كان لا يعرف أو يتحدث أى كلمه عربى، فبالتالى هو مش فاهم و لا كلمه من اللى حافظه؟ للأسف ده منهج موروث من أبد الأبدين، فهل هذا المنهج له سبب؟ الإجابه القاطعه ...أه طبعاً له سبب.

الإجابه بتتمثل بالنسبالى فى 3 أسباب رئيسيه، مش سبب واحد، حأستعرض كُل سبب منهم بالتفصيل:

السبب الأول، هو أن كُل مهنه يجب أن يتوفر لها عُنصرين لنجاحها، عُنصر جذب، و عُنصر كسب، و خاصةً لو كانت هذه المهنه مبنيه على مواصفات خاصه للشخص نفسه، بتتطلب نوع من الكاريزما الخاصه لكُل شخص، لا تتوفر إلا له هو فقط، فهنا فى مهنة الإمام أو الشيخ أو الداعيه، العُنصرين موجودين و بشكل واضح، فعُنصر الجذب هو درجة الإلمام بما لا يعلمه الأخرين من الدين، بالإلهام الإلهى له لفهم ما أستعصى على الناس، و خاصةً القرآن، بتفسير و إيجاد معانى داخل القرآن، لم يتطرق لها أى شخص غيره، و الأمثله عندنا كتير جداً فى هذه النقطه.

أشهر من قامت نجاحاته على فهم خاص للقرآن كان بالطبع الشيخ الشعراوى، اللى كان تفسيره الخاص للقرآن، هو سر هذا النجاح و الشُهره و حب الناس، اللى لم يتوفر لغيره من مشايخ عصره، و لا حتى أى شيخ أو إمام بعده. أمثله أُخرى بس مش حأذكر أسامى، لكن ظهر خلال العقد الأخير عشرات الأشخاص، سواء من خلفيه دينيه أو علميه، بيحاولوا تفسير القرآن بشكل مُختلف، و الناس بتابعهم لهذا السبب، و هنا حنجد أن المشايخ من بدايات الإسلام، أعتبروا أن تفسير القرآن هو هبه لهم

هما فقط، هو فيض إلهى لا يجب أن العامه يشاركوهم فيه، بالعكس، فهُناك عشرات الفرق الباطنيه اللى ظهرت عبر التاريخ، كان منهجها مبنى على إكتشافها معانى باطنيه للقرآن، لم يتوصل لها أحد غيرهم.

فهُنا فهم و تفسير القرآن، و إكتشاف معانيه و مضامينه الخفيه، أصبح أحد أهم عناصر الجذب لأى شيخ مُستقل أو حتى طريقه، هو علم خاص بيه، بيطلع حسب الطلب و فى وقته، هو الKnow How الخاص بالشيخ أو الإمام، و اللى منه حيتحقق عُنصر الكسب، و عُنصر الكسب هُنا بيكون مش من خلال التفسير على الإطلاق، لكن من خلال الفتاوى المبنيه على فهمه لخفايا القرآن، على إجابته على الأسئله اللى المُسلمين العاديين مش فاهمينها، فهُنا هذا العلم لا يجب أن يكون على المشاع، لا يجب أن كُل الناس تكون فاهمه، لأن الفهم معناه أن الشخص العادى ممكن يستنبط أحكامُه بنفسه.

فهُنا المنظومه الدينيه المُتمثله فى المشايخ حتخسر نقطتين. الأولى، هى القُدسيه الخاصه بالعلم النورانى اللى أختصهم الله بيه. و التانيه، أن كتير من المُسلمين حيبدأ يجتهد بنفسه، فبالتالى حيبدأ هذا الشيخ يفقد مصدر كسب رئيسى بالنسبه له، لأن المُسلم العادى أصبح مش محتاج له، و هنا بيكون الشيخ أو الإمام خسر كُل حاجه.

خلينى أفكرك بنفس الكلام اللى كنت ذكرته فى الفصل السابق عن المسيحيه، لكن المسيحيه الكاثوليكيه فى أوروبا كان عندها سلطه أقوى بكتير من مشايخ الإسلام، لأنها توحدت من خلال كيان واحد، و القانون كان بيساند هذا الكيان، و هُنا حاربت الكنيسه الكاثوليكيه بكُل ضراوه، فكرة إمتلاك المسيحيين للكتاب المقدس، و منعت منعاً تاماً وصل لدرجة التجريم، مُحاولة تفسيره من قبل أى مسيحى عادى، و كانت حركة پيتر والدو و أتباعه، هى أول مُسمار دُق فى نعش الهيكل الكهنوتى الكنسى الكاثوليكى، و أفكرك مره تانيه بمرسوم و حكم قضائى صدروا، لمنع أى مواطن من إقتناء نسخ من الكتاب المُقدس:

مرسوم مجمع تولوز (1229 م): "نحن نمنع تماماً أن يُسمح للعلمانيين (المواطنين) بالحصول على كتب العهد القديم أو الجديد، و نمنع بشده أكبر أن يكون لديهم أى ترجمة لهذه الكتب."

حكم مجمع تاراجونا عام 1234م: "لا يجوز لأحد أن يقتنى كتب العهدين القديم والجديد باللغة الدارجه، ومن حازها فعليه أن يسلمها إلى الأُسقف المحلى خلال ثمانية أيام من صدور هذا المرسوم" "لكى يحترقوا"...

و ده تقريباً نفس اللى بيحصل مع المُسلمين، لكن مع الفارق فى أن كُل شيخ بيعمل فى جزيره مُنفرده، بشكل شخصى جداً، فهُنا حروب المشايخ بتكون أضعف، لأن مفيش مؤسسه بتسانده، كما كانت الكنيسه الكاثوليكيه بتعمل ككيان، لكن فى النهايه بينتصر الحق، لأن الدين لا يجب أن يكون مهنه يمتهن بها بعض الأشخاص للتربح، أه ممكن يكون فيه إمام جامع يؤم و يقول الخطبه و يكون له راتب، لكن مش شخص بيتربح من تجهيل الأخرين بأساس الدين، و يمكن اليهوديه تكون الدين اللى فهم هذه الفكره بشكل صحيح، فالدين حق مكفول للجميع، مش حكر على شخص دون غيره.

نقطه أخرى أحب أقولها من وجهة نظرى، أن كافة العلوم الدينيه اللى بتُدرس فى المعاهد الدينيه، هى علوم تم وضعها من قِبَل بشر، هى ليست على الإطلاق من صميم الدين فى شئ، بل إجتهادات إنسانيه ممكن تُصيب، و ممكن تُخطئ، و كما قال الأمام الشافعى "رأيى صواب يحتمل الخطأ، و رأى غيري خطأ يحتمل الصواب"، فأساس الدين موجود فى القرآن، اللى بيتم تعويدنا على أنه للحفظ، مش للفهم على الإطلاق.

السبب التانى هو سبب سياسى بحت، و متستغربش، فالدين و السياسه طول الوقت بيمثلوا وجهين لعمله واحده، و ده بيُمثل مضمون المحطه التالته و الأخيره من الكتاب، و اللى سمتها "تحت الوصايه"، و الوصايه هُنا هى وصايه دينيه سياسيه مُشتركه، و هذا السبب هو واحد من أقوى الأمثله لهذه الوصايه الدينيه السياسيه.

على مدار أكتر من 14 قرن من السلطه السياسيه الدينيه الإسلاميه، كان هُناك منهجيه مُنظمه لطمس "التفكير و الإبداع". كُل النُظُم الحاكمه، و كُل المذاهب

الدينيه، بتحرص على إلغاء عقول أتباعها، لأن أصحاب الطرق و المذاهب عايزين أتباع يطيعوا بدون نقاش، أتباع لا تُناقش، و ده طبعاً ظاهر و واضح جداً فى أغلب الطُرق و الجماعات الدينيه الإسلاميه. أما النُظم السياسيه، فعايزين مُجتمعات لا تُفكر، علشان لو فكرت ممكن تعترض. هُنا أتفقت مصالح النظام السياسى و الدينى فى ضرورة محو أى فرصه للتفكير و الإبداع، فأصبحت مناهجنا بتقوم كُلها على الحفظ، أصبحت نُظمنا التعليميه -بموافقة الطالب و أهله من جهه، و المنظومه التعليميه من جهه أُخرى- قائمه على أن الطالب يحفظ كام ورقه قبل الإمتحان بيوم أو أتنين، و يخرج من الأمتحان ناسى تماماً كُل كلمه حفظها.

أنظمة التربيه و التعليم هى الوسيله الأولى لقتل الموهبه و الإبداع، كُل الأنشطه بتُلغى، المكتبات مش موجوده فى كُل المدارس، مفيش ملاعب، مفيش معامل، حصص الأنشطه بتُلغى، كُل الطلبه بتحصُل على شهادات و هى ليس لديها أى معلومه عن أى شئ من اللى درسته.

طيب و أيه علاقة الدين و القرآن؟ العلاقه واضحه، أن نفس هذه المنظومه بتُطبق دينياً، أنت لازم تكون أله، بغبغان، بتحفظ كلام أنت مش فاهمه، و أنا أحياناً كتير بسأل نفسى أيه أهميه حفظ القرآن بدون تدبر، بدون فهم، هل الثواب بيكون فقط للحفظ، و لا للفهم و التطبيق؟ فى النهايه، فكِلتا المنظومتين عايزين ناس "حافظه مش فاهمه"، فيسهُل تحريكهم فى أى أتجاه، و يسهُل أنك تطلّع النهارده فتوى، و بكره تقول عكسها، و تُقنع الناس بالأتنين.

السبب التالت و الأخير، هو السبب الأهم من وجهة نظرى، و اللى بيتلخص فى عدم رغبة رجال الدين الإسلامى فى فهم عامة المُسلمين لكتير من الأيات، لأن فهمها حيتسبب فى 3 مشاكل كبيره بالنسبالهم.

أول مُشكله، أن بفهم المسلم العادى للقرآن، حتوضح له بعض النقاط اللى بيتم التدليس عن طريقها، و كنت ضربت مثل فى بداية هذا الفصل، بتعريف أهل الذكر بأنهم أصحاب العلم، و طبعاً المشايخ بيدعوا زوراً أنهم المقصودين بهذا المُصطلح. أو مثل أخر كنت ضربته بفكرة أولى الأمر منكم، و تعريف من هم أولى

الأمر، و اللى برضه تم التدليس بيه من خلال هذه الأيه، بأن أولى الأمر هما الحكام سياسياً، و رجال الدين دينياً.

تانى مُشكله أن أغلب رجال الدين ليس لديهم العلم الكافى فى فهم القرآن بشكل كامل و صحيح، لأن مناهج الأزهر أو أى معاهد دينيه، بترُكز على العلوم الوضعيه فى الدين، ده أن صح تسميتها علوم، و اللى بتُسمى علوم شرعيه، لأن هذه العلوم بالنسبه لهم، هى العلوم اللى حتخدم فى الحياه العامه، فهنا -و أنا بأقول هذا الكلام عن معلومات مؤكده- أغلب خريجى الأزهر و المعاهد الدينيه، بتكون معلوماتهم ضعيفه جداً فى فهم و تفسير القرآن، لكن بيكون حافظ و فاهم تماماً كُل كُتب العلوم الشرعيه، لأنها أساس عمله، و كنت ضربت مثل -من وجهة نظرى- بتعريف "الأعراف" فى الفصل المُسمى "خلود"، و اللى مش بيتم ذكرها فى أى خطبه أو درس دينى، لضعف معلومات الشيخ أو الإمام عنها، فهنا بيحاول الشيوخ و الأئمه أن شرح القرآن و ضرب الأمثله، يقتصر فقط على أيات أو سور مُحدده، إما لأنها بتخدم أهداف مُعينه، أو لأنها الأيات أو السور اللى هما فاهمينها.

تالت و أخر مُشكله، بتتمثل فى الأيات اللى ممكن تفتح مجال لنقاش و تفكير و أسئله، و هُناك خوف مرضى عند بعض المشايخ من فكرة التفكير، لأنها بتوصل "للكفر"، و دائماً بتلاقى الإجابه عن كتير من الأسئله بأيه واحده فقط **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ"**، و ده بيكون سببه طول الوقت، هو عدم تمكُن الشيخ بشكل تام من فهم القرآن بشكل صحيح، و من الدين بشكل عام كفكر و كهدف، مش كأوامر و فرائض، لأنه بيكون حافظ الأوامر و النواهى الشرعيه عن ظهر قلب، أما الأسئله اللى فيها عُمق فلسفى و محتاجه تفكير، فهذا الشيخ أو الإمام نفسه، تم تربيته زى كُل الناس على عدم التفكير. هو حافظ، و الشخص اللى الشيخ أخد منه علمه، برضه حافظ، فهنا الأسئله بالنسبالهم بتفتح باب الشيطان، لأن هو الدين كده زى ما حفظناه، و كنت ذكرت لما أتكلمت عن رفض طباعة المُصحف، خوف الأزهر من ضياع ملكة الحفظ، اللى هى بالنسبه لهم، أهم شئ فى الدين، أحفظ على كده و متسألش.

و لهذا السبب كان حفظ القرآن، أهم مليون مره من فهمه، و و لهذا السبب حيفضل الشيوخ و الأئمه يُعددولك ثواب قراءة القرآن و حفظه، و عمرهم ما

حيقولولك ثواب فهمه و تدبُره. و هكذا تحول المُسلمين طوال شهر رمضان لناس بتجرى فى سباق أسمه حأختم القرآن كام مره، المُهم العدد، حتى لو كانوا بيقرأوا و هما مش فاهمين أغلب الكلام، بس لازم يجروا فى السباق، و كل مُسلم بيحاول بأقصى جُهده يحقق رقم فى عدد مرات ختم القرآن، أعلى من كُل من حوله.

****

أدخل على أخر نقطه فى هذا الفصل، و هى النقطه اللى حتربط هذا الفصل فعلياً بباقى الكتاب، و بعقيدة "ما وراء الموت" و الخوف البشرى الأبدى منها. أنا عندى وجهتى نظر فى الإسلام الصوفى، وجهة نظر فى الفكره العميقه و الروحانيه المؤسسه للصوفيه، و هى بالفعل أعلى درجه من الأيمان، لأنها بتخلق علاقه خاصه بينك و بين الخالق، بتشعُر معاها أنك بالفعل فى معيته، و وجهة نظر أُخرى عكسيه تماماً، عن شكل الصوفيه حاليا و ما يُمارس فيها، و كتير من من الأفكار و العقائد اللى بتتبناها بعض التيارات الصوفيه الحاليه، حتى لو كانت مش بتُصرح بيها بشكل علنى.

بدايةً، أحب أؤكد على معلومه كنت ذكرتها فى أكتر من فصل سابق، أن المنهج الصوفى مش أصله إسلامى على الإطلاق، لكن الصوفيه أصلها يهودى، و ده حينقلنا لنقطه مُهمه جداً و هى، ما معنى كلمة "صوفيه"؟

من كتابه "فى التصوف الإسلامى وتاريخه"، كتب المُستشرق البريطانى رينولد ألين نيكولسون فى بدايات القرن ال20 ميلادياً، عن بدايات و نشأة الصوفيه الإسلاميه، وضح فيه كُل المعانى المُحتمله لمعنى "الصوفيه".

هُناك وجهتى نظر لمعنى كلمة صوفيه، الأولى بتذهب لأن كلمة صوفيه بترجع للملابس الصوفيه الخشنه البسيطه جداً اللى كان بيلبسها الصوفيين الأوائل زيادة فى الزُهد و التقشف، و ده كان نوع من التقليد للرهبان المسيحيين، و بالمُناسبه، فالرهبنه المسيحيه تُعتبر صوفيه، لكن بدرجه أعلى و أرفع، لأنها بالفعل إنعزال تام عن الحياه، للتفرغ الكامل للعباده، مع أختيار العيش فى نمط حياه مبنى تماماً على الزُهد و التقشف و البُعد عن كُل الملذات، و أنا هنا سواء إسلامياً أو يهودياً أو مسيحياً، بأتكلم عن أصل الأشياء، مش ما يحدُث حالياً.

تانى وجهة نظر مبنيه على أن الكلمه أصلها كلمة "صوفيا" اليونانيه القديمه، و الكلمه اليونانيه معناها "الحكمه"، و هى فى اليونانيه مُشتقه من كلمة "جمنوسوفيست" (Gymnosophist) ومعناها الحكيم العارى، و هى كلمه يونانيه كانت بتُطلق على بعض الحكماء الهنود القدماء، اللى كانوا بيعيشوا حياة زُهد و تقشُف بشكل تام، و تفرُغ كامل للعباده، و هذا الرأى تبناه البيرونى فى القرن ال11 ميلادياً، و أنا بأميل له لسبب منطقى جداً، هو أن كلمة صوفيه بتُستخدم فى اللغات الأُخرى بنفس التعبير "Sufism"، لكن فى النهايه، كِلتا وجهتى النظر وارد جداً صحتها.

ظهرت الصوفيه كفكره و كمظهر فى الإسلام، بدايةً من القرن الأول هجرياً، من خلال نزعات الزُهد القويه اللى سادت العالم الإسلامى خلال هذه الفتره، لكن الصوفيه بدأت تنتشر فعلياً مع بدايات القرن التالت هجرياً، و بيعتقد نيكولسون مؤلف كتاب "فى التصوف الإسلامى وتاريخه" أن الصوفيين الأوائل فى القرن التالت هجرياً، تأثروا فكرياً بالفلسفه الأفلاطونيه، اللى كانت مُنتشره فى بلاد الشام و مصر، لكن كان أول من سُمى بالصوفى هو "أبو هاشم الكوفى"، فى القرن التانى هجرياً.

أول من وضع نظام أو هيكل للطُرق الصوفيه، كان الصوفى الإيرانى محمد أحمد الميهمى، و المعروف بأسم "أبى سعيد"، فى نهايات القرن الرابع هجرياً و بدايات القرن الخامس. فى مدينته -اللى لم أجد أى مصدر ذكر أسمها- أقام محمد أحمد الميهمى نظام للدراويش، و بنى خان بجانب منزله كان خاص بالصوفيه، و هو اللى أسس لنظام التوريث فى الطُرق الصوفيه بشكل عام، و كان أول من كتب مؤلفات عن "التربيه الصوفيه".

خلال القرنين الخامس والسادس هجرياً، بدأ منهج الطُرق الصوفيه فى التبلور، و إنتقلت الفكره من إيران إلى المشرق العربى بشكل عام، فظهرت الرفاعيه و القادريه فى العراق، و الأحمديه و الشاذليه فى مصر، و بعدها بفتره ظهرت الدسوقيه فى مصر، ثم بدأت عشرات الطُرق الجديده فى الظهور، أو طُرق متفرعه من طُرق قديمه، حتى أصبح عدد الطُرق بيُعد بالآلاف، و غالباً كانت كُل طريقه بتُسمى بأسم مؤسسها.

نيكولسون إستعرض بعض وجهات النظر الأُخرى الخاصه بالمصادر اللى تأثرت بيها الصوفيه، زى وجهة النظر اللى بتقول أن المصدر كان الديانه المجوسيه، و مصدر أخر بيقول أن الصوفيه الإسلاميه نشأت من صميم الإسلام نفسه، بينما هُناك وجهة نظر أشمل بتقول أن التصوف هو نزعه إنسانيه خالصه ليس لها دين، موجوده على مر العصور ، لأن الصوفيه بكافة أشكالها، موجوده بالفعل فى جميع الأديان، و مُرتبطه بأصل الفطره و النفحه الروحيه داخل كُل إنسان، لكن أياً كان المصدر اللى تأثرت بيه الصوفيه الإسلاميه، فمن المؤكد أن اليهوديه و المسيحيه سبقوا الإسلام فى التصوف، و إن كانت فى المسيحيه يبتُسمى "رهبنه"، لكن فى اليهوديه بتُسمى "تصوف" بنفس التسميه الإسلاميه.

الرهبنه مُحرمه تماماً إسلامياً، فهُنا أتخذ التصوف الأسلامى شكل بعيد تماماً عن الرهبنه المسيحيه، فكان التصوف الإسلامى بعيد عن الإنعزال التام عن الحياه، لكنه كان نوع من الزُهد، نوع من التفكر بشكل أعمق، علاقه خاصه مع الله، بُعد نوعاً ما -وليس تماماً كما فى الرهبنه- عن بعض ملذات الحياه، التصوف الأسلامى لم يُحرم الزواج، لكنه كان حاله من الإرتقاء و السمو بالنفس و الروح بشكل ما، بعيداً عن بعض شهوات الجسد.

كان لكُل مؤسس طريقه فى البدايه منهجيته، و الفلسفه اللى بُنيت عليها طريقته، فمنهم اللى شاف فى تعذيب الجسد نوع من التطهر الروحى، منهم اللى كان بيرى فى الخلوه سبيل إلى الله، و ده شبيه بطقوس الرهبنه، و منهم من كان الزهد عن مُتع الدنيا هو طريقه، إلخ من الفلسفات الكتيره اللى بُنى عليها الفكر الصوفى الإسلامى.

بتبدأ المشاكل دائماً بعد وفاة مؤسس الطريقه، لأن فى العاده بعد الوفاه، بتظهر إضافتين أساسيتين على الأفكار و العقائد الرئيسيه للطريقه. الأولى دائماً بتكون فكرة "الكرامات"، و هنا بتبدأ عشرات المرويات عن مؤسس الطريقه، ليس لها أى أساس من الواقع، و أنه كان له قُدرات خاصه تفوق قدرات البشر، زى مثلاً أنه كان قادر على التواجد فى مكانين بيبعُدوا ألاف الأميال عن بعض، و بالمُناسبه فهذه الكرامه مُقتبسه من مُعتقد مسيحى يدّعى قُدرات خاصه لبعض الرُهبان فى القدره على التواجد فى مكانين فى نفس اللحظه، أسمه "الأباء السواح". بعد كُل هذه الكرامات المُدّعاه

لمؤسسى الطُرق، أصبح يُطلق على المؤسسين أصحاب القدرات الفائقه "أهل الخطوه" و "أولياء الله".

الإضافه التانيه بتكون فى الطُقوس و المُمارسات، فبدأت تظهر فكرة الزى الخاص بكُل طريقه، طُقوس الرقص، طُقوس الذكر، كُل ده طبعاً بجانب الأوراد اللى كتبها مؤسس الطريقه، و من أغرب الطقوس المُشتركه فى كتير من الطُرق اللى أنا تداخلت معاها، كان طقس أكل الرُز باللبن بشكل جماعى، بجانب طبعاً دخول الأغانى المُسماه "إنشاد دينى" بفرقه موسيقيه كامله.

كُل اللى فات كان تفاصيل عن نشأة الطُرق الصوفيه، و بدايات التغيُر السلبى، و اللى بدأ فى تحويلها من مذهب روحانى فى علاقتك الخاصه بالله، لمذهب طقسى بيتم التكسب عن طريقه، من خلال إستغلال أتباع مُغيبين بشكل تام، مع أن الفكرة الأساسيه فى الصوفيه هى التفكير و التدبُر، لكن كُل شئ فى الأديان بيبدأ بشكل، لكن بينتهى بشكل مُغاير تماماً.

أوصل معاك للشكل الحالى لأغلب الطُرق الصوفيه، و هنا مش حيكون مصدرى كُتب أو مقالات أو مراجع، لكن مصدرى هو مُشاهداتى و توثيقى الخاص، من خلال التداخل مع أكتر من طريقه، بعضهم راسخ فى القدم، بعضهم مُتوسط، و بعضهم طُرق وليده، و كنت ذكرت فى كتابى السابق، قصة مشاهداتى و تتبُعى لميلاد طريقه صوفيه من البدايه، فأنا كُنت أمام 3 أجيال من الطُرق، لكن لا قدم الطريقه أضاف لها عمق و فكر أكثر روحانيه، و لا حداثتها أضافت تغيير فى الطقوس و المراسم، أغلبهم بيقلد بعضه، لكن فى نفس الوقت بينافسوا بعضهم، مع أنى و للأمانه لم أجد أى أختلاف يُفيد التابع لأى طريقه فيهم، قديمه كانت أو حديثه، على الإطلاق.

بدايةً، فالغالبيه العُظمى من الطُرق الصوفيه هى ملكية النزعه، رئاسة الطريقه بتكون وراثيه، و كنت من خلال تداخُلى مع واحده من أهم و أشهر و أقدم الطُرق فى مصر و العالم العربى كُله، حضرت أكتر من حضره أو جلسه مع رئيس الطريقه، و هو كان رجُل علمانى جداً، و علمانى هنا أقصد بيها مش رجُل دين، حتى فى ملابسه اللى كُلها بدل، فى طقوسه الحياتيه، فى معلوماته الدينيه البسيطه جداً، لكنه رجل ورث طريقه، ورث خير ما بعده خير، و كُل المطلوب منه هو التواجد فى بعض المناسبات

الرسميه، أكيد مش حيقول لأ، فهنا التوريث أخرج الطريقه عن مسارها الأصلى، لأن رئيسها كان بعيد كُل البعد عن الفلسفه و العُمق الدينى للطريقه، هو رجُل ناجح فى حياته العمليه، لكن ليس له أى علاقه بالطريقه بأى شكل.

تانى نقطه أثارتنى فى هذا العالم الصوفى ككُل، هو فكرة أخذ البيعه أو طلب العهد، و تعبير "طلب العهد" هو أكثر دقه، و هو المُستخدم حالياً تقريباً فى جميع الطُرق، فما هو "أخذ العهد" بشكل أكثر دقه.

طلب العهد هو ببساطه طلب من الشخص الراغب فى الإنضمام للطريقه، بالسماح له بالإنضمام، لكن مع عهد منه بعدم إتباع أى طريقه أخرى، مع الوعد بالحفاظ على العهد مدى الحياه، و هنا أنا بسأل سؤالين. الأول، هل فى هذه الطريقه أو غيرها، أى شئ يفوق المنهج الأساسى و الرئيسى للإسلام؟ بمعنى هل فى هذه الطريقه ما هو أفضل من الطقوس الرئيسيه للإسلام فى التقرب لله؟ هل هُناك سر يعرفه أصحاب هذه الطريقه، لا يعلمه باقى المُسلمين؟

السؤال التانى، و ده كنت سألته بنفسى أحد المرات، لرئيس أحد الطُرق الحديثه نوعاً ما، و هو ليه المُسلم لا يستطيع طلب العهد من أكتر من طريقه، طالما أن الهدف هو دينى بحت، و هو التقرُب من الله، فليه المُسلم لا يتّبع طريقتين و تلاته لزيادة التقرب؟ و لا هل الطُرق عامله زى فى الفيزياء "الأقطاب المُتنافره" اللى بترفُض بعضها بعضها و بتتنافر؟

طبعاً هذا الرئيس فضل يلف و يدور فى الإجابه لأكتر من نصف ساعه، بدون ما أطلع منه بأى نتيجه تُذكر، لأن بالفعل لا توجد إجابه. إجابته الطويله كانت أقرب لفكرة أن إتّباع أى طريقه، هى عمليه تُشبه لمريض بيتّبع نظام علاجى مُعين، فلا يجب عليه أنه يتّبع معاه نظام علاجى أخر، و ده صحيح طبياً، لكنه غير صحيح دينياً على الإطلاق. و بالرغم من أن رئيس الطريقه لم يذكُر هذا المثال بشكل صريح، و أقصد هنا فكرة نظام العلاج، لكن كان كُل شرحه بيدور طول الوقت حول هذه الفكره، و أسمحلى أنا أجاوب على السؤالين من وجهة نظرى.

فيما يخُص السؤال الأول، فكما ذكرت و أنا بحكى تاريخ الصوفيه، فالصوفيه لم تبدأ كطُرق بيتبعها بعض المُسلمين، لكن كإجتهادات فرديه من بعض الزاهدين، من

بعض من أبتغوا التقرب من الله بأشكال مُختلفه، فكان كُل زاهد منهم بيقوم بما يشعُر هو بيه، حتى اللى كان بيعذب نفسه، كان بيعتقد أن هذا العذاب هو وسيله لتكفير الذنوب، و بلوغ الرضا الإلهى، فاللى كان بيكتب منهم أوراد، كان بيكتبها من واقع إحساسه هو بالله، لأن الصوفيه الإسلاميه الأصليه، هى نوع خاص جداً من العشق الإلهى، زى اللى بيكتب شعر فى من يُحب، هو بيكتبه من وحى ما يشعر به تجاه هذا الحبيب.

فهنا فكرة أن مُسلم يتبع نهج مُسلم أخر فى علاقته بالله، فلازم يكون على وعى تام بكُل معانى و أهداف هذه الطريقه اللى قام بيها هذا المُسلم الأخر، لكن فعلياً هذا لا يحدُث على أرض الواقع، على الأقل فى الفتره الحاليه، فالأتباع بيُرددوا كلام، هما مش فاهمين أغلبه، تداخل معاها طقوس من الصوفيه المولويه، المُعتمده على العباده الكوريوجرافيه، و الChoreography هو الرقص الإيقاعى. فهنا هذا الشخص الذى يتّبع أى طريقه، بيقوم طول الوقت بطقوس هو لا فاهمها و لا حاسس بيها، و لا حتى بيكون مُستوعب للكلام اللى بيردده، و كنت حكيت فى الكتاب السابق عن حكاية الطريقه الناشئه الوليده اللى شهدت ولادتها، و اللى كُل الأوراد اللى كتبها مؤسس الطريقه، هى عباره عن كلام فارغ تماماً من أى مضمون، لكنه فقط موزون شعرياً، و ده كان بُحكم معرفتى بمؤسسها بشكل شخصى.

أما إجابة السؤال التانى، فهى ببساطه تتلخص فى كم الإستفادات الماديه و العينيه اللى بيستفيد منها رئيس الطريق و أتباعه المُباشرين من خلال زيادة عدد الأتباع، سواء عن طريق التبرُعات، الهبات، أو لو كان هُناك نوع من الإشتراكات. هذا الكلام حيفكرنا على طول بالكنيسه الكاثوليكيه، و موقفها من أى محاوله خارجها لقراءة الدين بمنظور أخر، و إضطرارها لتغيير مُعتقد من مُعتقداتها، و هو التحول للإيمان بالسحر، لمُجاباهة الكنيسه البروتوستانتيه الوليده فى هذا الوقت، لضمان بقاء الأتباع، بل و زيادة عددهم. و لتحقيق هذا الهدف، فلابد أن الKnow how يكون عندنا إحنا بس، نحن نعرف ما لا يعرفه الأخرون، أحنا عندنا السكه الوحيده الأكيده للوصول لله، و من هنا بتزيد طول الوقت عدد كرامات مؤسس الطريقه، للتأكيد على أختصاصه بهذه المُميزات من عند الله.

أى طريقه صوفيه، بُناء على كُل مُشاهداتى، لها نظام ثابت فى طُقوسها و عباداتها، و كنت صورت مع أكتر من طريقه، و وثقت أشكال و طقوس حضراتهم، سواء العامه، و اللى غالباً بتكون فى المُناسبات الدينيه العامه، زى المولد النبوى، و بتكون فى سُرادق كبير بيُقام فى الشارع، أو الخاصه، و اللى بتكون إما داخل جامع، أو فى أحد بيوت كبار رجال الطريقه.

بتبدأ أى حضره بقراءة جزء صغير من القرآن، و بعدها أداء صلوات الفرض، و ده طبعاً كُله من داخل الدين. بعد صلاة العشاء، أو أياً كانت الصلاه فى وقت الحضره، بتبدأ الطقوس الأهم فى الحضره، و هى قراءة بعض الأوراد الخاصه بالطريقه، و اللى غالباً كتبها مؤسس الطريقه، و بتكون هذه القراءه هى طقس العباده الرئيسى للطريقه، لأن هذا الكلام -اللى مُتّبعى الطريقه مش فاهمينه- هو السر، و كُلما إزداد الكلام صُعوبه و غُموض، كُلما إزدادت درجة قدسيته، لأن هذه الأوراد أو الأشعار، بتكون أقرب لكونها الكتاب المُقدس للطريقه بجانب القرآن، و أحياناً أو غالباً، بتكون أهميتها فى الطريقه، أعلى من القرآن ذاته، لأن القرآن عام، لكُل المُسلمين، لكن هذه الأوراد هى خاصه بينا أحنا بس، هى طريقك المُباشر للجنه. من هذه النقطه أبدأ معاك أربط فكرة هذا الكتاب ككُل، بالطُرق الصوفيه بشكل عام، و بعض الطُرق بشكل خاص.

حأبدأ بحكى قصه صغيره داله جداً، عايشتها بنفسى من حوالى 8 سنين. كنت أعرف فى هذه الفتره مُمثله فى بداية التلاتينات، و كانت مُمثله شاطره جداً، لكن كانت أدوارها مش كبيره، يعنى كانت من الفئه من المُمثلين اللى مُمكن تفتكر ملامحهم، لكن عمرك ما حتعرف أسماءهم، و كان فى هذه الفتره بيننا شغل، مشروع فيلم قصير كُنت كتبته و حأخرجه.

فى أحد البروفات أتأخرت على الميعاد، و لما وصلت أعتذرتلى بأنها راجعه من سفر، لأنها تتّبع أحد الطُرق الصوفيه خارج القاهره، و كان عندهم حضره. شدنى الموضوع و بدأت أفهم منها تفاصيل هذه الطريقه، خاصةً أنها كانت غير مُحجبه، و بتقبل أى نوع من الأدوار، و ليس لديها أى نوع من الإلتزام دينى بأغلب العبادات. فهمت منها أن عدد كبير جداً من المُمثلات بيتبعوا هذه الطريقه، و من بينهم مُمثله كبيره و شهيره جداً، كانت من أهم أتباع هذه الطريقه.

هذه المُمثله الشابه كلمتنى بعد كده كتير عن كرامات هذا الشيخ و قدراته، و حكت ليا عن بعض التفاصيل، اللى بالرغم من أنى كنت أسمع عنها قبل كده، لكن كانت أول مره أسمعها من شخص مُعاييش للتجربه بشكل مُباشر.

شدنى الموضوع و طلبت منها أنى أحضر معاها، و فوجئت أنها فرحت جداً بطلبى، و قالتلى أنها حتأخذ الأذن منه، و بالفعل كلمته، و وافق بعد ما أستعلم عنى أمنياً من خلالها، و تأكد أنى مش مدسوس، و أتحدد الميعاد فى أحد أيام الخميس.

للأسف فى هذا اليوم حصل عندى ظرف فأعتذرت، بالرغم من أنى كُنت فى أشد اللهفه لهذه الزياره، و بشكل عام أنا تقريباً مش بأعتذر عن أى مواعيد، لكن كان ظرف مُفاجئ. فوجئت بثورة غضب عارمه من هذه المُمثله، ثوره عنيفه و غير مُبرره، قالتلى خلالها كلمه بالنسبالى كانت داله جداً، و هى "يبقى هو لسه مطلبكش"، بإعتبار أن هذا الرئيس هو موحى إليه من الله، فلسه ميعاد هدايتى على أيده لم يأتى بعد. بعدها مُباشرة، قطعت علاقتها بيا للأبد فى هذا اليوم بسبب هذا الإعتذار، و طبعاً سابت الفيلم نهائياً.

لما بدأت أبحث عن هذه الطريقه، و بالأخص رئيسها، إكتشفت أنه مُتخصص فى المُمثلات، و بالمُناسبه، فهى واحده من أشهر الطُرق فى مصر، و اللى أتباعها كُلهم إما مُمثلات، أو شخصيات عامه كُلهم من فئة الA Class، فليه المُمثلات و هذه الفئه من الشخصيات الهامه جداً، بتتّبع هذه الطريقه، أو بالأخص بتتّبع هذا الرجُل رئيس الطريقه؟

إجابة هذا السؤال حتكون من العالم السرى الخفى للطُرق الصوفيه، لأن أغلب الطُرق بتُبطن عكس ما تُظهر. الكلام اللى حأكتبه مش حيكون مصدرى كُتب أو مراجع، بالرغم من أنه مذكور فى بعض الكُتب، لكن حيكون مصدره مُشاهداتى، و حضورى لعشرات الحضارات، و سماعى لحكايات عدد كبير جداً من الأتباع، زى المُمثله اللى أنا ذكرتها. هذه الإجابه اللى حأكتبها من واقع مُشاهداتى الخاصه، بتُمثل بالفعل جزء من العالم الخفى للجماعات الصوفيه.

كنت ذكرت أن الطُرق الصوفيه لا تُمارس من أصل الدين غير الفُروض الأساسيه، و قراءة القرآن، لكن العباده الأساسيه بتكون من خلال طُقوس خاصه

بكُل طريقه، و هنا كلمة عباده معناها "تعبُد"، أقصد أنها وسيلتهم للتقرب من الله، لكن بالفعل بتبدأ تتحول هذه الطُقوس التعبديه لفُروض أساسيه داخل كُل طريقه.

و كنت برضه ذكرت تفصيلتين بخُصوص مؤسسى الطُرق، و الرؤساء الحاليين للطُرق. فمؤسس الطريقه -اللى بيُسمى "ولى الله"- بعد وفاته، بيحظى بهاله من القُدسيه الرهيبه، و كم من الكرامات و المُعجزات، بتضعه فى درجه أو منزله، ممكن تعلو على منزلة الأنبياء، لأن هذا الولى -من وجهة نظرهم- له قدرات خاصه أختصها الله بيه، فهُنا أى شئ بيعمله أو بيقوله، فهو مُوحى بيه من عند الله، و مره أُخرى بأكد أنى شفت و سمعت هذا الكلام بنفسى، فهُنا كُل تعاليم و طقوس هذا الرجل بالنسبه لأتباعه، هى وحى موحى بيه من عند الله.

أما التفصيله الخاصه برؤساء الطُرق، فهما أشخاص ورثوا طُرق بتدخلهم كنوز، هما مش شرط يكونوا على نفس عقلية الأب أو الجد، لأن مفيش إنسان بيُشبه أباه، فما بالك بجد جد جده، فهُنا هذا الرئيس بيستغل فكرة الكرامات بكُل ما أوتى من قوه، لأنها مصدر دخل له، و بيدخُل بأتباعه لمرحله خاصه جداً، حأشرحها بعد ما أرجع مره أُخرى للمُمثلات و رجال الأعمال، و إهتمامهم بالأنضمام للطُرق الصوفيه.

حأختار نموذج المُمثلات، كنموذج دال و قوى جداً لتوضيح الفكره. بدايةً، فمن أهم المخاوف البشريه اللى تم توارثها عبر الأجيال هى "عُقدة الذنب"، و اللى سبق و أتكلمت عنها فى ختام الفصل السابق المُسمى "بأسم الرب". عُقدة الذنب هى أكتر هاجس داخلى بيُرعب الإنسان، و زى ما سبق و قلت، أن هذه العُقده بتخوف أي إنسان مؤمن بيها من توابعها، أو ال"كارما" الخاصه بيها، سواء أثناء حياته الأرضيه، أو فيما وراء الموت.

أى إنسان بيُخطئ، بيكون عارف أنه أخطأ، لكن بالنسباله بتكون مُغريات الخطأ، أكثر قوة من عناصر جذب القيم المُجتمعيه و الدينيه، و أى مُمثله فى مُجتمع عربى شرقى، بتكون مُحاطه بأفكار و قيم هذا المُجتمع، و غالباً بتكون أتربت على هذه القيم، فلما بتبدأ طريق التمثيل، فهى من داخلها، و بُناءً على كُل القيم المجتمعيه و الدينيه اللى تم تربيتها عليها، بيكون عندها شعور بأنها بتُخطئ، لكن بيكون هُناك أيضاً كتير من المُغريات أو القوى، اللى بتجذبها نحو الأستمرار فى هذا

الإتجاه. هى بيكون عندها نوعين من الهواجس الخاصه بالدين -طبعاً لو كانت مُسلمه-. أول هاجس، أن اللى بتعمله ممكن يكون حرام. تانى هاجس، أنها فى أغلب الأحيان مش قادره تؤدى الفرائض الأساسيه من صلاه و صوم، و خاصةً طبعاً الصلاه. فبتبدأ هذه المُمثله رحلة البحث عن كفاره لعدم الإلتزام بأداء الفروض، و منهجيه تؤكد لها أنها صح.

بتتمثل الكفاره فى أغلب الأحيان فى أداء فريضة الحج، و معاها بشكل مُستمر بعض العمرات. أولاً، لأنها فريضه Showy جداً، كُل الناس و الFans بتوعها بيعرفوا أنها عملتها. ثانياً، بتكون مره فقط فى العمر بالنسبه لفريضه الحج، و بتُكفر عن كُل ما سبق. طيب، و ماذا عن باقى الفروض؟ و ماذا عن ذنوب ما بعد الحج؟ هُنا يبدأ دور الطُرق الصوفيه فى الظهور.

كتير من الطُرق الصوفيه بتلعب لعبة "صك الغُفران"، لكن بشكل مُستتر و سرى جداً، و غير معروف سوى للأتباع. الطُرق الصوفيه عندها عقيده أسمها "رفع التكاليف"، فما هو معنى "التكاليف"؟

التكاليف هى الفروض المفروضه على المُسلم من صلاه و صوم و زكاه ...إلخ من العبادات. العقيده عند بعض الطُرق الصوفيه، هى أن هذه العبادات هى للمُسلم العادى، اللى لسه لم يعرف بعد كيف يصل لمعية الله. لكن المُسلم اللى روحه سمت -طبعاً من خلال إتباع الطريقه-، فهو أصبح غير محتاج لهذه العبادات. هذا المُسلم، عرف خلاص الطريق الصحيح لمعية الله، فبتُرفع عنه كُل التكاليف.

هُنا بتجد هذه المُمثله أو غيرها، حل لأول مُشكله عندها، و هى الفروض، و الإنسان بطبعه دائماً بيجرى ورا الفكره اللى حتحققلله ما يرغب فيه، حتى لو كانت فكرة غير عقلانيه، زى الناس اللى بتسيب فلوسها عند بعض الأشخاص علشان توظفها لها، و اللى بيوعدوهم بأرباح غير منطقيه فى البدايه، و غيرها من الأفكار البعيده كُل البُعد عن المنطق، لكن بالنسبه للإنسان هى بتحققه أما راحه نفسيه، أو طموح بعيد المنال من الصعب تحقيقه. بإختصار، الإنسان دائماً بيدور على اللى يضحك عليه.

طيب و الشق التانى الخاص بحُرمانيه العمل، و أنا هنا بأتكلم عن الفكر السائد عن التمثيل. هُنا بيتم إقناع هذه المُمثله بشوية تحايلات لدرء الشُبهات، يعنى بلاش الملامسات، متلبسيش مكشوف قوى، و أشياء من هذا القبيل. فى نفس الوقت بتلعب هذه الطُرق على فكرة أن الدين "المُعامله"، و خير المُسلمين أنفعهم لمُجتمعه. و هُنا النفع طبعاً بيكون فى شكل مادى بحت، يعنى إطعام مساكين، تكافل...إلخ، و طبعاً أغلب هذه الفلوس بتروح داخل الطريقه، لكن بهذه الوسيله بتكون هذه المُمثله حصلت على "صك غُفران" مُرضى جداً لها، لأنه من رئيس الطريقه الفُلانيه، اللى تأسست على أيد ولى الله ذو الكرامات، و اللى وصل بعلمه لمراتب أعلى من كُل المُسلمين، و عرف الطريق إلى الله، و هو فى النهايه، مش كُل الفروض و العبادات هدفها الوصول إلى الله؟ فهذا الولى عرف كيفية الوصول لله، ونقلها لنا من خلال طريقته، و فى النهايه، ربك رب قلوب.

فكرة "رفع التكاليف" هى من أسباب إزدياد أعداد أتباع الطُرق الصوفيه بهذا الشكل الكبير جداً، و اللى بيُقدر بحوالى 10 مليون تابع فى مصر فقط، يعنى تقريباً 10% من إجمالى سكان مصر بما فيها من مُسلمين و مسيحيين، لأن طول الوقت الناس بتدور على اللى يضحك عليها و يقولها اللى هى عايزه تسمعه، و الغالبيه العُظمى من كُل هذه الأعداد، ليس لها أدنى علاقه بالدين، لكن تكمُن كُل مشكلتها فى "عُقدة الذنب"، فى الوصول لما يُشبه عقيدة "الخلاص" المسيحيه، فالجميع وجد ضالته فى الطُرق الصوفيه لتحقيق كُل ما يُريح ضميره، قبل ما يُريح قلبه.

و أخيراً فالصوفيه كانت فكره عظيمه نبعت من أشخاص مُخلصين العقيده، و بالمُناسبه فهى أسمها طريقه مش طائفه أو جماعه، لأنها فى البدايه كانت طريق إلى الله، لكنها إنتهت لتتحول لأفكار و عقائد و طقوس، بعيده كُل البُعد عن أساس الدين، لأنها بتُغير من ثوابت الدين، و كما تم تكفير بعض الطوائف زى طائفه "البُهره"، اللى هما بالفعل بواقى طائفه "الحشاشين"، و بالمُناسبه، فبالرغم من أن الطائفه أساسها هندى، و أنا أقصد البُهره مش الطائفه الأساسيه "الحشاشين"، إلا أن تواجدهم فى مصر قوى و كبير جداً، فهُنا يجب بالمثل تكفير كتير من الطُرق الصوفيه فى مصر، لكن للأسف، فكثير من هذه الطُرق مدعومه بمُسانده سياسيه قويه جداً، فلا يجرؤ أحد على الإقتراب منها.

****

فى نهاية هذا الفصل، أقدر أقول أنى وصلت لنتائج مُلخصها أن رجال الدين الإسلامى، سواء مشايخ أزهريين، مشايخ سلفيين، أو رؤساء طُرق صوفيه، الكُل إستغل عقيدة "ما وراء الموت" و تلاعب بيها لصالحه. فالجهاديين إستخدموا "الترغيب"، عن طريق حلم الجنه و الحور العين، و أستغلوا مئات الألاف من الشباب المُسلم اللى راح فى عمليات جهاديه، و أغلب هذه العمليات للأسف، كانت ضد مُسلمين زيه.

كان فيه قصه عايشتها، ترددت فى ذكرها أكتر من مره فى هذا الكتاب، لكن أعتقد أنى يجب أنى أذكرها و أُدلل بيها، و هى تخُص جماعه جهاديه فى دوله عربيه مُحتله، كُنت زرتها من حوالى 13 سنه. فى أحد أيام الزياره دُعينا على الغداء من قبل أحد قيادات هذه الجماعه، و أضطريت أنى أروح لأنى كُنت ضمن فريق عمل. كان أغلب الحوار أثناء الغداء، عن إنتصارات تم تحقيقها فى أحد المعارك، لكن هذه المعركه كُنت عمرى ما سمعت عنها. فلما سألت هل هذه المعركه كانت مع المُحتل، فإذ بى أُفاجئ بأن المعركه المقصوده، و اللى قتلوا فيها المئات، و يمكن الألاف، كانت ضد السُلطه الحاكمه فى نفس الدوله. يعنى حاربوا و قتلوا ناس من نفس دولتهم و ديانتهم، و بيهللوا بالنصر بهذا الشكل. أنا و الله فضلت وقتها أكتر من ساعه مذهول من اللى سمعته، لكن هذه هى العقيده اللى بتُحكُمهم، أن ما عداهم إما كفره أو خونه، لازم يستحقوا القتل، و هما لو حد قُتل منهم، فهو شهيد ضامن الجنه.

إذن فاللعب على الترغيب بضمان الأخره، هو الوسيله اللى تم أتباعها فى الإسلام على مدار تاريخه، حتى لو كانت معارك خاطئه، بيتم فيها قتل مُسلمين زيهم، زى ما كُنت أتكلمت فى كتابى السابق عن مُحاولة أغتيال نجيب محفوظ و أغتيال فرج فوده، فهل اللى بيغتال مُسلم بيضمن الجنه؟ و زى حرق الطيار الأردنى مُعاذ الكساسبه المُسلم سنة 2015 ميلادياً، و نشر فيديو حرقه بلا رحمه، و زى أغتيال السادات و رفعت المحجوب اللى كانوا مُسلمين، و أنا هنا بأضرب أمثله بأغتيال المُسلمين فقط، و التأكيد على الإعتقاد السائد ما بينهم، بأن أغتيال هؤلاء الكفره - من وجهة نظرهم- حيضمن للى حيغتالهم الجنه.

تانى تيار إسلامى بيلعب على الترغيب بضمان الجنه، هما بالطبع الطُرق الصوفيه. و اللى لعبت على فكرة رفع التكاليف، و أنك بإتباع الطريقه حتضمن الجنه، و هُنا كان المُقابل مش روحك زى حالة الجماعات الجهاديه، لكن فلوسك، فهُنا كانت أدفع لدُخول الجنه هى الفكره اللى ضحك بيها ملايين المُسلمين على أنفسهم، زى ما سبقهم قبلها مسيحيين أوروبا عن طريق صُكوك الغُفران.

تالت تيار إسلامى بيحاول إستغلالك من خلال عقيدة "ما وراء الموت"، هى الفرق السلفيه، اللى بتلعب على "الترهيب"، على تخويفك طول الوقت، على اللعب على عُقدة ذنبك، أنت مُقصر طول الوقت، فهُنا المُسلم اللى بيتّبعهم، بيتّبعهم لأنهم وضعوه "تحت الوصايه"، هما الأعلم بكُل شئ، و هنا بيفضل هذا المُسلم محتاج لهم فى المشوره طول الوقت، يُدخل الحمام برجله اليمين و لا الشمال، يتمضمض كام مره، يقول أيه و هو داخل عربيته، أصبح محتاج لهم يوجهوه فى كُل تفاصيل حياته، بعد ما تم محو عقله تماماً، من خلال إتباع سياسة التخويف الدائمه.

و هُنا بيكون مكسب هؤلاء المشايخ و الأئمه بشكل مُزدوج. إما بشكل مُباشر، من المُسلمين التابعين، من خلال التبرُعات و الهبات، أو بشكل غير مُباشر، عن طريق كُل المشاريع اللى بيعملوها، و بيكون عملاءهم من أتباعهم، بدايةً من القنوات الفضائيه، لمحلات الأكل و اللبس، و طبعاً فى حالة الأكل بيوصل الأمر لدرجة التحريم، لو أكلنا من عند شخص مسيحى، أو شخص مشكوك فيه، وصولاً لرحلات العمره السياحيه، اللى بيُصاحب فيها الداعيه النجم، المُعتمرين اللى جايين له هو بالتحديد، و عشرات المكاسب الأُخرى، المُباشره و غير المُباشره.

فى النهايه، فالخطأ فى التطبيق لا يعنى أبداً فساد النظريه، كُل المشايخ و الأئمه الفاسدين، لا يعنوا أن الإسلام فيه أخطاء، كما كان الحال مع الهيكل الكهنوتى الكنسى المسيحى فى العصور الوسطى، لكن حيفضل طول الوقت هُناك من يستغل الدين للمكسب أو لتحقيق أغراضه، و حيفضل هُناك برضه طول الوقت، ناس محتاجه يضحك عليها، هذه الفكره لم و لن تنتهى، لأخر يوم حيتواجد فيه البشر على كوكب الأرض.

25 يوليو 2024

"فى حين أن الشعور بالثقة بالله، هو شعور عالمى و خالد، لكن هذه الكلمات الأربع "نحن نثق فى الله" هى كلمات أصلية فى بلدنا." تشارلز بينيت عضو الكونجرس الأمريكى سنة 1955

سِفْر النهايه

سألت نفسى كتير و أنا بحضر مادة هذا الكتاب، و اللى أعتبرته نوع من المقدمه التاريخيه للكتاب التانى، اللى كنت بجمع الداتا الخاصه بيه من أكتر من سنتين، ليه أنا محتاج أكتب هذا الكتاب الأول؟ فعلياً فى البدايه كان تخطيطى لا يشمل هذا الكتاب على الإطلاق، كانت بجهز لكتاب واحد فقط، بيشمل الجزء الخاص بالفتره الحياتيه اللى أحنا عايشينها، و بالمُستقبل القريب، و اللى أحتمال كبير جداً أن ممكن كتير مننا يحضره بالفعل، لكن ليه كانت الحاجه لكتابه هذا التاريخ الدينى و العقائدى الطويل جداً؟

لما بدأت بالفعل فى عملية التحضير للكتاب التانى، أكتشفت أنى محتاج أوضح كتير من التفاصيل، اللى سبقت مرحلة حياتنا الحاليه. أكتشفت أنى لازم أشرح أزاى أتشكلت كتير من الموروثات و العقائد، اللى أصبحت راسخه فى العقل البشرى، و بنتوارثها جيل بعد جيل، و للأسف، الغالبيه العظمى من البشر، مش بتتعب نفسها بالبحث للتأكد من المعلومه، لكن كان الأهم من كُل ما سبق، هو تأثير هذه الموروثات و العقائد، على حياتنا الحاليه، و رُبما المُستقبليه

أغلب المُسلمين عمرهم ما حاولوا يقرأوا الكُتب المُقدسه التانيه، أغلب الناس -مسلمين و مسيحيين- فاكرين أن بوذا أدعى النبوه و الألوهيه، فاكرين أن الهندوس بيعبدوا البقر، أغلب المُسلمين ميعرفوش أن اليهود بيصلوا زى صلاة المُسلمين بالضبط، و أن سيداتهم بيتحجبوا زى المُسلمات. يمكن أغلب المسيحيين فى الدول العربيه، بحكم أنها بيدرسوا أجزاء من القرآن فى مناهج اللغه العربيه، و عايشين وسط مُجتمعات إسلاميه، فمعلوماتهم عن الإسلام أقوى بكتير من معلومة المُسلم عن المسيحيه و اليهوديه، طبعاً ده بجانب أن التناخ اليهودى هو جزء من الكتاب المُقدس المسيحى، فالمسيحى العربى هو الأكثر إلماماً بالأديان التلاته، من جميع الأخرين من أتباع الأديان الأُخرى.

أخطاء كتيره وقع فيها أغلب الناس، سواء على المُستوى الفردى أو الجماعى، فيما يخُص التاريخ المغلوط لبعض الأديان، و اللى بسببه قامت حروب كتير جداً

عبر التاريخ، مع أن التاريخ واضح و معروف للى عايز يعرف و يفهم، لكن للأسف ما زالت البشريه، و بالرغم من عظمة العصر المعلوماتى اللى أحنا عايشين فيه، بتعتمد إما على السمع، أو على النقل الشفوى، أو على الموروث الثقافى، مفيش حد بيسأل نفسه أحنا بنعمل كده ليه، مفيش حد بيبذُل أدنى جُهد للتأكُد من المعلومه، و كنت ضربت فى هذا الكتاب مثال بسيط جداً، من خلال طقس كُل المصريين بيمارسوه، لكن عمر ما حد سأل نفسه أحنا بنمارسه ليه، و هو طقس الأربعين.

المعلومات كتير جداً، لكن أنا أخترت منها فقط، اللى أنا محتاجه فى هذا الكتاب، لكن أتمنى أنها تكون فرصه لكُل واحد وصل لهذا الجزء من الكتاب، أنه يبدأ يُعيد تقييم معلوماته فى كُل الموروثات، و يبدأ يسأل نفسه عن مدى صحتها. مصادر المعرفه كتير جداً، لكن من المهم جداً أنك و أنت بتبحث من خلال أى مصدر، أنك تتأكد من مدى مصداقيته، و الأهم، مدى درجة حياديته، لأن يُفترض فى من يتصدى لكتابة معلومه، أنه يكتبها كمعلومه، مش كوجهة نظر خاصه بيه، علشان كده أنا بحاول طول الوقت، أفصل بين الأجزاء اللى بطرح فيها حقائق أو معلومات، و بين الأجزاء اللى بطرح فيها وجهة نظرى، و بأكد كُل مره أنها مجرد وجهة نظرى.

****

المسيحيه و الإسلام على الترتيب، هما أعلى ديانتين فى عدد أتباعهم على مُستوى العالم. المسيحيه تعدت ال2.3 مليار إنسان، و الإسلام قارُب على 1.9 مليار إنسان تقريباً. مجموع أتباع الديانتين الموثقين إحصائياً حوالى ال4.2 مليار، و هو ما يُمثل أكتر من نصف سُكان العالم، و تعبير "الموثقين إحصائياً" معناه أن هذا الرقم هو مُجرد عدد، لأن ممكن جداً داخل هذا الرقم حتجد ملايين مِن مَن تركوا الدين بشكل سرى، حتجد ملايين مِن مَن لا يُنفذون تعاليم الدين بشكل تام أو صحيح، ملايين من تاركى الفروض، ملايين من غير المُقتنعين بالدين بشكل كامل، لكن فى النهايه، فالرقم هو الأهم فى الحرب البارده الدائره بين الديانتين.

لو ترك أحد أتباع أى دين منهم هذا الدين و توجه للدين الأخر، بتُقام إحتفالات من المُعسكر الجديد، كأنه إنتصار عسكرى، و بيُصرف عليه من هذا الدين الجديد ملايين الجنيهات، و فى أحيان كتير الدولارات، كان من المُمكن أنها تُحسن أوضاع

العشرات، لكن لأن هذا الشخص بيُمثل إنتصار أحدى الديانتين على الديانه الأُخرى، فبيتم الصرف على ظهوره و تلميعه ببذخ، و لسه فى حاله حدثت فى مصر من أقل من شهر، و للأسف تمت داخل حرم جامعى، لأن هذا الشخص تقريباً مُدرس مساعد، فتم الإحتفال بيه من أتباع الدين الجديد داخل حرم الجامعه، و على حوائطه، و تم الزج بأسم الجامعه فى كُل التفاصيل، و ده كفيل جداً بأنه يُشعل حرب طائفيه هُناك، بجانب أنه لا يجب و لا يصح على الإطلاق، إستخدام الحرم الجامعى كمسرح للعراك الدينى السياسى، اللى أخرته بالتأكيد لن يُحمد عاقبتها.

أرجع مره أُخرى للأرقام و الأعداد، لفكرة أن الأعداد المُسجله للمسيحيين و للمُسلمين، بتؤكد أن الديانتين هما الأعلى فى الترتيب، و أنا مُهتم بالديانتين المسيحيه و الإسلاميه فى هذه النُقطه، لأنهم ديانات تبشيريه، بتحرصان طول الوقت على زيادة الأعداد -حتى لو رقمياً فقط-، تقريباً مفيش ديانات تبشيريه أُخرى على مستوى العالم غير البهائيه، و ما عداها، فلا أعتقد أن هُناك أى دين أخر بيحرص على التبشير و الدعوه، لكن بعض الديانات الأُخرى زى البوذيه، بتقبل و بتُرحب بالدخول فيها، بينما اليهوديه لا تُرحب، و علشان يتم قُبول شخص جديد فى اليهوديه، بيخضع لإختبارات ممكن تصل لسبع سنين، لأن ببساطه اليهوديه هى ديانه عرقيه، مش عايزه دخلاء عليها، لكن بالفعل ده تم فى بعض الفترات التاريخيه، بس فى ظل ظروف خاصه جداً، فحالياً قبول أى شخص جديد مرفوض بشكل عام فى اليهوديه، لكن فى حالة إصراره، فبيتم إخضاعه لإختبارات كتيره و طويله جداً.

أوصل لأسئلتى، اللى بسببها طرحت هذه المعلومات الخاصه بالأرقام و أعداد الأتباع، و هما سؤالين إفتراضيين بينتموا لنوعية أسئلة "ماذا لو" اللى أنا بحب أطرحها، لأن هذه النوعيه من الأسئله على الرغم من كونها أسئله إفتراضيه، لكن أجاباتها بتُمثل مؤشر فى غاية الأهميه، نقدر نخرج من خلالها بعشرات الإستدلالات الحقيقيه للواقع الفعلى.

السؤال الأول خاص بالمسيحيه، و هو: ماذ لو أن الأمبراطور قسطنطين العظيم لم يقبل المسيح، أو على أحسن تقدير، قَبِل المسيح، لكن لم يعتمد المسيحيه كديانه رسميه للأمبراطوريه، و فرضها على جميع المواطنين فى الأمبراطوريه الرومانيه؟ و بالمُناسبه ففرضها كان لأهداف سياسيه، مش دينيه، فأيه كان ممكن

يكون حال المسيحيه بعد 20 قرن من ظهورها، لم لم يدعمها الأمبراطور قسطنطين العظيم؟

السؤال التانى خاص بالإسلام و هو: ماذا لو لم تنتصر جيوش المُسلمين فى الغزوات و الفتوحات ما بعد الرسول؟ و ده حدث بالفعل فى منطقة مملكة النوبه، اللى إستعصت على الجيوش الإسلاميه لفتره طويله جداً، حتى دخل النوبيين الإسلام بدون فرض. كمان ده حدث فى الأندلس، بعد ما تمكن الأسبان من هزيمة المُسلمين، بعد فتره كبيره من الغزو أو الفتح الإسلامى للأندلس، و تمكنهم تماماً من إخراج المُسلمين، و من بقى منهم، فُرض عليه التحول للمسيحيه. هُناك أيضاً الحروب الصليبيه، و اللى تمكنت الجيوش الأوربيه الصليبيه خلال بعضها، من الإنتصار على جيوش المُسلمين، فهُنا لو كانت الجيوش الإسلاميه لم تتمكن من الإنتصار، و لم تدخُل كُل هذه الدول، كان وضع العالم الإسلامى حالياً إختلف تماماً، كان ممكن المُسلمين يكونوا أقليات فى كتير من الدول اللى هما حالياً بيُمثلوا الأغلبيه فيها، و بالمُناسبه فخلال كتير من الفتوحات أو الغزوات الأولى، لم يكُن المُصحف تم جمعه، و لم يكُن نشر الدين هو الهدف الرئيسى على الإطلاق

هُنا حنجد أن عدة ظروف و عوامل خارجيه ساهمت فى إنتشار كِلتا الديانتين بهذا الشكل الكبير جداً، و لولا هذه الظروف، لما أصبحت أعداد المسيحيين و المُسلمين بهذه الكثره، و فى الحالتين، لم تكن هذه العوامل الخارجيه المُساعده، هدفها الرئيسى نشر الدين، لكن كان هُناك أهداف أخرى، تم إستغلال أسم الدين لتحقيقها، لكن فى النهايه، فالأديان إستفادت من هذا الأنتشار بشكل فعلى، و نتيجه لذلك، أصبحت المسيحيه و الإسلام، الديانتين رقم واحد و أتنين على مُستوى العالم، و ده ساعد بالطبع فى نشر كُل أفكار و مُعتقدات الديانتين، و على رأسهم ثقافه "ما وراء الموت"، ثقافه أحداث نهاية الأيام و قيام الساعه، ثقافة الغضب الإلهى، و اللى بيُمثلوا مباحث ال3 الأساسيه فى هذا الكتاب، و ما تبعهم من إستغلال لهذه المُعتقدات، زى ما ذكرت على مدار هذا الكتاب، و زى ما حتكون بعض المواضيع الى حتُربط الحاضر بالمُعتقد الدينى فى الكتاب القادم.

****

تفصيله مهمه جداً أحب أطرحها، قبل إستكمال الجزء المُهم من هذا الفصل، و هو الخاص بسبب كتابتى لهذا الكتاب، هذه التفصيله المهمه و الغريبه، و اللى حتكون وسيلتى لشرح الجزء القادم كُله، هى تفصيله موجوده على ظهر كُل عُملات الولايات المُتحده الأمريكيه الورقيه، و هى شعار "In God we trust" أو "بالله نثق"، بالرغم من أن الولايات المُتحده دوله علمانيه، و بالرغم من أن بعض شعارات الماسونيه، موجوده على العمله الورقيه فئة الدولار، زى الهرم و العين الواحده، لكن بجوار شعارات الماسونيه، يتوسط شعار "In God we trust" عمله الدولار، و كُل عُملات الولايات المُتحده الأمريكيه الورقيه الأخرى، فما هو سر هذا الشعار؟ و ليه تم وضعه على ظهر كُل عُملات الولايات المُتحده الأمريكيه الورقيه، أسمحلى أحكيلك القصه من البدايه.

مع اندلاع الحرب الأهلية الأمريكية سنة 1861 ميلادياً، ظهر الخطاب السياسى الدينى، اللى بيربط الولايات المتحدة بقوة إلهية، بمعنى أن رجال السياسة بدأوا يُأكدوا على أن الولايات المُتحدة الأمريكيه، مدعومه بقوه خاصه من عند الله.

هذا الكلام شجع السيد واتكينسون، و هو رجل دين من ولاية بنسلفانيا ، على طلب وضع عبارة"بالله نثق" على العُملات المعدنيه، فى بداية الحرب الأهليه الأمريكيه، لطلب مُساعده خاصه من الله، فى دعم قضية الولايات الشماليه.

كانت وجهة نظر واتكينسون أن هذا الشعار "حيضعنا تحت الحماية الإلهية"، و كانت كتابة هذه العبارة على العُملات المعدنيه، هى البداية لشرارة دينية أندلعت

بعدها مُباشرةً. فى الصوره الموجوده أسفل، الدولار المعدنى من سنة 1870 ميلادياً، و اللى كان بيحمل شعار "In God we trust" أو "بالله نثق".

فى سنة 1864 ميلادياً، و مع أستمرار إندلاع الحرب الأهليه، بدأت مجموعه من المواطنين، مدعومه من الطوائف البروتستانتية الرئيسية فى الولايات الشماليه، فى الدعوة لتغيير الدُستور، علشان يكون الدُستور الأمريكى مُؤسس على مبادئ دينيه مسيحيه، لكن بالطبع تم رفض الطلب بشكل قاطع.

و على الرغم من إضافة عبارة "بالله نثق" على العُملات المعدنيه الأمريكيه فى هذا الوقت، إلا أنه لم تتم كتابتها على العُملات الورقيه، اللى بدأ إستخدامها يزيد بشكل كبير. بعد حوالى 4 عقود، لما تم إعادة تصميم العُملات المعدنية فى بدايات القرن ال20 ميلادياً، تم إزالة العباره من على جميع العُملات المعدنيه، نتيجه لإنتشار التيار العلمانى فى الولايات المُتحده الأمريكيه، من بعد إنتهاء الحرب الأهليه، و أستمرت العباره ملغيه لمده وصلت تقريباً ل5 عقود.

بداية الخمسينيات من القرن ال20 ميلادياً، شهدت عوده جديده للغه الدينيه فى الخطابات الحكوميه والسياسيه الأمريكيه، و خلال هذه الفتره، رجعت عبارة "بالله نثق" للإستخدام على نطاق واسع، و مره أُخرى بتعود للظهور على العُملات الأمريكيه، لكن كانت على العُملات الورقيه هذه المره، مش المعدنيه، بعد أختفائها لما يقُرب من 50 سنه.

البدايه كانت خلال سنة 1955 ميلادياً، لما وقع الرئيس الأمريكى دوايت أيزنهاور، الرئيس رقم 34 للولايات المُتحده الأمريكيه، مشروع قانون لوضع العباره على جميع العُملات الورقيه الأمريكيه، و أعلن واحد من رعاة هذا التشريع، و هو عضو الكونجرس الأمريكى تشارلز بينيت، "أن الولايات المُتحدة الأمريكيه تأسست فى جو روحى، و بثقه راسخه بالله"، و أكد بينيت على الدور المؤثر اللى لعبته العباره خلال الحرب الأهليه الأمريكيه.

فى السنة التاليه، و تحديداً يوم 30 يوليو سنة 1956 ميلادياً، تم اعتماد عبارة "بالله نثق" كأول شعار رسمى للولايات المُتحده الأمريكيه، بينما طُبعت أول عمله ورقيه تحمل الشعار، فى 1 أكتوبر سنة 1957 ميلادياً.

رجوع العباره، و أستخدامها كشعار رسمى للولايات المُتحده الأمريكيه كان ظاهره دينى، لكن فعلياً كان هدفه سياسى بحت، لأنه كان أحد أهم الأسلحه اللى إستخدمتها الولايات المُتحده الأمريكيه، فى حربها البارده ضد الأتحاد السوفيتى فى تلك الفتره، و كان هذا الهدف السياسى الخفى، يكمُن فى الرغبه على التأكيد على الإلتزام الدينى للشعب الأمريكى.

بعض المؤرخين زى چوناثان هيرتسوج سجلوا أزاى حاول بعض قادة الولايات المُتحده، بداية من الرئيس دوايت أيزنهاور، على التأكيد على الإيمان القوى للشعب الأمريكى، فى مُقابل الشعب السوفيتى الشيوعى ألا دينى، و ده زى ما ذكرت، كان واحد من أهم أسلحة الولايات المُتحده، فى الحرب البارده ضد الأتحاد السوفيتى .

أخر رئيس أمريكى حاول أستغلال الجانب الدينى سياسياً، كان الرئيس السابق دونالد ترامب، خلال حملته الإنتخابيه ضد الرئيس بايدن، أثناء إنتخابات سنة 2020 ميلادياً. ترامب بالفعل بيعشق اللعب على الجانب الدينى، لأنه يعلم جيداً أن ما زال عدد كبير جداً من الشعب الأمريكى من المسيحيين المُتعصبين، خاصة الإنجيليين، اللى كُنت أتكلمت عنهم، فى نهاية الفصل الأول من الكتاب.

هذه التفاصيل عن إستخدام هذا الشعار الدينى أكتر من مره عبر التاريخ الأمريكى، هى جزء من خُلاصة هذه المحطه من الكتاب، و بتتلخص فى كيفية إستغلال السياسه للدين، أزاى أستغل مئات الحُكام عبر التاريخ الدين، للحصول

على الدعم الشعبى لهم، و كُنت ذكرت فى الفصل الأول من الكتاب، الدور اللى لعبه البابا إنوسنت التالت، لدفع الألاف للمُشاركه فى الحمله الصليبيه الخامسه. بالتأكيد هذا الدفع كان هدفه سياسى إستعمارى بحت، و يمكن يكون البابا تم إستغلاله دون أن يعلم، خاصةً أنه كان أحد أكتر الباباوات عبر تاريخ الكنيسه الكاثوليكيه، حرصاً على خدمة الدين.

الحُكام عبر التاريخ أستغلوا الدين بأكتر من شكل، إما لإضفاء شرعيه لهم، إما لعمل تشريعات بتخدم أهدافهم، إما للسيطره على شعوبهم، أو لتحقيق حالة إلتفاف و تضامن شعبى، أو لمُساعده فى إتخاذ قرار، و كما قال الإقتصادى و الفيلسوف الألمانى كارل ماركس"الدين أفيون الشعوب"، و بالرغم من أن كارل ماركس كان لا دينى، إلا أن العباره حقيقيه و واقعيه تماماً، لأن الدين بالفعل كان المُخدر اللى بيُستخدم طول الوقت فى إخضاع الشعوب، فى تحقيق السيطره، سواء عن طريق الترهيب أو الترغيب، كان طول الوقت الوسيله الأكثر فاعليه عبر التاريخ، و طبعاً كان اللعب على الترهيب بشكل أكبر، لأن التخوف الدائم من الغضب الإلهى و ما وراء الموت، كان أهم مخاوف البشر الجماعيه عبر التاريخ.

****

كنت طرحت سؤال فى فصل "المُخادع و المُخلص"، و هو ليه مع إنتشار الشر و الفساد، و كافة أشكال الظلم و عدم المساواه، و إستغلال الدين لتبرير كُل شئ، حتى لو كان ضد الدين نفسه، بيصمُت أغلب المؤمنين العاديين عن فعل أى شئ، بيقفوا كمُتفرجين، و هما فى نفس الوقت، مُقتنعين جداً باللى بيعملوه، بمعنى إنهم مش بيحاولوا يكون لهم موقف واضح تجاه كُل الفساد اللى بيحدُث من حولهم، و ده عن إقتناع، مش فقط عن قلة حيله.

علشان أجاوب على هذا السؤال، محتاج أطرح قبله سؤال تانى و أجاوب عليه أولاً، قبل ما أجاوب على سؤالى الأساسى، و هنا حأخص الإسلام فقط، لأنه أكتر دين من الأديان، عنده -نتيجة المرويات- هذا الكم من التفاصيل لعذاب ما بعد الموت و عذاب ما بعد الحساب، و أنا هنا مُجرد بأضرب مثال بالإسلام، لكن لباقى الأديان أشكال تانيه مختلفه من الترغيب و الترهيب.

كتير منكم ممكن بفتكر بياعين الأشرطه و الكُتب اللى كانوا بيتواجدا أمام الجوامع بعد صلاة الجمعه، و اللى كان كتير منهم بيتواجد فى ميادين وسط البلد فى القاهره و الأسكندريه باقى الأسبوع، و ممكن كمان تفتكر معايا أيه هى نوعية الأشرطه و الكُتب اللى كانت بيبيعوها، لكن لأننا فى الأغلب بنستسهل السمع عن القراءه، فكانت الأشرطه هى الأكثر إنتشاراً.

كُل الأشرطه و الكُتب كانت بتتكلم عن موضوع واحد فقط، و هو عذاب القبر و عذاب جُهنم، الموضوع اللى -زى ما سبق و ذكرت- كان أكتر موضوع تمت الإضافه له عبر تاريخ الدين الإسلامى، و فى أغلب الأحيان كانت كُل هذه التفاصيل المُضافه بلا أى مصدر، و بلاش تقولى أن الأصل كان من كتاب فُلان أو علان، لأن هذا الفُلان لم يُعاصر الرسول، و مفيش مرجعيه لكلامه حتى من الأحاديث، فهو جاب كلامه منين، إذا كان لا القرآن و لا الأحاديث ذكرته؟

المهم، أرجع مره أُخرى لموضوعنا، فإنتشار هذا النوع من الخطاب الدينى الترهيبى، عمره ما كان بمحض الصدفه، لكن يمكن الناس اللى كانت بتعمله أو بتُتاجر بيه، كانت مصدقه أنها بالفعل بتعمله لوجه الله، ربما بالفعل كانوا صادقين النيه، لكن دائماً مش هما اللى بيكونوا أصحاب الفكر و التخطيط، لكنهم كانوا مُجرد أدوات تنفيذ لمُخططات، هما أنفسهم بيجهلوها تمام الجهل.

مفيش شئ بيحدُث فى عالمنا بالصدفه، أو على أقل تقدير بدون تخطيط له، كُل شئ له ترتيبه، و فى وقته المناسب، فكانت عملية إنتشار هذا النوع من الأشرطه و الكُتب، و تزامن هذا الإنتشار مع ظهور مجموعه من المشايخ و الأئمه فى هذا التوقيت، كانت كل أحاديثهم بتدور حول هذا الإطار، لكن فى نفس الوقت، كانوا برضه بيتكلموا عن الفساد المُنتشر فى الأرض، عن كُل مظاهر البُعد عن الدين، و الأهم من كُل ما سبق، هو التأكيد عن أن كُل اللى بيدور حوالينا هو من "علامات الساعه الصُغرى".

هذا الجو الترهيبى بيخلق عند المُسلم البسيط -اللى من السهل جداً التأثير عليه-، حالتين. الحاله الأولى، هى حالة التفكير فى نفسه، فى أنه بيغلط طول الوقت، و فى نفس الوقت هو بيسمع عن كُل هذا الكم من العذاب، فبيبدأ يخاف، بيبدأ

يتقوقع فى ذاته لإنقاذ ما يُمكن إنقاذه، بيبدأ يهتم بكافة التفاصيل الدينيه الحياتيه - خاصةً مع الكبر فى السن-، و أنا رصدت من هذه الحاله عشرات النماذج البشريه، فهنا هذا الشخص بيبدأ يبعد عن كتير من التفاصيل الحياتيه الغير هامه -من بينها السياسه طبعاً- و يكتفى من الحياه بأكل عيشه، و التدبُر فى أمور دينه.

أما الحاله التانيه اللى بتُصاحب الحاله الأولى و بتأثر عليها، فهى الإعتقاد بأن بالفعل علامات قيام الساعه قربت، و هُنا هذا المُسلم البسيط، اللى لا ينتمى لأى تيار، و لا عنده أى نوع من الميول الجهاديه، بيبدأ يفهم أن هذا الفساد المُحيط، هو شئ لا بُد من حدوثه، لأنه من علامات قيام الساعه، و أن هذا الفساد لن يزول، إلا بظهور المهدى المُنتظر، بالعكس ده كُلما زاد الفساد، كُلما زاد أيمانه، لأن هذا الكلام بالنسباله، مذكور من أكتر من 1400 سنه، فهنا بيوصل هذا المُسلم البسيط لإيمانين أو قناعتين. الإيمان الأول، بيكون إيمان شخصى بمدى قوة ومصداقية دينه. أما الإيمان التانى، فبيكون إيمان عام، بأن هذا الفساد لا بُد أن يحدُث، بالعكس ده من الطبيعى أنه يزداد، و أنه لا يُمكن مُقاومته، و بالطبع، كُلما أزداد الفساد، كُلما تأكد من مصداقية دينه، و من قرب "قيام الساعه"، و هو المطلوب.

أنا ضربت مثال بالدين الإسلامى، لكن فعليا، فكُل أتباع الأديان الإبراهيميه عندهم نفس الأفكار و المُعتقدات، و خاصةً أن الأديان الإبراهيميه لها خُصوصيتها فى كونها أديان ذات نمط خطى، فهذا معناه أن أتباع الأديان التلاته، ليس لديهم أى فُرص للتحسين فى حياه أُخرى، كما هو المُعتقد فى الهندوسيه و البوذيه، فالخوف من النهايه بيكون مُختلف تماماً عن الأديان ذات النمط الدائرى، و بهذا الشكل، بيتم إستغلال هذا الترهيب طول الوقت، و خاصةً فكرة النهاية الجماعيه، اللى زى ما ذكرت فى الفصل الأول، دائما ما بتكون أكثر ترهيباً من النهايات الفرديه.

****

وصلت معاك أخيراً لأخر جزء فى هذا الكتاب، و فى نفس الوقت هو تمهيد و نوع من المُقدمه للكتاب القادم، اللى تقريباً حيدور كله عن هذا الجزء، و حيكون عن المرحله القادمه من تاريخ البشريه، اللى حيبدأ فيها دور الدين يتراجع بشكل كبير جداً، و حيتم خلالها تغيير كتير من المفاهيم الإنسانيه و الدينيه.

فعلياً الأديان حتستمر، لكن بشكل جديد، شكل مضطر يقبل و يتأقلم مع هذه المفاهيم الجديده، اللى بدأ بالفعل فرضها على العقل الجمعى البشرى. الأديان، و من قبلها العادات و التقاليد، حتواجه خلال هذه الفتره نوعين من التحديات، و للأسف، فالتحديات أقوى بكتير من قوة من يديرون الأديان، و أنا هنا بأتكلم على جميع الأديان على وجه الأرض.

التحدى الأول، هو هذا التحول أو التغيير الكبير فى المفاهيم و القيم الإنسانيه، الثوابت الأخلاقيه، الفطره الإنسانيه، المُستحدثات الأجتماعيه، و أخيراً المُستحدثات العلميه، و خاصةً لو كانت هذه المُتغيرات أو التحولات، بتصطدم بأساسيات فى العقائد الدينيه.

أنا ذكرت خمس أشكال من التحولات أو التغييرات، كُلا له نموذج أو Pattern مختلف تماماً عن الأشكال الأُخرى، و هما بالفعل خمس أشكال حيُمثلوا إعصار حيواجه جميع الأديان، و خلينى أضربلك مثال معروف للكثيرين، و هو عن طائفه مسيحيه أسمها "شهود يهوا"، هذه الطائفه ما زالت بتُحرم نقل الدم حتى يومنا هذا، يعنى المريض يموت، لكن لا يُمكن نقل دم له، فهل حتصمُد هذه الطائفه كثيراً أمام حالات موت بعض أتباع الطائفه، اللى كان من المُمكن إنقاذهم عن طريق عملية نقل دم لهم.

أنا بأضرب هذا المثال، لأنى حأحكى تجربه إسلاميه شبيهه، لشيخ و إمام إسلامى كبير جداً، كنت ذكرت أسمه أكتر من مره عبر الكتاب، و تجربته الشبيهه جداً بمبدأ شهود يهوا. هذا الإمام اللى تحول حالياً لأسطوره، حرم فى كتير من محاضراته و حواراته نقل الأعضاء، حتى لو كانت من شخص مُتوفى لشخص حى، ممكن تتوقف حياته على نقل هذا العضو، و كانت وجهة نظره، أن الإنسان لا يملُك جسدُه.

هذا الإمام لما هو شخصياً أحتاج لزرع قرنيه، فقام بعمليه لزرعها، و قبل العمليه تمت عملية نقل دم له، طبعاً ده تم خارج مصر، فى لندن، لكن علشان أحنا حالياً فى عصر كل المعلومات مُتاحه، فما أخفاه هذا الإمام أثناء حياته، تم نشره بعد وفاته.

رجال و مُمثلى الأديان، و بأخص بالذكر المسيحيه و الإسلام، واجهوا عشرات التحديات المُماثله عبر التاريخ، و كنت ذكرت أكتر من مثال خلال هذا الكتاب، عن

تغيير وجهات نظر فى العديد من الأمور، زى السحر، زى مُحاكمة جاليليو، زى تحريم الطباعه...إلخ. و كنت إقتبست جزء من كتابى السابق فى فصل "مُلوك و كهنه"، و كان عن الخُلع و قوانين تحريم الطلاق فى الكنيسه الأرثوذوكسيه المصريه، و أزاى بيتم تغيير أى شئ تبعاً لرغبة حاكم، أو لتغيُر وجهة نظر بابا عن بابا أسبق.

الإسلام من الأديان اللى حرمت كل شئ فى بدايته، بدايةً من حنفية المياه، وصولاً لنقل الأعضاء، لكن فيما بعد، لو كان هُناك ضغط سياسى، أو هُناك إستفاده حتتحقق عن طريق هذا المُستحدث، فالتحريم بيتحول لتحليل، و مُمكن كمان يكون مصدر دخل، زى التليڤزيون و القنوات الفضائيه، اللى تم تحريمها بشده فى البدايه، و حالياً هى أحد أهم مصادر دخل كتير من المشايخ و الأئمه، و أحد أهم وسائل إنتشارهم و الترويج لأفكارهم.

بدايةً من نهاية القرن السابق، بدأت مُتغيرات كتير تظهر، نتيجه للنظام العالمى الجديد، هذه المُتغيرات بدأت بمرحلة طمس الهويات، و برضه كُنت أتكلمت عن هذا الموضوع فى كتابى السابق، بأن أغلب دول العالم أصبحت مُتأمركه (أمريكيه التوجه)، و أذكر فى زيارتى لكوريا من 12 سنه، بأنى فوجئت بأنى فى أمريكا لكن باللغه الكوريه بدلاً من اللغه الأنجليزيه، و أنا أعتقد و بشكل كبير جداً، أنه حيتم خلال أقل من 30 سنه، توحيد لغه عالميه يتحدث بيها العالم كله، و غالباً حتكون هذه اللُغه هى اللُغه الإنجليزيه.

طمس الهويات كان البدايه، لأن هُناك دول و مناطق كتير جداً فى العالم، بيُمثل العُرف و التقاليد أهميه، بتوازى أهمية الدين نفسه، و لنا فى القبائل البدويه فى مصر، خاصةً قبائل مطروح، المثال الواضح لذلك، و يمكن حتى الآن لم ينجو من هذه الحاله من التأمرُك (التحول للتوجه الأمريكى) على مستوى العالم كله، إلا بعض بلاد قليله جداً، زى روسيا، الصين، إيران، كوريا الشماليه، ببساطه دول المُعسكر الشرقى، اللى بتتعامل مع أمريكا كمُنافس، و لولا المُنافسه التجاريه، لغزا التأمرُك هذه الدول.

تحديات التحول أو التغير الكبير فى المفاهيم و القيم الإنسانيه للأديان كبيره جداً، يمكن البعض حيختصرها فى "نشر المثليه الجنسيه"، لأنها بتُمثل التحدى الأكثر ظهوراً بقوه، و بالتأكيد أن ما حدث من 3 أيام بالضبط، خلال حفل إفتتاح أهم

حدث بيجمع العالم كله، و هو حفل إفتتاح الدوره الأولمبيه بباريس، بيؤكد أن النظام العالمى اللى بيُحكم العالم كله، يستطيع القيام بأى شئ، لأنه كان من المُستحيل أى دوله -مهما كانت درجة علمانيتها-، أنها تقوم بالسخريه -خلال حفل إفتتاح بيتم بثه فى جميع دول العالم- من الدين رقم واحد فى العالم، و اللى ما زال عدد كبير جداً من سُكان فرنسا نفسها بيدينوا بيه. حفل الإفتتاح كان صدمه للعالم كله بكُل المقاييس، لأنه فى النهايه، الدورات الأولمبيه هى دورات رياضيه، فالزج بالسُخريه من الدين كان شئ مفاجئ و صادم، لدرجة أنى شفت شخص مسيحى على الYoutube بيقول أن فرنسا سخرت من المسيحيه، لأنها لا تستطيع السُخريه من الإسلام، خوفاً من سلوك المُسلمين العدائى.

طبعاً الكلام عن الإحتفاء الرهيب بالمثليه الجنسيه خلال نفس الإحتفال، أصبح كلام رتيب و مُكرر، لكن كانت المُشكله بتتمثل فى الصوره المُقززه اللى ظهر بيها هذا الأحتفاء. و كُنت ذكرت فى ختام فصل "بأسم الرب"، عن تصريح البابا الحالى للكنيسه الكاثوليكيه، البابا فرنسيس، بوجوب الإعتراف و مُباركة الزواج المُثلى من قِبَل كُل الكنائس الكاثوليكيه، و هذا التصريح بيُمثل تراجُع و تسليم للتيار الحالى بشكل غريب جداً، لكن حتى هذه اللحظه، هو مُجرد تصريح و رأى شخصى للبابا فرنسيس، لكن هل سيتم الإعتراف بيه قريباً و بشكل رسمى؟ وارد جداً جداً.

تحديات التحول من خلال المُستحدثات العلميه، و اللى كانت واحده من خمس أنواع من تحديات التحولات اللى بتواجه الأديان اللى كُنت حددتها، فيها جزء خطير جداً مش ظاهر للكثيرين، لكنه بالنسبه للأديان حيُمثل التحدى الأكثر صعوبه، و هو ما يخُص التغيير فى تكوين الجسد البشرى، سواء عن طريق الإستنساخ، تعديل الDNA، زرع الشرائح،...إلخ.

الغريب أن دوله لا دينيه زى الصين، حاكمت و سجنت أول عالم -هو لم يكن طبيب- قام بعملية ولاده لطفلتين تؤام مُعدلين جينياً أسمهم لولو و نانا، سنة 2018 ميلادياً، و كان أسمه هى چيانكوى، بإعتبار أن ما قام بيه هو عمل لا أخلاقى، لكن ما قام بيه هى چيانكوى ما هو إلا بدايه، و نجاح عمليات الإستنساخ للحيوانات ما هى إلا بدايه برضه لإستنساخ البشر، و لن يستطيع أحد أنه يقاوم التيار العلمى القادم، و

الخاص بالعلوم الجينيه، و اللى بيُفترض أنها مُحرمه دينياً، فهل حتستطيع الأديان الوقوف أمام هذا التيار؟

التحدى التانى اللى بيواجهه الأديان، و هنا المعنى بالأمر هى الأديان الإبراهيميه، هو تحدى توحيد الأديان الإبراهيميه، و دمجها فى دين واحد. هذه الخطوه بدأت بالفعل من سنين، و بدأت تنتشر فى بعض الدول العربيه، سواء اللى مُدركه منها هى بتعمل أيه، أو الغير مُدركه. هذا التحدى الجديد، اللى كتير من الناس مُتصوره أن الهدف منه فى صالح الديانه اليهوديه، و من وجهة نظرى الخاصه، هو تصور خاطئ.

أولاً، لأن اليهود مُتعصبين دينياً جداً، و ليس لديهم أى نيه لتغيير حرف من ديانتهم، بالإضافه لما سبق و ذكرته، بأن اليهوديه هى ديانه عرقيه، مش بتحتفى بأى دخيل عليها، فما بالك بمليارات من البشر.

ثانياً، أن اليهود على مدار التاريخ شعب منبوذ، خاصةً فى أوروبا، و كانت فكرة إقامة دوله خاصه بيهم، هى نوع من خلاص المُجتمع الأوروبى من اليهود، و اللى عانوا الويلات على مدار التاريخ، حتى نهاية الحرب العالميه التانيه، و اللى أنتهت قبل قيام دولة إسرائيل ب3 سنين فقط. فمن يعتقد أن كُل المساعدات الداعمه لدولة إسرائيل، هى نوع من التعاطُف معاها، فهو مُخطئ، العالم لا يعرف "التعاطُف"، لكن هى نوع من المصالح المُشتركه، لأن إقامة دولة إسرائيل، كانت النواه اللى زُرعت داخل منطقة الشرق الأوسط، للسيطره عليه كلياً.

إذن، فالهدف من فكرة توحيد الأديان الإبراهيميه من وجهة نظرى، مش للوصول لسيطرة الديانه اليهوديه -كما يظن الكثيرين- على المنطقه بأكملها، لكن هو إستمرار لحملات طمس الهويات بشكل عام، سواء كانت هويات عرقيه، ثقافيه، حضاريه، و أخيراً دينيه، فهل تستطيع الأديان الإبراهيميه مواجهة هذا الخطر الجديد؟

إختصاراً، و فى النهايه، فالمرحله القادمه فى النظام العالمى الجديد هى مش مرحلة الأديان بشكلها التقليدى، لأن الأديان بالفعل قامت بدورها على مدار التاريخ البشرى، لكن من الواضح أن بالنسبه للنظام العالمى، فوسائل السيطره و التحكُم الجديده هى Anti-Religious، أو ضد الأديان، و لُعبة "المجهول" بدأت تتخذ أشكال جديده، و مفهوم نهاية العالم بيتغير، و هنا أنا بأقول نهاية العالم بشكل

مُحايد، لا يهودى مسيحى، و لا إسلامى، فهل حتستطيع الأديان -و اللى للمره التانيه بأؤكد أنها حتستمر- الحفاظ على مكانتها و سيطرتها و هيبتها، وسط هذا التحول العالمى المجنون؟

29 يوليو 2024

مصادر

- https://www.smithsonianmag.com/history/ten-notable-apocalypses-that-obviously-didnt-happen-9126331/
- https://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/shows/apocalypse/explanation/amprophesy.html
- “Flood and Earthquake as Punishment of Gods in Antiquity” by Yeşim Dilek1, Özge Kahya, Journal of Disaster and Risk_ 30.09.2023
- “Historical Perspectives on Attitudes concerning Death and Dying” by David San Filippo Ph.D, National Louis University, January 2006
- بحث " فكرة الموت والشعائر الجنائزية المُقدسة عند السومريين"، الباحث قيس حاتم هانى الجنابى، موقع مكتبة جامعة بابل بالعراق
- مقالة نهاية العالم وفقاً للكتاب المقدس Rebecca Denova https://www.worldhistory
- https://aish.com/end-of-days/
- https://www.worldhistory.org/trans/ar/2-1801/
- https://www.npr.org/2012/03/07/148125942/the-book-of-revelation-visions-prophecy-politics
- https://www.britannica.com/place/Armageddon
- The Vicar and the Earthquake: Conflict, Controversy, and a Christening during the Great Lisbon Disaster of 1755 (A research by Mark Molesky_2012)
- https://www.sms-tsunami-warning.com/pages/tsunami-portugal-1755#:~:text=Europeans%20of%20the%20eighteenth%20century,destruction%20on%20Lisbon's%20supposed%20sins.
- https://www.islamweb.net/ar/fatwa/360643
- https://bam.sites.uiowa.edu/faq/antichrist-in-bible
- https://www.bbc.com/arabic/middleeast-40574360
- https://www.bbc.com/arabic/middleeast-50924634
- https://deenbahai.org/deen /حضرة-الباب
- https://alhudood.net/55797
- كتاب السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثه المصريه (الجزء_الأول)_عبد الله حسين

- https://www.thesun.co.uk/news/17136122/the-seekers-ufo-doomsday-cult-christmas-carols-dorothy-martin/
- https://oprfmuseum.org/this-month-in-history/seekers-cuyler-avenue
- https://khutabaa.com/ar/article/تاريخ-الجماعات-الخفية-2-يهود-الدونمة
- https://www.myjewishlearning.com/article/shabbetai-zevi/
- https://www.jhi.pl/en/articles/the-false-messiah-who-was-sabbatai-zevi,4472
- https://cravenandvalleylifemagazine.co.uk/mary-bateman-the-yorkshire-witch
- https://www.iflscience.com/how-the-yorkshire-witch-scammed-1806-leeds-with-apocalyptic-chicken-eggs-and-simple-chemistry-59356
- https://skepticalscience.com/print.php?n=5174
- https://oprfmuseum.org/this-month-in-history/seekers-cuyler-avenue by Frank R. FioRito
- http://www.oldchathamquakers.org/blog/flying-saucers-and-the-return-of-christ by Richard Russell
- THE SECULARITY OF THE SACREDNESS OF THE PRIESTLY OFFICE IN AFRICAN TRADITIONAL SOCIETIES by Kanu Ikechukwu Anthony, OSA, Department of Philosophy, University of Nigeria, Nsukka
- Conflict Between the Temple and the Crown in Ancient Egypt by Joshua J. Mark_03 March 2017
- https://www.worldhistory.org/article/1027/conflict-between-the-temple-and-the-crown-in-ancie/
- The Role of Priests in Ancient Egypt https://www.egyptiandiamond.com/the-role-of-priests-in-ancient-egypt.php
- رجال الدين والكهنة والكاهنات فى مصر القديمه https://www.worldhistory.org/trans/ar/2-1026/
- https://firmisrael.org/learn/jewish-priest-ancient-israel-bible-and-today/

- The High Priest in Jewish Tradition By Leibel Gniwisch https://www.chabad.org/library/article_cdo/aid/4195084/jewish/The-High-Priest-in-Jewish-Tradition.htm
- History of early Christianity https://www.britannica.com/topic/history-of-early-Christianity
- Patriarch وEastern Orthodoxy https://www.britannica.com/topic/patriarch-Eastern-Orthodoxy
- The Great Schism of 1054 | History, Causes & Effects https://study.com/academy/lesson/the-great-schism-between-the-east-and-western-churches.html#:~:text=The%20Great%20Schism%20of%201054%20was%20caused%20by%20many%20factors,differences%20between%20East%20and%20West.
- The Medieval Church by Joshua J. Mark https://www.worldhistory.org/Medieval_Church/#:~:text=Religious%20practice%20in%20medieval%20Europe,other%20form%20of%20that%20religion.
- Witch Trials by Peter T. Leeson and Jacob W. Russ
- https://www.desiringgod.org/articles/the-first-tremor
- Two Views of the Universe Galileo vs. the Pope by Hal Hellman September 9, 1998 https://www.washingtonpost.com/wp-srv/national/horizon/sept98/galileo.htm
- https://www.history.com/this-day-in-history/galileo-is-accused-of-heresy
- Why Christians Were Denied Access to Their Bible for 1,000 Years by Bernard Starr https://www.huffpost.com/entry/why-christians-were-denied-access-to-their-bible-for-1000-years_b_3303545
- The Printing Press & the Protestant Reformation by Joshua J. Mark https://www.worldhistory.org/article/2039/the-printing-press--the-protestant-reformation/
- https://christianity.stackexchange.com/questions/74789/did-the-invention-of-the-printing-press-change-christianity#

- https://www.history.com/news/7-things-you-may-not-know-about-the-gutenberg-bible
- Medieval Indulgence & Martin Luther by Joshua J. Mark https://www.worldhistory.org/article/1902/medieval-indulgence--martin-luther/
- Indulgence Roman Catholicism by Lawrence G. Duggan Jun 24, 2024 https://www.britannica.com/biography/Albert-German-cardinal-margrave-of-Brandenburg-and-elector-of-Mainz
- كتاب "الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة" عبد الرحمن عبد الخالق
- https://www.azhar.eg/alazhar
- https://www.politico.com/story/2018/07/30/in-god-we-trust-becomes-nations-motto-july-30-1956-741016
- https://www.almasryalyoum.com/news/details/1946897

شكراً

لكل من ساهم في إنارة الطريق بمعلومة لي أو لغيري،
لكل من ألهمني فكرة أو تفصيلة في هذا الكتاب،
لكل من أختلف معه فكرياً، لكن تقبلني إنسانياً،
لكل من نقدني سواء سلباً أو إيجاباً،

و أخيراً،

للتي أنتِ يا من تكبدتِ عناء قراءة جزء من هذا الكتاب،
لأنكِ كنتِ مصدر ضوء جديد أنار لي نحو مزيد من المعرفة.

شريف
يوليو 2024

للتواصل أمسح الرمز:

أبوكاليبس

شريف حسين

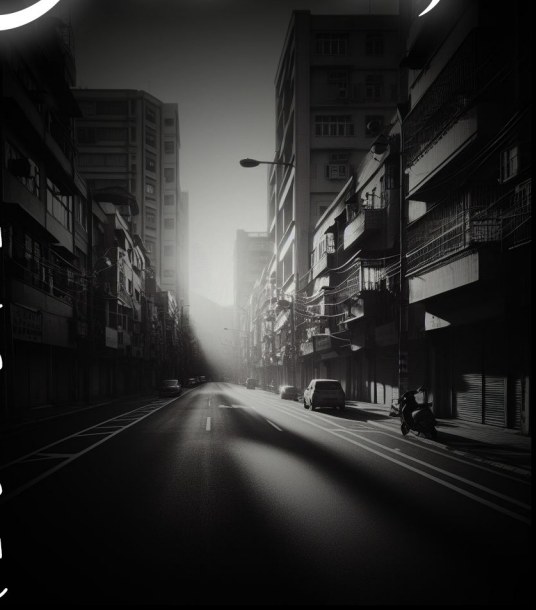

""المجهول"، أكثر تعبير خافق منه الإنسان، من يوم بدء الحياة على كوكب الأرض، ليومنا هذا، بالرغم من أن هذا "المجهول"، كان الدافع الرئيسي لأغلب الأكتشافات و الأختراعات اللي ظهرت على كوكب الأرض على مدار التاريخ. لكن في نفس الوقت، المجهول مثّل كمان مصدر إزعاج دائم، مثّل أكثر مفهوم أو تعبير بيحاول الإنسان تجنبه طول الوقت."

"نهاية العالم ليست غداً"

إيوان